سلسلة
المدائن
الفلسطينية
1

محمّد محمّد حسن شرّاب

القدس

أسسها العرب ورفع قواعدها المسلمون

الأهلية

1

القدس

أسسها العرب
ورفع قواعدها المسلمون

الأهليّة للنشر والتوزيع
e-mail : alahlia@nets.jo

المملكة الأردنيّة الهاشميّة ، عمّان ، وسط البلد ، خلف مطعم القدس
هاتف ٤٦٣٨٦٨٨ ، فاكس ٤٦٥٧٤٤٥
ص. ب : ٧٧٧٢ عمّان / الأردن
لبنان ، بيروت ، بئر حسن ، شارع السفارات
هاتف : ٨٢٤٢٠٣ / ٠١ ـ مقسم ١٩

سلسلة المدائن الفلسطينيّة [١]
القدس
أسّسها العرب ورفع قواعدها المسلمون
محمّد محمّد حسن شرّاب / الأردنّ

الطبعة العربيّة الأولى ، ٢٠٠٦

تصميم الغلاف : زهير أبو شايب / الأردن

الصفّ الضوئي :
إيمان زكريّا خطّاب ، عمّان ، هاتف ٠٧٩/٥٣٤٩١٥٦

تنفيذ وطباعة بيروت - لبنان - تلفاكس: ٢٧٢٢٢٥ ٠٠٩٦١١ خليوي: ٣٣٦٦٤٨-٣١٢١٢٤ / ٠٠٩٦١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

(نَهْج الطريق إلى تاريخ القدس العتيق)

قال الحطيئة الشاعر المخضرم:

الشـعْرُ صـعبٌ وطويـلٌ سُـلَّمُهْ   إذا ارتقى فيه الذي لا يَعْلَمُهْ
زلّتْ به إلى الحضيض قدمُهْ   يـريد أن يُعْـرِبَه فَيُعْجِمُـهْ

.. ونستعير هذين البيتين من (الشعر) إلى (التأريخ) فنقول: (التأريخ صعبٌ وطويل سُلّمه).. إلى أخر البيتين ويصدق هذا (المثل) على تاريخ العرب بعامة، وتاريخ فلسطين بخاصة، وتاريخ القدس بوجه أخصّ..

ذلك أن تاريخ فلسطين والقدس أبو التواريخ العربية والإسلاميّة بل هو جذرها وأُسها، ورأسها.. وكانت المعارك عبر التاريخ - وما زالت - تحتدم حول الجذور، وتسدد السهام القاتلة إلى الجذور.. وتموت الأُمة إذا اقتُلعت جذورها.. وكلُّ أُمة تخترع لها جذورًا وإن كانت فقعًا في قرقر، لأن الجذور تحمي الفروع من الضياع والانمحاء والذوبان..

ومن أجل ذلك سدَّد الأعداء سهامهم باتجاه تاريخ القدس وفلسطين العربيّ الإسلامي لاقتلاعه من أرض فلسطين، وإحلال الخرافات والأساطير محله.

ولم أعرف في تاريخ البشرية تأريخ جذور جرت محاولة لطمسه وإحلال تاريخ مخترع محله، كما كان في محاولات اليهود لاقتلاع الجذور العربية من فلسطين، وإحلال تاريخ يهودي مخترع كله مكانه.

لقد غزا الأوربيون أمريكا وأستراليا وكندا، وأقاموا فيها دولاً.. ولكنهم لم يزعموا أنهم الأصول والجذور، وانهم كانوا في البلاد ثم عادوا إليها..

أما اليهود فقد احتلوا فلسطين، وأقاموا فيها كيانهم، وزعموا أنهم الأصول والجذور، وأن العرب طارئون مستعمرون.. وزعمهم هذا كله كذب وافتراء، وأضغاث أحلام، ليس للصدق فيه نصيب. هناك مَنْ يؤلف قصة يبنيها على الكذب والخرافة، ويكون لها أصل.

.. فقصة الإلياذة والأوديسا خرافات وأساطير، ولكنها محملة على بعض الوقائع والأسماء الحقيقية. وملحمة عنترة بن شداد الكبرى قصة خرافية محملة على عنترة بن شداد، وهو حقيقة واقعة. وقل مثل ذلك في قصة أبي زيد الهلالي، والزير سالم، وألف ليلة وليلة..

ولكن أخبار اليهود كلها كذب محض، وأخصُّ منها ما يتصل بفلسطين والقدس.

ونبدأ بأواخرهم فنجزم أن اليهود الذين تسرّبوا إلى فلسطين مع بداية العصر التركي - 1517 - وفي العهد البريطاني، وبعده إلى اليوم هؤلاء اليهود لم يشمَّ أحد من أجدادهم رائحة أرض فلسطين.. وأرجع بهؤلاء الأجداد إلى زمن اليهودية الأولى في القرن الثالث قبل الميلاد.. بل أرجع إلى الوراء إلى زمن داود، وموسى، وإبراهيم ونوح..

فهؤلاء اليهود الموجودون اليوم في فلسطين ولدوا أو وُلد آباؤهم وأجدادهم وأجداد أجداهم في بلاد روسيا، وأوروبا وغيرها من البلدان، ولم يرثوا اليهوديّة عن آباء وأجداد بعيدين، وإنما تهوّدوا بعد أن لم يكونوا يهودًا، في القرون التي جاءَت بعد المسيح. ونعرف من هؤلاء على وجه اليقين يهود الخزر الذين عاشوا في حوض بحر الخزر، ثم توزعوا في أوروبا. ومنهم اليهود الألمان والسلافيون والبربر، والأسبان، واليهود السود (الفلاشا) واليهود الروس.. وكل صنف من هؤلاء عرق منفرد يتبع البلد الذي نشأ فيه.

مثلهم مثل المسيحيين في أوروبا وأفريقيا.. إنما صاروا مسيحيين وهم في أرضهم، ولم يزعم أحد منهم أنه ذو صلة عرقية بالمسيحيين الأوائل في فلسطين، ومثلهم مثل المسلمين في أندونيسيا، والهند والباكستان، وأفريقيا السوداء، لم يدعوا صلة بعرب الحجاز الذين حملوا الإسلام عن رسول الله العربي محمد بن عبدالله.

أما اليهود الأوائل، فقد نشأوا في بلاد فارس بأمر من ملوك الفرس ابتداءً من قورش ومن بعده من الملوك، والفرس هم الذين

سموهم يهودًا.. وموجز قصتهم - كما ذكرتها المصادر التاريخيّة الموضوعية المنفلتة من القيود التوراتية - أن مجموعة من المرتزقة وطلاب القيادة، أوكل إليهم الفرس أمر إدارة جزء من أرض فلسطين، بجمع الضرائب، وكبت كلّ ثورة محلية على الحكم الفارسي. فألف هؤلاء القادة وعلى رأسهم (عزرا) مجموعة من الأتباع من جهات شتى من المملكة الفارسية.. وجمع لهم (عزرا) كتابًا من ثقافات شتى، وادعى لهم أنه (التوراة) التي نزلت على موسى.. ونُقِلَ هؤلاء إلى منطقة من فلسطين سموّها (يهوذا) أو كانت تسمى كذلك.. وادّعى عزرا في كتابه الذي جمعه، أن هذه الفئة من الناس، كان أو كان أجدادها في فلسطين، وتقوم برحلة عودة، ولإعطاء هذه الفئة البُعْد التاريخي والشرف الرفيع، ادعوا الانتساب إلى الأنبياء السابقين وكانت قصصهم متداولة بين الناس، فجمعوا ما تداولته الألسنة من هذه القصص، وأثبتها عزرا في كتابه.. وحقيقة الأمر أن اليهود الذين احتلوا فلسطين وأقاموا كيانهم سنة 1948، لا يتصلون باليهود القدماء، وأن اليهود القدماء لا صلة لهم بداود وسليمان ولا يمتون بصلة إلى قوم موسى (الإسرائيليين) ولا يمتُّ إليهم إبراهيم وأولاده وأحفاده بصلة نسب أو دين، وصدق الله القائل

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾ (آل عمران: 67) .

هذه هي قصة يهود اليوم ويهود الأمس.. قصة ملفقة مبنية على الخيال والوهم والأسطورة والخرافات والأحلام، لم يكن لها واقع على الأرض، وليس لأحداثها مسرح واقعي حقيقيّ.. في هذه القصة أسماء لها

وجود تاريخي، وفي القصة أماكن موجودة جغرافيًا على أرض الواقع، ولكن الحدث الذي نُسب إلى الأشخاص، والأمكنة حدث خرافي خيالي. ولتقريب المثل إلى القارئ، أحيله إلى قصص ألف ليلة وليلة: ففي قصصها أماكن حقيقية مثل بغداد، ودمشق، ومصر، وفيها أسماء تاريخية حقيقية، مثل هارون الرشيد، ولكن الأحداث التي نسبت إلى هذه الأماكن وإلى تلك الأسماء خيالية، ومع ذلك فقد أَثرت في الروايات واختلطت أحداثها، بالتاريخ، وأساءَت إلى شخصية هارون الرشيد على سبيل المثال، حتى أضبح من الصعب التمييز بين الحقيقة والخيال في ترجمته.

وينطبق هذا المثل على أخبار اليهود المدوّنة في الكتاب الذي سموه (التوراة) ولكن تأثير الأخبار التوراتية في ثقافة المسلمين كان أشدّ وأنكى وأكثر إفسادًا للتاريخ.. وخصوصًا ما يتصل بتاريخ الأنبياء السابقين على الإسلام ما عدا (عيسى) الذي لم يعترف اليهود بنبوته ولأنه بُعث بعد تدوين خرافات التوراة.

فقد اتفق أن أكثر أسماء الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن، قد جاء اسمهم في (التوراة). والقصة في القرآن تهتمّ بالحدث ولا تذكر الزمان والمكان إلا نادرًا، لأن الحكمة من القصة لما فيها من العِبْرة، والعبرة في الحدث فقط..

أما القصة في كتاب يهود (التوراة) فقد فصلت، فذكرت المكان والزمان والأبناء والأجداد، وتفصيلات أُخرى..

وعندما كتب المؤرخون العرب مصنفاتهم، بدأوا بتدوين تاريخ البشرية منذ خلق الله الأرض، وخلق آدم، ومَنْ أرسل الله من الأنبياء بعد آدم.. ولم يقفوا عند حدود ما ذكره القرآن من قصص الأنبياء بل زادوا عليه ما وجدوه في التوراة، ليكون للقصة زمان ومكان وحدث وشخصيات.

وفي كتب تفسير القرآن، نقل المفسرون كلَّ ما في التوراة عند تفسير الآيات التي تسرد قصص الأنبياء، وكأنهم يفسرون القرآن بالتوراة..

وانتقلت الأخبار التوراتية إلى الأحاديث النبويّة، أو إلى بعض الأحاديث النبوية، وتغلغلت في كتب الحكم والمواعظ والأدب. وتتابع الناسُ علىٰ روايتها حتى أصبحت جزءًا لا يتجزأ من ثقافة المسلمين، وأخذت في التاريخ (اسم الإسرائيليات). والصحيح أنها (يهوديّات) لأن التوراة الموجودة بين أيدي الناس من اختراع اليهود، وذكرنا من قبْلُ أن اليهود لا يمتون بصلة إلى (بني إسرائيل).

وفي قصة داود وسليمان، وقصة القدس المكتوبة في تفسير القرآن، وفي كتب التاريخ، إسرائيليات كثيرة لا تُحصى. فكلّ الأخبار التي أسكنت داود وسليمان في (بيت المقدس) أخبار توراتية كاذبة. وكلّ الأحاديث النبويّة التي ذكرت أن سليمان بنى (بيت المقدس) أو (بنى المسجد الأقصى) منقولة عن التوراة ولا تصح نسبتها إلى رسول الله ﷺ.

وجدّد المسلمون في عهد الوليد بن عبد الملك بناء المسجد الأقصى، وتتابع ملوك المسلمين على ترميمه وتجديد بناياته، وتعددت منشآته

ومعالمه.. فللمسجد أبواب، وفيه قباب، ومحاريب ومآذن.. وكان لابُدَّ لكل معلم من اسم، فاختير لبعض المعالم اسم داود، أو سليمان، قد يكون اختيار الاسم مرتجلا لا يعني إلا التبرّك بهذا الاسم، لأنه ورد في القرآن، وقد يكون هذا الاختيار جاء من وحي التأثير التوراتي..

ومن هنا دخل الوهم إلى نفوس المؤرخين العرب في العصر القديم والعصر الحديث، فظنوا هذا الاسم دلالة على صلة تاريخيّة للاسم بالمسمّى.. ولذلك قلتُ في بداية المقدمة (التاريخ صعبٌ وطويل سلّمه) وتاريخ القدس أشدُّ صعوبة، إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه. وما أكثر الملقبين بلقب (المؤرخ) وهو لا يعرف من التاريخ إلا الجمع والاحتطاب.. وما أكثر الذين كتبوا في تاريخ القدس ولكنهم يقعون في أوحال خرافات الأعداء، فيزلون إلى الحضيض، ويزلُّ معهم قرّاؤهم.. ومن هؤلاء المؤرخين من نصب نفسه مدافعًا عن تاريخ القدس، وعن عروبة القدس وإذا به كالدُّب الذي أراد أن يذبّ الذباب عن وجه صاحبه فقتله. وينطبق هذا على كلِّ مَنْ ألف في تاريخ القدس، من الأفراد، أو المؤسسات الوطنية.. حيث جعل هؤلاء كتاب اليهود (التوراة) مصدرًا لتاريخها القديم قبل الميلاد، وزادوا عليها مصادر خرافية من إنشاء أوهام الناس.. ومن العجيب أن الخرافات اليهودية مصدر لليهود في إثبات وجودٍ تاريخيّ. والخرافات اليهودية يرجع إليها أيضًا المؤرخون العرب الذين يدافعون عن عروبة القدس.. فكيف يستقيم الشاهد والدليل؟!

لقد كُتبت آلاف الصفحات في تاريخ القدس وفضائل المسجد الأقصى ولكنَّ الكُتّاب لم يكونوا على درجة من الوعي بأهداف التاريخ

ومراميه. كَتَبَ القدماءُ فلم يتحروا الصحة في الرواية والنقل، وجمعوا في كتبهم أكداسًا من الخرافات الإسرائيلية اليهوديّة، ولم يكونوا يدركون يومها أن ما كتبوه، سيكون حجة على المسلمين وليس حجة لهم: كتبوا ما كتبوا من باب (الفضائل) لترغيب المسلمين في زيارة بيت المقدس، والمحافظة عليه، حيث ظهرت أكثر هذه الكتب بعد الاحتلال الصليبي، وبعد تحريرها على يد صلاح الدين. وكان يكفي المسلمين فهم دلالات الآية الأولى من سورة الإسراء، لجعل المسلمين يقدسون (بيت المقدس) ويدفعون الأعداء عنه.

وأما المؤلفون العرب الذين كتبوا في تاريخ فلسطين والقدس في العصر الحديث فقد تأثروا بما كتبه الغربيون (الأوربيون والأمريكان).. والمعروف أن كتابات الغربيين عن فلسطين مشحونة بالكذب والتزييف: والكذب في مذهبهم عبادة يدفعهم إليه الهوى الحاقد، وكراهية العرب والمسلمين، فهؤلاء الذين كتبوا عن فلسطين، لا يخرجون عن واحد من ثلاثة رجال، أو من ثلاثة أصناف، يجتمعون على رأي واحد:

الأول: المؤلفون اليهود، وأنا لا أُفرق بين اليهوديّ، واليهودي الصهيوني، فكلهم (مخلصون) لمبدأهم، وكلهم يكرهون الجنس العربي - المسلمين والمسيحيين - ويكرهون العرب المسلمين بخاصة منذ أن ظهر فيهم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم.. ابن إسماعيل بن إبراهيم. لم تفتر عداوتهم للجنس العربي قبل الإسلام وظهرت هذه العداوة بعد الإسلام.. والكذب دينهم فيما كتبوه قبل ميلاد المسيح، فيما

سموه (التوراة) والكذب عقيدتهم فيما كتبوه عن فلسطين والقدس في العصر الحديث، وخصوصًا بعد ظهور الحركة الصهيونية وتكريس جهدها لنقل يهود العالم إلى فلسطين حيث وضعوا أيديهم على الآثار، وسيطروا على الكليات والمعاهد التي شُغلت بآثار فلسطين، فجاءَت الدراساتُ الأثرية توراتية خالصة، تؤيد كلَّ ما جاءَ في التوراة من أكاذيب.

الصنف الثاني من الباحثين الغربيين في تاريخ فلسطين: البروتستانت الذين جمعوا بين التوراة والإنجيل تحت عنوان (الكتاب المقدس) وأطلقوا على التوراة (العهد القديم) والإنجيل (العهد الجديد) وآمنوا بكل ما في التوراة بعد أن تلقنوه في صغرهم.

ويُنظر في الغرب عمومًا إلى الديانة اليهودية على أنها منبع الحضارة الغربية.. ومن هنا نشأت فكرة البحث عن (إسرائيل القديمة) بوصفها منشأ الحضارة الغربية. وهذه فكرة متأصلة في الوعي والوجدان الغربي على جميع المستويات. فالشخص العادي ينشأ وهو يرتل منذ صغره التراتيل الدينية حول (إسرائيل) وبيت لحم، والناصرة وبالتالي يصعب استئصال مثل هذه الأفكار من الضمير الغربي.

والصنف الثالث من الباحثين الذين أعماهم الكره الصليبي لكل العرب والمسلمين. فقد كتب أحد الأوربيين يقول: (إن قيام المؤسسة المسيحيّة الغربية - في القرون الوسطى - قد ترافق زمنيًا مع المدة عينها التي واجه فيها أسلافنا قيام الدولة العربية الإسلامية.. وهكذا استمدت أعظم قصائد الفروسية موضوعاتها من المعركة المسيحية ضد هرطقة

العرب المحمديين المحمومين.. إن أطفال المدارس في الغرب يقرأون منذ قرون عديدة قصة (رولان) ومع أن أعداء (رولان) الحقيقيين كانوا مسيحيين، فإنهم يظهرون لنا على أنهم من العرب المسلمين الوحوش.. لقد انتهى إلينا هذا الشعور بالخطر والتهديد الديني من خلال أساطير الحروب الصليبية.. إننا نجد - يقصد الغربيين - أن مفاهيم الشجاعة والوطنية والشرف والتبشير في الثقافة الغربية إنما تستمد جذورها من هذا الموقف العدائي ضد العرب والإسلام.. إن الصورة التي يحملها الغربيون حاليًا - في القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين - والتي ما تزال عميقة الغور في وعيهم الباطن، يمكن تحديدها على النحو التالي: العربُ برابرة، إنهم أعداء المسيحيّة، ليس لأنهم مهرطقون فحسب، ولكن لأنهم يقتلون جميع المسيحيين.

ومن خلال هذه الصورة الرهيبة الكامنة في خلفية العقل الأوروبي المعاصر، تم الإعداد في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي لتجهيز الصليبية الصهيونية الراهنة التي تتصل بألف سبب بالصليبية الماضية مهما تبدلت الشارات على صدور المقاتلين، وما الحرب التي تقودها أمريكا سنة 2002 على ما يسمى (الإرهاب) إلا امتدادًا للصليبيّة، وقد جاءَت تعبيرًا عفويًا على لسانِ جورج بوش الابن عندما قال: (إنها الحرب الصليبيّة).. فكيف نأمن هؤلاء على تاريخ القدس، ونأخذ عنهم نتائج أبحاثهم ونروي أباطيلهم؟!

ولذلك قلتُ: التاريخ صعبٌ، وطويل سلمُه، يرتقي فيه الذي لا يعلمه يريد أن يعربه فيعجمه،وتزلُّ به إلى الحضيض قدمه..

وقد زلّتْ أقدام رجال من العرب، يُشار إليهم بالبنان، ويُعدُّون من (المؤرخين العرب) ومما يؤلمُ النفسٍ أن يكون بعض هؤلاء من الذين يشار إليهم بالعلم والتدبرّ. وأذكر مثالاً:

الكتاب: عروبة القدس. تأليف الدكتور: إسحاق موسى الحسيني أصدره في طبعته الأولى: مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية سنة 1969.

وصدرت الطبعة الثانية سنة 2000 عن دار القلم بدمشق لصاحبها محمد علي دولة. تحت عنوان: (مدينة القدس: عروبتها - ومكانتها في الإسلام).

أنقل إلى القارئ بعض المغالطات التي وقع فيها الكاتب، يقول: (ص 65 - وما بعدها - تحت عنوان (الآثار الإسلامية في بيت المقدس قبل الفتح العمري) ومع ذلك فهو يتحدث تحت هذا العنوان عن (الآثار اليهودية) المزعومة، وسوف يقرر بعد قليل أن الآثار الإسلامية، هي عينها (الآثار اليهودية) بمعنى أن المسلمين أخذوا الآثار اليهوديّة، وحوّلوها إلى آثار إسلاميّة،لأن الإسلام وريث الأديان السابقة..

وهذا كلام يشير إلى جهل قائله بالتاريخ، لأن المسلمين لم يأخذوا آثار أهل الكتاب، بل أبقوا أهل الكتاب على حالهم يؤدون شعائرهم في معابدهم، والدليل على ذلك وجود الآثار المسيحية بأيدي أهلها، وكنيسة القيامة في القدس، وكنيسة المهد في بيت لحم تشهدان على ذلك. أما

اليهود فلم يكونوا موجودين في القدس يوم الفتح، ولم تكن لهم آثار ومعابد، فلم يأخذ المسلمون من معابدهم شيئًا.

ويبدأ المؤلف الباب بخبر عن عطاء الخراساني قال: (بيت المقدس بنته الأنبياء، وعمرته الأنبياء..) وهذا خبر لا يصحُّ لأن عطاءً الخراساني بعيد عن زمن بداية عمران بيت المقدس ولم يرفع الخبر إلى النبي ﷺ . وإذا لم يكن في القصة وحي من السماء فهي مردودة إلا إذا أثبتها التاريخ. التاريخ لم يذكر أن نبيًا من الأنبياء الذين نعرفهم قد بنى حجرًا في بيت المقدس. والأنبياء الذين نعترف بوجودهم هم الذين ورد ذكرهم في القرآن والحديث الصحيح. ولم يذكر القرآن والحديث الصحيح أن نبيًا من الأنبياء عاش في القدس، أو بنى حجرًا في القدس وكل ما ثبت عندنا أن النبيَّ محمدًا صلى بالأنبياء في المسجد الأقصى ليلة الإسراء. والنبيّ الوحيد الذي نعرف أنه أمضى مدة من عمره في القدس هو عيسى عليه السلام، وهو ليس من أنبياء اليهود، ولم يُعرف أنه بنى معبدًا في القدس. والحديث الصحيح الذي رواه البخاري يؤرخ لبناء المسجد الأقصى قبل عصر إبراهيم بآلاف السنوات، وقد ألهم الله المؤمنين الموحدين بعمران بقعة القدس المباركة.. وأما القول أن سليمان بنى معبدًا في القدس فهو من كلام التوراة الكاذبة، وكلّ خبر أو حديث إسلامي يذكر أن سليمان بنى مسجدًا، فهو مأخوذ من توراة اليهود الكاذبة أو ما يسمى (الإسرائيليات) ويقول ص66: (ولسنا نعرف الصورة التي كان عليها هيكل - مسجد سليمان - .. (ويتابع قائلاً)

(ولكن إذا قسنا الماضي بالحاضر تبين لنا أن الموسويين (يريد اليهود وهم ليسوا موسويين) كانوا أقل عناية بالتعبير الفني عن مشاعرهم الدينية من المسيحيين والمسلمين.. قال: وربما يسترعي النظر فيها ضخامة الحجارة والأعمدة كما يُشاهد في سور الهيكل القديم المعروف بالمبكى).

قال أبو أحمد: وهذا الكلام يبذل اليهودُ ملايين الدولارات لنشره بين الناس، فأتاها على طبق من الياقوت مجانًا على لسان مَنْ يزعمون أنهم حُماة القدس (فصار حاميها حراميها).

فهو يعترف بوجود هيكل لسليمان في القدس، ويسميه مسجدًا مع أن كثيرًا من علماء التاريخ والآثار الأوربيين والأمريكان قرروا أن الهيكل خيال محض، لم يكن له وجود.

وقال: إنهم لا يزخرفون معابدهم كما يزخرف المسلمون مساجدهم.. وهذا يدل على جهل بالعقيدة الإسلامية التي تكره زخرفة المساجد، وإنما طرأت الزخرفة في قرون بعيدة عن عصر الإسلام الأول.

وثالثة الأثافي وداهية الدواهي قوله (كما يشاهد في سور الهيكل القديم المعروف بالمبكى..).

فأية خدمة لليهود أكبر من اعتراف مسلم مقدسي، واعتراف دائرة أبحاث فلسطينية، بأن حائط البُراق، حائط المسجد الأقصى هو من هيكل سليمان القديم.. وبعد أربعين سنة من هذا الاعتراف يأتي

الناشر المسلم محمد علي دولة - صاحب دار القلم - فيعيد نشْر الكتاب في زمن انتفاضة الأقصى سنة 2000؟

وقال ص67: وعلى ذلك يصح القول: إن معظم الآثار الموسوية في بيت المقدس قد درست، وأضحت كباقي الوشم في ظاهر اليد..

وهذا كلام باطل، لأنه ليس لليهود آثار في القدس، ولم يكن لهم عبر التاريخ آثار ليبقى منها شيء كباقي الوشم في ظاهر اليد.

وقال ص67: وقوله هذا من الكبائر، ويخبر عن جهل تام بالقدس وتاريخ القدس، وأن المؤلف واقع في أوحال كتاب التوراة فلم يستطع التخلص منها.. قال: على أن الإسلام حافظ على ما بقي منها بعد أن عدَّها من آثار أنبياء الله، وبالتالي من آثار الإسلام نفسه..).

قال أبو أحمد: إن هذا الكاتب يجعل الآثار الإسلامية تخليدًا وتجديدًا لآثار اليهود.. وإذا كان الأمر كذلك فلماذا ندفع اليهود عنها، وهم أحياء، أليسوا بأحقّ من المسلمين بها؟ لو ترجم اليهود هذا الكلام ونشروه في أوروبا وأفريقيا منقولاً على لسان الدكتور إسحاق الحسيني، وهو مَنْ هو؟ فبم يحكم هؤلاء على العرب الذين يحاربون اليهود، ويطلبون أن تكون القدس عاصمة للدولة الفلسطينية؟ سيقولون إن اليهود أَوْلى من العرب بأن تكون القدس كلها عاصمة أبديّة لليهود.. بل إن المسلمين العجم يحكمون بهذا لليهود، بناءً على اعتراف المسلمين المقادسة، بل هو اعتراف من مؤرخ مسلم ينتمي إلى آل الحسيني الأشراف.. وماذا سيقول الناس في الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين

وزعيم الحركة العربية في فلسطين التي كانت تجاهد لطرد اليهود من فلسطين؟!

ويعترف المؤلف ص67 بأن المسجد الأقصى مبني أو قائم على آثار هيكل سليمان فيقول - كبرت كلمة تخرج من أفواههم - (ومن أقدم الآثار الموسوية التي رعاها المسلمون وعدوها جزءًا من تراثهم الديني مسجد سليمان، وهو المعروف عند المؤلفين الغربيين بهيكل سليمان).

وماذا يريد اليهود بعد هذه الشهادة: إنهم يقولون للعالم (وشهد شاهد من أهله) فهاهو: إسحاق موسى الحسيني الفلسطيني المقدسي ابن عمّ الحسيب النسيب الشريف الحاج أمين الحسيني. يعترف بأن المسجد الأقصى هو الهيكل.. ووضعتْ منظمة التحرير الفلسطينية خاتمها على هذا التقرير ومثّل منظمة التحرير في التوقيع على هذا الاعتراف أعلى هيئة علمية فيها،و هي: (مركز الأبحاث).

نحن نرفض ونتكر أن يكون لليهود وجْه من وجْهي حائط في بناء المسجد الأقصى، وإذا بمنظمة التحرير تقرُّ بأن المسجد كله من آثار اليهود.

ويتابع المؤلفُ ذكْر الأمثلة من الآثار اليهودية التي حولها المسلمون إلى آثار إسلامية، فيقول ص68 فيقول: (ومما يسترعي النظر في صحن الحرم (قبة السلسلة) المجاورة لقبة الصخرة من جهة الشرق وهذه السلسلة تُنسب إلى سليمان بن داود وقد كُتِب فوق محرابها: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾ (ص: 26).

قال أبو أحمد: ومما يسترعي النظر في كتاب (عروبة القدس) لمؤلفة إسحاق الحسيني، أن المؤلف (عفّ الضمير ولكن فاسق النظر) يعني أن نيته صادقة في حبّ القدس، ولكن يعصي المحبوب، وكما قال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تذكر حُبَّه هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقًا لأطعته إنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيع

فالحبُّ يُوجب المعرفة والعلم، والعلم شرط في القول والعمل.. فلا يكفي المسلم أن يكون مؤمنًا بالله، لأن الإيمان يفرض معرفة حدود الله، لاجتناب المحرمات، وعمل الصالحات.

وصاحبنا إسحاق الحسيني، يحبُّ القدس ويؤمن أنه من ملك العرب والمسلمين، ولكنه لم يتسلح للدفاع عن حبّه، ومحبوبه، بل وقع في البدع والخرافات، فضلَّ وأضاع المحبوب.

فقبة السلسلة التي تُنسب إلى سليمان بن داود، كما يزعم: ذكر الحنبلي في كتاب (الأنس الجليل) أن الذي بناها هو (عبد الملك بن مروان) لتكون مثالاً للشكل الذي يريده لقبة الصخرة. وروى الحنبليُّ أيضًا أن سليمان بن عبد الملك، عندما أتته الخلافة وهو في الرملة، صعد إلى القدس، وجلس تحت قبة السلسلة، لاستقبال المبايعين والمهنئين.

وأما سبب إضافة القبة إلى السلسلة، وكتابة الآية (يا داود) فهو مبني على خرافة نقلها عبد الغني النابلسي الذي يقدس الخرافات عن كتاب (إتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى) للسيوطي المنهاجي

(813 - 880هـ). وهذا السيوطي ملأ كتابه بالخرافات والإسرائيليات، والأحاديث الموضوعة.. فالسلسلة كما يزعم السيوطي كانت معلقة من السماء إلى الأرض شرقي الصخرة، وأنه كان يمتحن بها الصادق من الكاذب، فالصادق ينالها ولو كان قصيرًا، والكاذب لا ينالها ولو كان طويلاً، وأن هذه السلسلة قد ارتفعت، عندما وقع المكر بين الناس وخبثت البواطن. ويزعم أنها كانت زمن داود.. ومن حقها حسب الخرافة أن تنسب القبة إلى داود، وأما إضافتها إلى سليمان، فيظن أنه سليمان ابن عبدالملك لأنه جلس تحتها يوم البيعة..

فانظر كيف جعل المؤلفُ الخرافة تاريخًا، وملّك القبة إلى اليهود..

ويتابع المؤلف سرد أدلته على التراث اليهودي، فيقول ص68: (وأبلغ من ذلك - يعني أبلغ من سلسلة سليمان - دلالة أن المسلمين أنشأوا مسجدًا في مكان يسمى (مقام النبي داود) على ربوة من جبل صهيون.. قال: ويذهب بعض المؤرخين إلى أن في هذا المقام بئر النبي داود - كشمس الدين المقدسي، ومجير الدين الحنبلي، وعبدالغني النابلسي..).

قال أبو أحمد: وهذا الشاهد أبلغ مما سبق في الدلالة على جهل المؤلف:

فقصة قبر داود، أو مقام داود أول مَنْ اخترعها النصارى، وهم أول مَنْ بنوا عليه قبة، ثم أخذه المسلمون منهم، ثم عاد إلى النصارى، ثم أخذه المسلمون وهكذا دواليك.

وانظر قصته في كتاب (الأنس الجليل) جـ2/ص349 وما بعدها. ومجير الدين الحنبلي لم يقرر - كما زعم المؤلف - أنه قبر داود، وإنما استعمل أسلوب (قيل، ويُقال) وهذه الصيغة لا يُبنى عليها تاريخ ويبدو أن هذا المكان كان في أوائل العهد التركي بيد النصارى، ثم حوله سليمان القانوني إلى مسجد حيث كان هناك بلاطة على بابه تقول: أمر بتطهر هذا المكان وتنظيفه من المشركين وعمله مسجدًا.. سلطان الأنام سليمان بتاريخ 936هـ. وذكر بدكر في دليله أن هذا المكان كان عام 1333 ملكا للفرنسيسكان.

وإذا قال الحنبلي والمقدسي والنابلسي هذا قبر داود.. هل نأخذ بأقوالهم؟ إننا نقول لمن يروي ذلك (من أين لك هذا) وبينك وبين داود آلاف السنين ولم يثبت في القرآن والحديث الصحيح أن داود عاش ومات في القدس، ولم يعثر المنقبون الأثاريون على حجر بمقدار بندقة يدل على وجود داود ومملكته وسليمان وملكه في القدس.. إن قصة داود في القدس من خرافات التوراة اليهودية الكاذبة.

ويذكر المؤلف أيضًا ص68 جامع قبة موسى.. في داخل الحرم. وقد قال مجير الدين الحنبلي: وأما القبة التي تجاه باب السلسلة المعروفة بقبة موسى، ليس هو موسى النبيّ، ولم يصح خبر في نسبتها إليه، والذي أمر بعمارتها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة 649هـ. ويذكر جامع كرسي سليمان.. وهو من الخرافات.

وبعد أن عدد المؤلف آثار اليهود في القدس قال: (هذا عدا الآثار التي تقع خارج بيت المقدس ومن أشهرها مقام نبي الله إبراهيم في المدينة

المسماة باسمه (الخليل) وفيه مسجد كبير).. وهذا النص يجعل الحرم الخليلي، ومدينة الخليل من التراث اليهودي الذي استولى عليه المسلمون.

فلماذا إذن نصرخ ونستغيث لأن اليهود استولوا على ثلاثة أرباع الحرم الخليلي، فهو من تراثهم كما يزعم الحسيني، وقد عادوا إلى تراثهم واليهود أهل سماحة وكرم، لأنهم سمحوا للمسلمين بالصلاة في حرم الخليل، أو في جزء منه بعض الأيام، أو بعض الفروض!!

ويذكر المؤلف ما جاء في الوثيقة العمرية (ألاّ يسكن بإيلياء معهم - أي مع النصارى - أحد من اليهود).

ويسأل: ولِمَ هذا النصّ؟ ويجيب: أن المسيحيّة أبطلت العرقيّة التي كان يؤكدها بنو إسرائيل ويتفاخرون بها.. ومن هنا كانت القطيعة التي نصَّ عليها عَهْد عمر، (بطلب من البطريرك في أغلب الظن) أما أن هذا الشرط كان بطلب من البطريرك فهذا صحيح. ولكن تفسير هذا الطلب عجيب غريب..

فالأخبار التاريخيّة تذكر أن الفرس احتلوا القدس سنة 611 وأعانهم اليهود على ذلك.. وقَتَل اليهودُ آلافا من نصارى القدس وهدموا كنائس النصارى وأديرتهم.. وفي سنة 628 غلبت الرومُ الفرسَ بإذن الله على يد هرقل ملك الروم.. وقرر البطاركة في القدس ألا يبقى فيها أحد من اليهود، وألا يسمح لهم بدخولها وجاء الفتح العربي، وهم كذلك.. فطلب النصارى أن يُضمن هذا المنع في الوثيقة التي كتب فيها العهد، وبقي هذا النصُّ معمولاً به إلى أوائل العصر التركي..

وفي نهاية هذا الفصل يقرر المؤلف: (أن الإسلام هو الوريث الشرعي لتراث الأنبياء، لأنه آمن برسلهم وآخى بينهم، وبالتالي ورث المسلمون في بيت المقدس المقدسات الموسويّة، وحافظوا عليها جزءًا لا يتجزأ من تراثهم الروحي..). وهذا الكلام فيه حقٌّ وفيه باطل: أما أن الإسلام هو الوريث الشرعي لتراث الأنبياء، فهو الحقّ.. ولكن المقصود بالتراث، هو عقيدة التوحيد التي دعا إليها الأنبياءُ جميعًا، وهذا معنى الحديث (العلماء ورثة الأنبياء..).

أما أن المسلمين ورثوا المقدسات الموسويّة: فهو الباطل.. لأن اليهود لم يكن لهم كُنُس أو مباني دينيّة في القدس.. ولكن القول بأن الإسلام هو الوريث الشرعي لتراث الأنبياء، إنما هو خطابٌ للمسلمين ولمن آمن برسالة الإسلام، وليس حجة لنا عند النصارى واليهود، لأنهم لم يؤمنوا بالوحي المحمديّ.

ولذلك، فإن قوله إن المسلمين ورثوا المقدسات الموسويّة في القدس يُعدُّ حُجة علينا، يدعم المزاعم اليهوديّة في حقّ عودة اليهود إلى تراث الأجداد، وهو مادة إعلاميّة ممتازة يبثها اليهودُ في أوروبا وأمريكا لكسب التأييد.. وهذا الذي كان.. فالعنوان المعقود في كتاب (عروبة القدس) (الآثار الإسلامية في بيت المقدس قبل الفتح العمري) تحدث فيه المؤلف عن الآثار اليهودية، وحقّه أن يُسمّى موضوعيًا (الآثار اليهوديّة في بيت المقدس قبل الفتح العمري). فهذه الآثار - على فرض وجودها كما زعم إسحاق الحسيني - لا توصف بأنها إسلاميّة، قبل الفتح العمري، لأن

الإسلام بالمعنى الاصطلاحي دخلها بعد الفتح.. ولا أدري إن كان هذا العنوان من وضْع (دار القلم) فورطت فيه المؤلف وزادت في طنبور إسحاق الحسيني نغمًا نشازًا.

وفي الكتاب أخطاء وسقطات وهنات كثيرة، لستُ بسبيل حصرها، وإنما ذكرتُ ما ذكرتُ، واخترتُ ما اخترت مثالاً للمؤرخ يرتقي في سُلّم تاريخ القدس وهو لا يعلمه، فتزلُّ به إلى الحضيض قدمه، فيقتل نفسه، ويقتل القدس..

ولم يكن إسحاق الحسيني وحيدًا في اتباع الخرافات اليهودية والوقوع في فخ الإسرائيليات القديمة والحديثة، بل والجري وراء أوهام العامّة من المسلمين.. لم يكن الحسيني وحيدًا في إدخال الوهن إلى نفوس العامة من العرب والمسلمين، وتثبيط العزائم عن مناصرة المجاهدين لانتزاع القدس من براثن اليهود.. وإذا كان كتاب (عروبة القدس) قد رعتْه ونشرته دائرة الأبحاث في منظمة التحرير، وكان فيه ما ذكرنا بعضه، فإن هناك كتابًا تحت عنوان (القدس) من تأليف الدكتور حسن ظاظا: نشرته جامعة الإسكندرية، ثم أعاد نشره مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ثم أعادت نشره مجلة الفيصل السعودية مفردًا هدية مع عدد خاص بالقدس.. ثم أعاد نشره محمد علي دولة في منشورات دار القلم.. والمؤلف حسن ظاظا مسلم عربيّ مصري تخرّج من (الجامعة العبرية) اليهودية.. ويزعم أن في هذا الكتاب (موجز التاريخ الصحيح لمدينة القدس) والحقيقة أنه ينطلق من فكر يهوديّ، ويعتمد

على التوراة والتلمود مصدرين أساسين.. وهو جاهل بالتاريخ العربي الإسلامي وجاهل بقواعد الشرع الإسلامي.. ولن أتتبّع هفوات هذا الكتاب، فكله هفوات وعورات، ويكفي أن أذكر مثالاً واحدًا، كذب فيه على التاريخ الإسلامي وعلى عمر بن الخطاب، وعلى الشرع الإسلامي..

فتحت عنوان (الفتح الإسلامي لمدينة القدس) يذكر المؤلف موجز العهدة العمرية التي طالب فيها المسيحيون (الإبقاء على الحرية الدينيّة للمسيحيين واحترام المشاهد المسيحيّة المقدسة واستمرار القرار الروماني القديم بمنع اليهود من النزول بالمدينة) (ص95 من طبعة دار القلم).. ثم قال حسن ظاظا ص96: وقبِلَ عمر الشروط كلها إلا الشرط الأخير (وهو منع اليهود من النزول بالمدينة - القدس) معتذرًا (أي: عمر) بأن القرآن قد حدّد ما لأهل الكتاب وما عليهم وليس في القرآن شيء يسمح بهذا، ولكنه تعهّد لمسيحي القدس بألا يدخل أحد من اليهود إلى مقدساتهم أو يسكن في حاراتهم.. أ.هـ. كلام ظاظا.

فقوله: قبِلَ عمر الشروط إلا الشرط الأخير: كذب فيه على التاريخ وكذب على عمر بن الخطاب. فالمؤلف لم يذكر لنا مصدره وسنده مع أن كلّ مَنْ روى العهد العمري من المؤرخين العرب لم يذكر أن عمر استثنى شيئًا من العُهدة.. بل يذكرون هذا الشرط (ألا يساكنهم..) من العهدة التي أعطاها عمرُ لأهل القدس.. ولم ينكر هذا الشرط أحد من المؤرخين أو الفقهاء، في العصر القديم والعصر الحديث. وقوله: وليس في القرآن شيء يسمح بهذا.. (هذا قول من لا يعرف مضمون السنّة النبوية ومكانتها من التشريع، وآثار الصحابة وما قضوا وحكموا به).

وخلاصة ما يُقال في تأريخ القدس والمسجد الأقصى بخاصة: في القرون التي سبقت الإسلام ملئ بالقصص بالخيالية، والخرافات، والأحاديث الموضوعة، والإسرائيليات، واليهوديات، ولا يستطيع الخوض فيه إلا المؤمن المحصّن اليقظ الذي يميّز بين المصادر والروايات: فتوراة اليهود ليست مصدرًا للتاريخ، لأنها مقطوعة عن الصلة بالتوراة التي نزلت على موسى، ولأن أحداثها مختلقة خرافية أسطورية.. والكتب التي تصدر عن المؤسسات اللاهوتية في أمريكا وأوروبا، تأخذ عن التوراة، ومؤلفوها أعماهم الهوى والعصبية والصليبية وكراهية العرب والمسلمين، ولا يعترفون للعرب والمسلمين بحقّ الوجود في هذه الدنيا.

ولم أُصدر حكمي على هذه الكتب عن عصبية دينيّة أو قومية فأنا أحذّر من المصادر الأوروبية والأمريكية، وأحذر أيضًا من الكتب العربية والإسلاميّة - أي التي كتبها مسلمون - فكتب تفسير القرآن الكريم اعتمدت على الإسرائيليات في شرح قصص الأنبياء، وأخذت كلَّ ما في التوراة، وفي أمثلة كثيرة فسّروا القرآن بالتوراة، ورجحوا قولاً على قول بناءً على ما في التوراة: (انظر كتابنا (التضليل التوراتي)). وكتب التاريخ العربي القديمة نقلت عن التوراة قصص الأنبياء السابقين وكُتُب الفضائل - فضائل المسجد الأقصى - تعجّ بالإسرائيليات والأحاديث الموضوعة، فلا يُركن إليها في التأريخ. وتاريخ القدس قبل الإسلام يوجز في كلمات يسهل حفظها وتلقينها إلى أبنائنا؟

إن اليهود يجعلون بداية وجودهم في القدس من زمن داود وسليمان (حوالي 1000 ق.م) ... ونحن نقول: إن داود وسليمان لم

يسكنا القدس لأن القرآن والحديث الصحيح لم يثبت وجودهما في القدس وفلسطين إنما وُجدا في مكان ما من العالم، ولكنه ليس القدس. وقد أيّد علم الآثار هذا النفي.. حيث لم يوجد لهما أثر تحت وجه الأرض، أو فوق وجه الأرض.

وقد وُجدت آثار العرب الكنعانيين اليبوسيين الذين عاشوا في القدس قبل الزمن المفترض لوجود داود بآلاف السنين.. كما وُجدت آثار العرب المسلمين، وما زالت شاخصة ناطقة وإذا انتفى وجود سليمان وداود في القدس، انتفى وجود (الهيكل) لأن الهيكل الموصوف في كتاب التوراة، لا يمكن أن يكون قد وُجد على وجه الأرض، فهو خيال محض مغرق في الأسطورة والخرافة. ولما عجز اليهود عن إيجاد أثر يدل على هيكلهم وأكاذيبهم استعملوا القوة العسكريّة للاستيلاء على البلاد وطرد العرب.. ونحن - العرب - لا نملك القوة العسكرية اليوم للدفاع عن القدس ولكنا نملك ما هو أقوى من القوة العسكريّة: نملك العقيدة الراسخة بأن القدس عربية إسلاميّة، ولن تكون إلا للعرب والمسلمين، ولو هدموا المسجد الأقصى وبنوا فوقه الهيكل المزعوم، لأن المسجد الأقصى ليس بناءً، وإنما أرض مباركة، لا تعرف لغة غير العربية ولا تعرف دينًا غير الإسلام.

يُروى أن كثيرًا من أصحاب صلاح الدين قد ألحّوا عليه لتدمير كنيسة القيامة بعد فتح القدس، فقال: إن المسيحيين يجلّون الموضع لا البناء. ونحن نقول: إننا نجلُّ أرض المسجد الأقصى أما البناء، فقد

تبدلت أحواله عبر العصور. والمسجد الشرعي، هو مكان السجود وقد قال رسول الله: (وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورا...) والكعبة التي نراها اليوم في مكة، ليستْ هي البناء الأول، وليست البناء الذي رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل، فقد هُدمت وبنيت مرات عبر القرون في المكان الأول نفسه.

وفي ختام هذه المقدمة، أُوجّه نداءً ورجاءً إلى الكُتَّاب والمؤرخين العرب والمسلمين، وإلى الواعظين وخطباء المساجد ورُواة الحديث النبوي، وإلى المؤمنين بعروبة القدس، وإسلاميته إلى هؤلاء جميعًا أوجّه النداء (كفّوا أقلامكم وألسنتكم عن تاريخ القدس والمسجد الأقصى) فيكفي تاريخ القدس منكم الإيمان المطلق بعروبته، والصدّ عنه بقلوبكم فإذا تعديتم ذلك إلى (القلم) واللسان، وقعتم في حبائل (اليهوديات) القديمة، واليهوديات الحديثة والتخلص من حبائل الأكاذيب اليهودية التي تخللت في المصادر التاريخيّة والدينيّة، أمرٌ عسير لا يقوى عليه إلا مَنْ فتح عليهم الباري بالقدرة على تقويم أسانيد الأخبار ومتونها، فيقرون الحقيقة التاريخيّة، وينفون الخرافات والأساطير والأوهام. ونرجو أن نكون ممن فتح الله عليهم في هذا الكتاب الذي نقدمه بعنوان (القدس: أسسها العرب، ورفع قواعدها المسلمون).

محمد محمد حسن شُرّاب

الباب الأول

حول المسجد الأقصى

بلاد العرب (جزيرة العرب)

بلاد العرب - في العصر الجاهلي - تمتد؛ في رقعةٍ من الأرض واسعة ذات بقاع متباينة، تختلف بيئاتُها الطبيعية اختلافاً يكاد يجعل منها مواطن متعددة، وإن كانت مع ذلك، وطنًا واحدًا متماسكا. فما بين خليج عدن - أو المحيط الهندي - في أقصى الجنوب إلى أقصى سورية في الشمال، وما بين الخليج العربي ونهري دجلة والفرات في الشرق، إلى البحر الأحمر، بل إلى نهر النيل في الغرب، كانت تسيح أُمة العرب العريقة، في الأغوار والأنجاد وفي السهول وفوق قمم الجبال، وفي أجواف الصحارى، وعلى سواحل البحار.

وهذا التحديد لبلاد العرب قديم جدًا، حيث كان الفراعنة والآشوريون يقصدون بالعرب أهل البادية في البقعة الممتدة بين الفرات في الشرق والنيل في الغرب، ويدخلون فيها - عدا بادية العراق والشام وشبه جزيرة سيناء - صحراء مصر الشرقية، ما بين وادي النيل والبحر الأحمر وقد كانت بلاد العرب في عصر جيولوجي مبكر متصلة في جنوبها عند اليمن بأفريقيا، فكان البحر الأحمر آنذاك بحيرة داخلية، وكان بذلك نهر النيل هو الحدّ الغربيّ لبلاد العرب.

وسماها العرب القدماءُ (جزيرة العرب): وأقدم لفظ جاء في حديث رسول الله حيث قال: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب) وبوّب البخاري في صحيحه (باب إخراج اليهود من جزيرة العرب) وصنّفَ الهمداني، المتوفى في القرن الرابع الهجري كتاب (صفة جزيرة العرب). وترجم ياقوت الحموي في (معجم البلدان) لـ (جزيرة العرب) واتفق الهمداني، والحموي على الاسم، وحدوده فقالا، والنص من (معجم البلدان): (وإنما سميت بلاد العرب جزيرة، لإحاطة الأنهار والبحار بها من جميع أقطارها وأطرافها فصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر).

حدود جزيرة العرب:

وأما حدود بلاد العرب التي جعلتها جزيرة فقالا، والنصُّ لياقوت الحموي حيث قال: (وذلك أن الفرات (نهر الفرات) أقبل من بلاد الروم (تركيا اليوم) فظهر بناحية (قنّسرين) وهي بلدة قديمة في أقصى شمال سوريّة. ثم انحطّ على أطراف (الجزيرة[1]) و(سواد العراق[2]) حتى وقع في البحر في ناحية البصرة، (والأُبُلّة[3]) وامتدّ إلى (عبّادان[4])

(1) الجزيرة: اسم أطلقه الجغرافيون العرب على الأجزاء الشمالية من المنطقة الواقعة ما بين النهرين: دجلة والفرات.

(2) السواد: اسم الأرياف في العراق وأُطلق سابقًا على السهول الواقعة بين دجلة والفرات.

(3) الأُبلّة: بضم الهمزة والباء الموحدة، وتشديد اللام: بلدة على شاطئ البصرة وكانت الميناء الوحيد للعراق، ثم تلاشت بعد عمران البصرة.

(4) عبادان: مدينة في غربي إيران على الخليج، مركز تكرير النفط، ومرفأ تصديره.

وأخذ البحر في ذلك الموضع مغربًا مطيفًا ببلاد العرب منعطفًا عليها فأتى منها على (سفوان[1]) و(كاظمة[2]) إلى (القطيف[3]) و(هجر[4]) و(أسياف[5]) و(البحرين[6]) و(قطر) و(عُمان) و(الشِّحْر[7]).

ومال منه عنق إلى حضرموت وناحية (أَبْين[8]) و(عدن) وانعطف مغربًا إلى (دَهْلَك[9]) واستطال ذلك العنق فطعن في تهائم[10] اليمن إلى بلاد (فَرَسان) و(حكم) و(الأشعريين) و(عكّ) ومضى إلى (جُدَّة) ساحل مكة. و(الجار) ساحل المدينة (المنورة) ثم ساحل (الطور) و(خليج أيلة) و(ساحل راية) حتى بلغ ((قُلْزُم[11]) مصر، وخالط بلادها، وأقبل النيل في غربي هذا العنق من أعلى بلاد السودان

(1) سَفَوان: بلدة بين البصرة والكويت، ويقال (صفوان).

(2) كاظمة: على شاطئ الخليج العربي، بقرب الكويت.

(3) القطيف: مدينة على شاطئ الخليج العربي من شرقيّ السعودية، بالقرب من الدمام.

(4) هَجَر: كانت مدينة البحرين، وحاضرتها قديمًا.

(5) أسياف: جمع (سيف) بكسر السين، أي: الشاطئ.

(6) البحرين في كتب الجغرافية العربية القديمة، لا تعني (البحرين) اليوم، التي صارت دولة، وإنما هي المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية.

(7) الشحر: بكسر الشين، ساحل حضرموت.

(8) أَبْيَن: بلدة في نواحي عَدَن.

(9) دَهْلَك: بفتح أوله وسكون ثانيه: قال ياقوت: جزيرة في بحر اليمن وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة.

(10) تهائم: جمع (تهامة) وهي الأرض المحاذية للبحر.

(11) القلزم: بضم القاف والزاي: كانت مدينة على ساحل البحر الأحمر من أرض مصر، وبها سُمّي (بحر القلزم) البحر الأحمر.

مستطيلاً عارضًا للبحر معه حتى دفع في بحر مصر (البحر المتوسط) والشام، ثم أقبل ذلك البحر من مصر حتى بلغ بلاد فلسطين، فمرّ بعسقلان وسواحلها، وأتى (صور[1]) ساحل الأردن. وعلى بيروت وذواتها من سواحل دمشق ثم نفذ إلى سواحل حمص، وسواحل قنّسرين[2] حتى خالط الناحية[3] التي أقبل منها الفرات منحطًا على أطراف قنّسرين والجزيرة إلى سواد العراق).

فبلاد العرب بهذا التحديد تشمل: الحجاز، ونجد، واليمن، وبلاد عُمان ومناطق الخليج العربي، وبلاد الشام كلها (فلسطين، والأردن ولبنان وسوريّة) وجزءًا كبيرًا من العراق، وتمتد شمالاً إلى ما بَعْد حدود سوريّة، متغلغة في الأراضي التركية، ويدخل فيها جزءٌ جاء من مصر حتى حدود النيل. ومَنْ قصرها على دول الخليج العربي واليمن، فقد أخطأ، لأن الجغرافيين العرب جعلوا نهر الفرات في العراق وسورية وتركية من حدودها الشرقية وجعلوا البحر المتوسط يحاذيها من الناحية

(1) صور مدينة على ساحل البحر المتوسط من لبنان. وكانت في التقسيمات الإدارية ميناء للأردن، أو ما كان يسمى (جُنْد الأردن).

(2) قنسرين: كلمة عربية سريانية تعني (قنّ النسور). وهو اليوم موقع أثري، يقع في الجهة الجنوبية الغربية من مدينة (حلب) على بُعْد سبعة كيلومترات من مركز الناحية جنوبًا، وكانت إحدى عواصم الشام.

(3) وقوله: حتى خالط الناحية.. الخ: لعله يريد خليج الإسكندرية، الذي يمتد في اليابسة، فيقرب المسافة بين ماء البحر المتوسط، وماء نهر الفرات فلا يبقى في الشمال بين النهر والبحر، إلا ثغرة بريّة صغيرة. وهذا يجعل حدود الجزيرة العربية تدخل في الحدود التركية.

الشامية (بلادِ الشام) حتى يصل إلى رأس إسكندرون. وما فائدة هذا الامتداد شمالاً إذا لم تكن الأرض من جزيرة العرب؟

فإن سأل سائلٌ: لماذا غلب وشاع في المصادر التاريخية والجغرافية الحديثة أن بلاد العرب التقليديّة هي الحجاز ونجد واليمن؟

الجواب عن هذا السؤال متشعب، وله وجوه، أذكر منها:

أن الدراسات التاريخية والجغرافية المبكرة في أوائل القرن العشرين، كانت تأخذ من المصادر الأوروبية، ذلك أنَّ أساتذة الجامعات تخرجوا من مدارس أوروبا، وكانت مؤلفاتهم ترجمة لأفكارهم الأوروبية، أو ترجمة لكتب أوروبية، وهؤلاء الأوروبيون متأثرون، بل متشربون بالروح اليهودية والصليبية. واليهود والصليبيون لا يعترفون بالوجود العربي في بلاد الشام والعراق، ويعدّون العرب فيها غرباء محتلين، ويصرّون على أن العروبة في بلاد الشام والعراق ومصر موقوتة بالفتح العربي الإسلامي.

وربّما غلّب بعضهم اسم (بلاد العرب) على المناطق التي جاء الإسلام ولا يسكنها إلا العرب. أما بلاد العراق، فكانت مستعمرة فارسيّة، وبلاد الشام كانت مستعمرة روميّة.

وربما غلب اسم بلاد العرب على الحجاز ونجد واليمن، لأن اللسان العربيّ القرشي هو السائد فيها. أما بلاد العراق والشام، فكان فيها مع اللسان العربي القرشي، اللسان العربي الآرامي والسُّرياني. وكان

الباحثون العرب القدماء يظنون أن اللسان الآرامي أعجمي، ولذلك عدّوا أعلام الرجال ممنوعة من الصرف، للعلمية والعجمة، مثل إبراهيم، وإسحاق، ويوسف،وإسماعيل. والحقيقة أن (الآراميّة) لهجة عربية، أو طور من أطوار العربية بعامة.

وعندما أخرجوا بلاد الشام والعراق، من بلاد العرب قبل الإسلام، وقعوا في خطأ تاريخيّ جسيم عند دراسة الجانب الحضاري للعرب.. وخصوصًا الجانب المتعلق بالكتابة، والمعارف العلمية بعامة، حيث يجعلون دائرة البحث مقصورة على الحجاز، ونجد.. فيصدرون أحكامًا ناقصة، لأنها لا تعمُ الجنس العربي في عصوره كافة، وفي جميع الأماكن التي ساد فيها.. مع العلم أن الموروث الحضاري، لا يُبحث عنه في البلاد التي دعيت (بلاد العرب) أو (جزيرة العرب) بخاصة. لأن الوجود العربي لم يكن مقصورًا على (جزيرة العرب) وإنما تعداها إلى أقاليم مجاورة لا توصف بأنها من جزيرة العرب. كما في بلاد المغرب العربي، حيث أقام العربُ الفينيقيّون مستعمرات تجارية.. وكشف علم الآثار عن وجود العرب الفينيقيين في جزيرة (كريت) قبل ألفي عام من الميلاد، حيث وجدوا الكلمات العربية منقوشة على ألواح في الجزيرة.

الجنس العربيُ وحده في فلسطين:

نقلنا في الفقرة السابقة، ما ذكره الجغرافيّون العرب القدماء في تعيين حدود بلاد العرب، وأنهم سمّوها (جزيرة العرب).. والعلة في إعطائها هذا الاسم، أن الجنس العربي معدنها، وساكنها، ومؤسس

قواعد الحضارة فيها، لا يشاركه جنس آخر في هذا العطاء الحضاري.. ومن العلّة أيضًا أن اللسان العربي هو السائد فيها، لم يزاحمه لسان آخر على مرّ العصور. وانتهينا إلى أنَّ بلاد الشام كلها (الأردن، وفلسطين، ولبنان وسورية) داخلة في حدود (جزيرة العرب) ويدخل فيها ما نسيه الجغرافيون في العصر الحديث، وهو بلاد العراق إلى حدود دجلة والفرات، وبلاد مصر حتى حدود نهر النيل. وذكرنا أن جزءًا من جزيرة العرب داخل في حوزة الدولة التركية، إلى حدود جبال طوروس. وقلنا: إن مقام العرب، لم ينحصر داخل حدود جزيرتهم، فقد انساحوا إلى ما بعد حدودها، من البلاد المجاورة، فالمصريون الفراعنة فيما بعد نهر النيل، وسكان المغرب العربي هم من الجنس العربي، أو اختلط فيهم الجنس العربي. وقد رجحت الدراسات التاريخيّة الموضوعيّة، أن مَنْ يسمون (البربر) في شمال أفريقيا يغلب عليهم الجنس العربي، لأن اللغة (البربريّة) ذات صلة وثيقة باللغة العربيّة القديمة (الأُمّ).

وإذا كانت فلسطين جزءًا من (الشام) وثبت أن (الشام) من جزيرة العرب، فإن (فلسطين) من جزيرة العرب، وأن سكانها قبل التاريخ، وبعد التاريخ هم العرب، وأن لسان أهلها هو اللسان العربيّ.

(عربٌ) وليسوا (ساميين):

لأن الله تعالى اختار لهذا الجنس اسم (العرب) وسماهم رسول الله ﷺ (العرب) وجاء الاسم منقوشًا على ألواح الفراعنة والآشوريين وغيرهم.. وتتابع المؤرخون العرب القدماء على تعميم اسم (العرب)

على كلِّ البطون العربية التي سكنت في حدود الجزيرة العربية، فالقرشيّ عربيّ، والقحطاني عربيّ والكنعانيون، والعماليق، والآراميون.. من العرب يشهد لذلك مقولات شيوخ التأريخ العربي، حيث قال الطبري في تاريخه (جـ203/1): (عمليق): أبو العماليق، كلهم أُمم تفرقت في البلاد، وكان أهلُ المشرق، وأهل عُمان، وأهل الحجاز وأهل الشام، وأهل مصر منهم ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يُقال لهم (الكنعانيّون)، ومنهم كانت الفراعنة بمصر وقال أيضًا: (والعماليق قوم عرب، لسانهم الذي جُبلوا عليه لسان عربي).

وقال ابن خلدون في التاريخ (جـ 44/1): (وأما الكنعانيون الذين ذكر الطبري أنهم من العمالقة، كانوا قد انتشروا ببلاد الشام وملكوها) وقال: (أول مُلْك كان للعرب في الشام، فيما علمناه للعمالقة) وقال: (وكانت طسم، والعماليق، وأُميم وجاسم يتكلمون العربية). وقولهم: إن العماليق والكنعانيين كانوا يتكلمون العربية، فيه إقرار بأن اللهجات العربية القديمة (الكنعانية، والآراميّة ...) لهجات عربية، وإن اختلفت في جهة نطقها عن العربية القرآنية.

ونقل ابن منظور في لسان العرب (مادة / عرب) أن رسول الله قال: (خمسة أنبياء من العرب: وهم محمد، وإسماعيل، وشعيب، وصالح وهود) قال: وهذا يدلُّ على أنَّ لسان العرب قديم (وهؤلاء الأنبياء كلهم كانوا يسكنون بلاد العرب) وقال: وكلُّ مَنْ سكن بلاد العرب وجزيرتها، ونطق بلسان أهلها فهم عرب. قال الأزهري: والأقرب عندي أنهم سُمّوا عربًا باسم بلدهم (العربات) أو (عَرَبة).

فذكر (إسماعيل) من العرب. وإذا كان إسماعيل من العرب، فإن أباه (إبراهيم) من العرب، لأن الولد يتبع أباه، وقال: إن لسان العرب قديم.. لأن الأنبياء الذين ذكرهم، ماعدا محمدًا، قدماء، فهود، وصالح بُعثا قبل إبراهيم، وإسماعيل، هو ابن إبراهيم، وشعيب ربّما عاصر إبراهيم أو أتى بعده بفترة قصيرة، وليس عندنا دليل على أن شعيبًا هو الذي عاصرٍ موسى، بل كان قبل موسى بزمن بعيد، وصاحب موسى كان رجلا صالحا في أهل مَدْين، الذين نشئوا بعد هلاك قوم شعيب، والله أعلم.

سكان بلاد الشام من العرب:

ومما يتفق عليه المؤرخون العرب والأوروبيّون - وإنْ كنا لا نحتاج إلى شهادة الأوربيين، ولكنه من باب الفضل والفضل ما شهد به الأعداء - أن سكان بلاد الشام، الكنعانيين والفينيقيين والآراميين هم عرب، نبتوا في جزيرة العرب، قد يكونون هاجروا إليها أو هاجر بعضهم من نجد والحجاز، واليمن.. وقد تكون بلاد الشام منبتهم الأصلي، وقد رأينا أن الشام من جزيرة العرب حتى حدود جبال طوروس في تركيا. فجميع الشعوب التي ذُكرت في تاريخ بلاد الشام - ما عدا الروم، والفرس واليونان واليهود - هم جميعًا طبقات متتابعة من العرب وإن اختلفت أسماؤهم وأن بلادهم جزيرة العرب، ظلت منذ العصور المتناهية في القدم، خاصة بهم.. وسوف نأتي بمزيد من الشواهد عند ذكر أسماء الشعوب التي ذُكرت في بلاد الشام وفلسطين.

وأردنا فقط التوكيد على أن الاسم الذي يشملهم هو (العرب) فهو القديم، والأقدم، والأثبت:

أما (الساميّة، والساميّون) فلا نرتضيه لأنفسنا اسمًا، لأنّ فيه تغييرًا للاسم الذي ارتضاه لنا الآباء والأجداد، وجاء القرآنُ موثقا له، راضيًا عنه..

حيث أُطلقت تسميّة (ساميّة) - في العصر الحديث - على الشعوب التي زُعم أنها انحدرت من صُلب (سام بن نوح) الوارد ذكره في التوراة وليس له مصدر آخر غير التوراة. وكان أول مَنْ أطلقها بهذا المعنى العالم النمساوي (شلو تزر عام 1781) فشاع استعمالها منذ ذلك الحين، وأصبحت عند الباحثين علمًا على هذه المجموعة من الشعوب وسرت إلى المؤرخين العرب بطريق الاقتباس والتقليد. والعيب في النسبة (السامية) من وجوه:

الأول: أن سام بن نوح: لا نعرفه ولا نعترف بوجوده، لأن القرآن الكريم لم يذكره، ولم يأتِ في حديث نبويّ صحيح، ولم يذكره مصدر تاريخي آخر غير التوراة. ولم تُذكر هذه النسبة (السامية) في أيّ عصر من العصور الغابرة.

الثاني: يقول المثل العربيّ: (أهل مكة أدرى بشعابها) ونحن - العربَ - أدرى بتاريخنا، وأدرى بنسبنا وأسمائنا.. ولا ننسب أنفسنا إلى خرافة مجهول، ولا نصحح اسمًا إلا إذا ثبت أن غيره أصح منه وفي الحديث النبوي (مَنْ ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله) (مسند أحمد / 1 / 188 - 190).

الثالث: اقتباس اسم (الساميّة) من الأوربيين، ووضعه نسبًا للعرب، عنوان لمذلة الأمة، ووصولها، أو نزولها إلى الدرك الأسفل من التبعيّة للأعداء، إن لم نقل العبوديّة لهم. لأننا لا نملك اختيار الأسماء لأنفسنا، ومؤسساتنا: وما زال الأوربيون، ومَنْ تفرّع عنهم من الأمريكان، والكنديين، والأستراليين، يضعون لنا الأسماء،فيتلقفها أهل القلم، ويشيعونها، دون البحث في مدلولاتها.

قالوا: الساميّة، والساميّون، فتلقفناها، وأقلُّ عيوبها إدخال مَنْ ليس من العرب فيهم، وإعطاء الدعيّ نسب الأصيل، وبناءً عليها برّر بعضُهم التنازل عن أرض فلسطين لليهود، بأنهم (أبناء عم العرب) وقالوا (الشرق الأوسط) للدلالة على منطقتنا الجغرافية، فأخذناها وعممناها .

وكان من أهدافها أن تكون بديلاً للوطن العربي، أو الجامعة العربية لإدخال اليهود في التجمع السكاني لهذه المنطقة.

وقالوا: إن مقاومة الاحتلال الأجنبي، وكراهية الهيمنة الأمريكية، إرهابٌ فصدقنا ما قالوا، وعقدنا المؤتمرات لمكافحته.

وقالوا: إنَّ محاربة الشيوعيّة في أفغانستان، جهادٌ، فصدقنا وجاهدنا.

ثم قالوا: إن الذين جاهدوا في أفغانستان، إرهابيون، وهم (الأفغان العرب).. فحاربناهم أشد من محاربة تجّار المخدرات.

الوجه الرابع: إن مصطلح (الساميّة) له أهداف تخريبيّة، أذكر منها: تبديد شمل العرب، وحرمانهم من البُعْد التاريخي في وجودهم ببلادِ الشام، ومِنَ البُعْد الحضاري؛ فالذين اتخذوا المصطلح (السامي) دليلاً وهاديًا، يتحدثون عن شعوب المنطقة بوصفها العرقي الانفرادي يصل نسبه إلى (سام بن نوح) ويكرهون وصله بالنسب العربي أو التجمع العربي، لحرمان اسم العرب من أيّ صفة حضارية أنتجها العقل الفينيقيّ أو الكنعاني، أو الآموريّ.. الخ لأنهم أذاعوا في منشوراتهم أن العرب جنس بدويّ متخلف متوحش، ليس أهلاً لإنتاج حضارة قديمة أو جديدة.

وفي (تلمود اليهود) نعتوا العرب بأوصاف محتقرة منها (العرب الأمة المحتقرة) و(العرب هم مرتكبو تسعة أعشار الجرائم في العالم) و(العربيّ يعبد الغبار الذي يعلق بصندله).

وعداوة اليهود للعرب قديمة زُرعتْ يوم وضع وألّف وصنّف اليهود التوراة من بنات أفكارهم وأوهام خيالاتهم بعد موت موسى بحوالي ألف سنة. حيث اخترعوا لأنفسهم نسبًا رفعوه إلى إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ووضعوا على لسان الربّ قصة الأرض الموعودة، وخصوا بهذا الوعد ذرية إسحاق ويعقوب، وحرموا إسماعيل بن إبراهيم.. وهم يعرفون أن العرب ينتسبون إلى إسماعيل،وأن سكان الشام من العرب، فكان من المعقول أن يكون العربُ أولى بميراث إخوانهم العرب.. فوضعوا قصة الوعْد الكاذب في البداية، واخترعوا (الساميّة) في النهاية، لقطع الصلة بين أهل

القوميّة الواحدة، ولإدخال اليهود في زمرة شعوب المنطقة العربية. ويؤيّد الأوروبيون مصطلح (الساميّة) انطلاقًا من تقديسهم للتوراة بوصفها (العهد القديم) من كتابهم المقدس. وانطلاقًا من الروح الصليبية التي سرت في دمائهم، ويتوارثها الأبناء عن الأجداد، وخلاصة ما يعتقدونه، ويبثونه أن العرب بَدْو متوحشون. وأعادوا الصياغة في العصر الحديث بتوجيه من النزعة الاستعمارية، فقالوا: إنَّ العرب المسلمين، ليس لهم فضل في إنتاج حضارة، وزعموا - على لسان المستشرقين - أن كل عناصر الحضارة العربية الإسلامية مقتبسة من الأمم السابقة، ولإثبات نظريتهم جرّدوا الأمم العربية التي سكنت الشام قبل الإسلام، من عروبتها، لحرمان العرب أو الجنس العربي من إبداعاتهم الحضارية بوصفها أساس الحضارة العالمية،ولذلك قالوا: (الشعوب الساميّة) وقالوا (الفينيقية) و(الآراميّة). قال عباس محمود العقاد، في مقالة بعنوان (قدم الكتابة العربية): وأن الكتابة الفينيقية عُرفت في جزيرة كريت قبل أربعة آلاف سنة أو نحوها.. ونحن إلى هنا، نذكر (اللغة الفينيقيّة) و(الحروف الفينيقية) عند الكلام على التاريخ قبل أربعة آلاف سنة، لأننا نعقب بهذا الكلام على تعبيرات العلماء الأوروبيين الذين يسمون (الشعوب الساميّة) بتلك الأسماء كلما ذكروا شيئًا عن تواريخها في تلك الأزمنة الخالية.

أمّا الذي نؤثره، ونستند في إيثاره على الأُصول المعقولة، فهو تغليب كلمة (العربيّة) على كلمة (الفينيقيّة) أو كلمة (الساميّة) على اختلاف

مدلولاتها، حيث يرجع الأمر إلى أربعة آلاف سنة من تاريخ هذه اللغات القديمة، أو على الأصح من تاريخ تلك اللهجات كما ينبغي أن تسمى في ذلك الحين، لأنها كانت قبل أربعين أو خمسين قرنًا لهجات تتفرع من أصل واحد قديم. فقد كان الفينيقيون يقيمون بين النهرين على مقربة من خليج العرب قبل انتقالهم إلى صور وغيرها من المدن على شواطئ فلسطين، وقد كانت الحروف المنسوبة إليهم عربية على التحقيق ولم تكن مقصورة على القبائل الفينيقية في العراق أو فلسطين.. (أشتات مجتمعات ص24).

ومن أهدافها التخريبيّة: إدخال مَنْ ليس من العرب في العرب، والاعتراف بما وضع لصوص الأرض أيديهم عليه وادعوه لأنفسهم:

فهذه النظرية تجعل العبريين واليهود من شعوب المنطقة العربية، وهم غرباءُ عنها، قديمهم وحديثهم. والمعروف أن وجود شعوب سامية يستدعي وجود لغات ساميّة.. ومن المتفق عليه أن اليهود لفقوا لأنفسهم لغةً سمّوها (العبرية) سرقوها من اللهجات العربية القديمة مثل الكنعانية والآرامية. والنظرية الساميّة تعطيهم حقّ الوجود الثقافي المتميز في القدم، وتعضد ادعاءَهم في الوجود القديم في الأرض الفلسطينية.

الوجه الخامس: ونحن نرفض التسمية (الساميّة)، لأسباب علميّة محضة ولدوافع سياسيّة وقوميّة.

من الناحية العلمية: دحضت الدراسات العرقية والأُناسية، نظرية وحدة السلالة أو الأصل، بمعنى أن جميع أفراد شعب ما ينحدرون من شيخ واحد.

ومن ناحية أُخرى، فإن هذه التسمية ذات أصل توراتي.. ومن دلائل بطلان التقسيم التوراتي، أن كاتب النصّ قسّم الشعوب والأقوام لاعتبارات سياسية، لا سيما موقفها من أهل التوراة، ومن الأمثلة على ذلك أنهم أخرجوا الكنعانيين من دائرة الشجرة السامية، وأدخلوهم في العرق الحامي من نسل (حام بن نوح) علمًا بأن الدراسات المقارنة قد أظهرت الصلات الجوهرية والوشائج المطلقة التي تشدُّ الكنعانية إلى غيرها من اللهجات العربية القديمة.

وقد ابتدع نظرية (السامية) الاستشراق الغربي، وروجها لأسباب سياسية ومذهبية، وذلك في أوج اندفاع الاستعمار الأوروبي، قبل قرن تقريبًا من انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول.

الوجه السادس: أظهرت الدراسات المقارنة الخاصة بأصول السلالات البشرية أن عملية تمازج الشعوب لم تنقطع منذ عصور ما قبل التاريخ من جراء الهجرات البشرية، وعن طريق الزواج بالأجنبيات عن السلالة ولا ينبثق اختلاف الأمم في التفكير والسلوك عن نوعيات عرقية مطلقة بل يتحدّد ذلك بالشروط والظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لشعب ما، إضافة للعوامل الجغرافية التي تؤمن شروطا مناخية معينة، لا يُنكر دورها في هذا المضمار. وعندما نشير إلى جنس ما فلا يخطر على بالنا صفاء عرقه بل نقصد بذلك تلك الصفات التي تميز حضارته وثقافته في مختلف الميادين على مرّ الأيام والسنين وأهم حقل تشع فيه الخصائص المشتركة لأمة من الأمم، هو حقل اللغة. ومن هنا جاءَت القاعدة العامة عند العرب:

(ليست العربية أن تولد من أُم وأب عربيين، وإنما العربية اللسان) وإذا كان التقارب اللغوي، هو أساس القوميّة، فإنَّ اسم (العربية) بدل (الساميّة) هو الأوْلى بالاستعمال للدلالة على شعوب المنطقة العربية... وذلك لوجود قواعد مشتركة بين هذه اللهجات، ولأن (العربية) هي الباقية والأوسع انتشارًا من أخواتها، ولأن فكّ رموز اللهجات العربية القديمة، يعتمد على مقارنتها بالعربية.

﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾ [البقرة: 61]:

و(السامية) هي الأدنى و(العربية) هي الأعلى، وهي الخير كله. لأنَّ السامية التي ابتدعها الأوروبيون ومستشرقوهم، تضع الأمة العربية في الدرك الأسفل، و(العربية) التي أثبتها القرآن وشرفها، تجعل أُمة العرب أعلى الأمم حقيقةً وليس ادْعاءً، لقوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: 110) ليس للعرق والعصبية، ولكن لأن أُمة العرب ﴿ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (آل عمران: 110)

ويدخل في (المعروف) كلّ الإبداعات الحضارية التي تعمر الكون وتسعد البشرية. ويدخل في (المنكر) كل ما يؤذي البشرية من النواقص.

وقد تنبّه أعلام المؤرخين العرب في العصر الحديث، إلى خطأ (الساميّة) ووجوب إحلال (العربيّة) محلها. ومن هؤلاء العلاّمة محمد

عزة دروزة، والدكتور جواد علي، وننقل ما اهتدى إليه الأخير في كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام) حيث قال: إنّي سأطلق لفظة (عرب) على جميع سكان الجزيرة بغض النظر عن الزمان الذي عاشوا فيه والمكان الذي وجدوا فيه. سواءٌ أكانوا قد سكنوا في الأقسام الشمالية، أم في الأقسام الوسطى من جزيرة العرب أم في الأقسام الجنوبية منها. فكلُّ هؤلاء في نظري (عرب). و(عرب) علمٌ لقومية خاصة، ومصطلح ظهر متأخرًا في النصف الأخير من الألف الأولى قبل الميلاد، وتركّز وتثبت بعد الميلاد بخاصة،وقبل ظهور الإسلام على الأخص. وعلى هذا فالذين عاشوا قبل الميلاد بقرون عديدة وبألوف السنين هم (عرب) بالطبع، وإن لم يُدعوا (عربًا) لأن هذه الكلمة لم تكن معروفة بهذا المعنى (القومي) في أيامهم ولكنهم (عرب) من دون أدنى شك. ومَنْ أحقُّ وأجدرُ بأن نطلق عليه هذه اللفظة (عرب) منهم؟ هم سُكان الجزيرة وأصحابها الشرعيون مهما اختلفت لهجاتهم، وتعددت أماكنهم. هم الأصل، ومَنْ جاء بَعْدُ، الفرع، وليس الفرع كالأصل.

وقال: ولعلني لا أكون مخطئًا أو مبالغًا إذا قلتُ: قد حان الوقت لاستبدال مصطلح (سامي) و(ساميّة) بـ (عربي[1]) و(عربيّة) فقد

(1) يريد أن نترك لفظ (سامي)، ونأخذ لفظ (عربي) ولكن عبّر بأسلوب الخطأ الشائع، حيث يلصقون الباء بالذي يجب أن نتمسك به.. والصحيح أن توضع الباء على المتروك وحقه أن يقول: لاستبدال مصطلح (عربي) بـ (سامي) وقد جاء في القرآن ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾ (البقرة: 61) فالذي هو خير، هو الذي تركه قوم=

رأينا أن تلك التسمية، مصطنعة تقوم على أساس التقارب في اللهجات، وعلى أساس فكرة الأنساب الواردة في التوراة، وهي فكرة لا تستند على أسس علمية، ،إنما قامت على بواعث عاطفية، على أساس حبّ الإسرائيليين لمن عرفوا من الشعوب.

إنَّ مصطلحنا (العرب) الذي يقابل (السامية) هو أقرب إلى العلم ففي العرب، لهجات كما أنَّ بين الساميّة لهجات ولغات وليس ببعيد ولا بغريب عن العلم والمنطق أن نعدَّ الساميّة عربية لكونها ظهرت في جزيرة العرب، ونحن نعلم أن كثيرًا من العلماء يرون أن جزيرة العرب هي مهد (الساميين).

ولما كان العلماءُ قديمًا وحديثًا قد أطلقوا على هذه الأرض التي ظهرت فيها شعوب كثيرة ولغات عديدة اسم (جزيرة العرب) أو (شبه جزيرة العرب) غير مراعين في ذلك تعدد المواضع أو اللهجات أو القبائل، ولا تاريخ ظهور لفظة (العرب) إلى عالم الوجود جاز لنا، بل وجب علينا الآن (أن نستبدل مصطلح (العربية[1]) بمصطلح (السامية). فنكون بذلك حققنا عاملين مهمين:

= موسى، وهو المنّ والسلوى، وطلبوا أن يأتيهم بالعدس والبصل، وهو الأدنى. وقد لحن أحمد شوقي عندما قال: (أنا مَنْ بدّل بالكتب الصحابا) وحقه أن يقول: أنا مَنْ بدّل الكتب بالصحاب، لأنه ترك الصحاب، واتخذ الكتب أصدقاء.

(1) ولكن اليهود، ومَنْ يؤيدهم، يكرهون مصطلح العربية، لأنهم يجعلون لغتهم فرعًا عن (العربية) ويجعلون نسبهم فرعًا عن العرب، ولا يرضى عن هذا الأوروبيون والأمريكان، لأنهم يرون أن الديانة التوحيدية التي جاءَت بها (التوراة) هي منبع =

عامل القرابة اللغوية، والأصل اللغوي، وعامل وحدة المكان. فسواءٌ ظهرت السامية في اليمن أم في أيّ موقع آخر من جزيرة العرب أم في العراق، فإن كلَّ هذه المواضع هي من جزيرة العرب. لأن البادية والهلال الخصيب هما من الأقسام التي تعدُّ من بلاد العرب، وثقافة سكانها ثقافة عربية، ولغتهم السائدة هي اللغة العربية، وهي أوسع لغة (سامية) باقية على وجه الأرض، وأقدمها. ولذلك فهي اللغة الكبرى التي تمثل المجموعة اللغوية التي سموها (السامية) سواء أكانت قديمة أم حديثة، ويجدر بنا أن لا نتحدث باسم (السامية) في القرن العشرين.

وإذا وافقنا على إقرار اصطلاح (العربية) نكون قد اقتربنا نحو العلم وابتعدنا عن الأساطير. أسطورة انحدار السامية من صلب رجل هو سام. وحريّ بالعلم أن يبني أحكامه على حقائق علمية وأن يبتعد عن القصص والأساطير.

من تأريخ اسم (العرب):

ليس عندنا نصّ نطمئنُّ إليه، في سبب إعطاء العرب اسم (العرب) هل هو صفة، أم اسم مكان، أم جدّ وهل سمّى العربُ أنفسهم

= الحضارة الغربية، في مقابل الديانات المحلية التي كانت سائدة في (كنعان) والتي يُنظر إليها بوصفها ديانات فاسدة غير أخلاقية، ومن هنا نشأت عندهم فكرة البحث عن (إسرائيل القديمة) باعتبارها منشأ الحضارة الغربية. وهذه فكرة متأصلة في الوجدان الغربي على جميع المستويات. فالشخص العادي ينشأ وهو يرتل منذ صغره التراتيل الدينية حول إسرائيل وبيت لحم والناصرة. وبالتالي يصعب استئصال مثل هذه الأفكار من الضمير الأوروبي والأمريكي..

بهذا الاسم، أم سمّاهم غيرهم. ويؤخذ مما جاء في (لسان العرب) و(معجم البلدان) أن العرب أخذوا اسمهم من (عربة) أو (عربات) وأنَّ (عربة) هي مكة واستشهدوا بقول أبي طالب.

وعــــرْبةُ دار لا يُحــــلُّ حــــرامها   من الناس إلا اللوذعيُّ الحُلاحل

.. يعني النبي محمدًا ﷺ أُحلّت له مكة ساعة من نهار، ثم هي حرامٍ إلى يوم القيامة. قال: واضطر الشاعر إلى تسكين الراء من عرْبة فسكنها.. قال: ونشأ أولاد إسماعيل بعربة، وهي من تهامة فنُسبوا إلى بلدهم. ومنها انتشر العرب في الجزيرة.

وعندي قول آخر: هو أن إسماعيل بن إبراهيم، وُلد في النقب من فلسطين،وهناك (وادي عربة) من فلسطين، هو من النقب أيضًا، لعله قيل لإسماعيل وذريته بأنهم (عرب) نسبة إلى وادي عربة في فلسطين.

وعمَّ اسم (العرب) سكان الحجاز، ونجد واليمن أصالةً، لأن سكان اليمن أيضًا من نسل إسماعيل، حيث بوّب البخاري في صحيحه باب (نسبة اليمن إلى إسماعيل) وروى الحديث أن رسول الله مرّ بقوم من أُصول يمنية يتبارون في الرمي، فقال: (ارموا، فإنَّ أباكم كان راميًا) ويريد بأبيهم إسماعيل. وأما تعميم اسم العرب على الكنعانيين والآراميين والفينيقيين، فلأنهم ينتسبون مع إسماعيل إلى جدًّ أقدم من إبراهيم. فيكون التعميم من باب التغليب.

وكان العربُ في الجاهلية السابقة على الإسلام، يتنادون بأسماء قبائلهم، لا باسم جنسهم العربي، لأنهم لم تجمعهم وحدة سياسية

جامعة. وكانت الصراعات والمعاهدات تجري بين القبائل بوصفهم وحدات سياسية مستقلة. مع إقرارهم بوحدة الأصل العربي. فكانت الجامعة العربية موجودة، ولكنها معطلة فلما جاء الإسلام بتوحيد العرب، خاطبهم القرآن خطابًا واحدًا. فوصف القرآن بأنه عربيّ، وأنه بلسان عربيّ مبين. وكان جيرانهم يعترفون لهم بالاسم العربي الجامع. فقد روى البخاري في قصة وصول الرسول ﷺ إلى المدينة يوم الهجرة أن يهوديًا رأى النبي من فوق حصنه فنادى بأعلى صوته (يا معاشر العرب هذا جدُّكم الذي تنتظرون).

وقد ربطتُ اسم (العرب) بأيام إسماعيل حوالي سنة (2000) قبل الميلاد لأقول إن اسم العرب قديم، وشاع ذكره خارج الحجاز ونجد واليمن عندما حصلت الصراعات بينهم وبين سكان بلاد الرافدين، وسجلوه في قصص حروبهم. فإذا قيل: إنَّ أول ذكر للعرب في السجلات التاريخية كان في القرن التاسع قبل الميلاد، لا يعني ذلك أول وجود لهذا الاسم.

فقد ورد أقدم ذكر لاسم العرب في أيام شلمنصر الثالث الآشوري الذي حكم ما بين (858 - 824ق.م) في حملاته على بلاد الشام وذلك في الحملة التي شنها في السنة السادسة من حكمه، ضد متحالفي (قرقرة) في منطقة حماة السورية على نهر العاصي. فيذكر من الحلفاء الذين هزمهم: (جنديبو العربي، ومعه ألف جمل).

وفي نصّ لـ (صارغون الثاني) (721 - 705ق.م) نقرأ عن القبائل العربية التي قهرها، وبينها قبيلة ثمود، فيقول: (بناءً على نبوءَة صادقة

من إلهي آشور سرتُ وقهرت قبائل ثمود وإباديدي.. العرب الذين يعيشون بعيدًا في الصحراء.. ولم يأتوا بجزيتهم لأيّ ملك، لقد أبعدتُ مَنْ بقي منهم حيًّا، وأسكنتهم في السامرة).

تأريخ وجود الجنس العربي في فلسطين:

قلنا: إن (فلسطين) من (جزيرة العرب) كما حددها الجغرافيون العرب. ومن الطبيعي أن يكون سكان جزيرة العرب من أهلها، لأنها أخذت اسمها منهم فهم الذين أعطوها الاسم، وبهم سمّيت جزيرة العرب، أو بلاد العرب. وقد أخذ كلُّ شعبٍ من الشعوب العربية التي سكنت جزيرة العرب اسمًا خاصًا به، فقالوا: الكنعانيون، واليبوسيون، والآراميون.. الخ ولكنهم كانوا يرتبطون جميعًا بروابط عديدة، منها: الجزيرة العربية، واللغة، والأُصول. كما أن العرب في الجاهلية السابقة على الإسلام، تشعبوا إلى قبائل وشعوب واجتمعوا تحت اسم القبيلة أو الشعب، مع اعتقادهم بوجود الجوامع بينهم.. ولم يتخذوا اسم (العرب) جامعًا، لوجود العصبية المحلية، ولأن (الروح القوميّة) كانت غائبة. وعندما أراد الله لهم الاجتماع والوحدة ناداهم باسم (العرب)في القرآن الكريم. وحال الشعوب العربية قبل الميلاد - في الجاهلية الأولى - هو حال العرب في الجاهلية المتأخرة.. وسواء أكان اسم (العرب) جدًا قديمًا لجميع سكان الجزيرة، أو كان اسمًا خاصًا بفئة من العرب، ثم عُمّ من باب إطلاق الجزء على الكل، فإن إطلاق اسم العرب على سكان الجزيرة العربية إطلاق صحيح، لأن الجوامع الرئيسة تشمل هؤلاء

جميعًا، وأهم الجوامع الثقافة المشتركة الصادرة عن اللغة الواحدة، مع تعدد لهجاتها..

والسؤال الذي يدعو المؤرخين إلى الإجابة عنه: متى بدأ وجود الجنس العربي في فلسطين؟

- هل بدأ وجود الجنس العربي في فلسطين مع بداية وجود البشرية على وجه الأرض، ومع بداية العمران البشري في فلسطين؟
- أو بدأ الوجود العربي بالهجرة إليها من جنوب الجزيرة ووسطها وشرقها؟
- أو اجتمع فيها الأصيل والمهاجر؟

وهذه ثلاثة آراء، سنعرضها في السياق التالي:

الرأي الأول: الذي يجعل الكنعانيين العرب أصليين في أرضهم، في بلاد الشام بعامّة، وفي فلسطين بخاصة. وترى هذه النظرية في مدنهم الأولى تطورًا طبيعيًا لمستوطنات العصور الحجرية القديمة[1]. ذلك أن

---

(1) قسموا العصور القديمة إلى قسمين:

أ) عصور ما قبل التاريخ، وتنقسم إلى أزمنة:

1- العصر الحجري القديم 500.000 - 14.000 ق.م

2- العصر الحجري الوسيط 14.000 - 8000 ق.م

3- العصر الحجري الحديث 8000 - 4500 ق.م

4- العصر النحاسي 4.500 - 3300 ق.م

ب) العصور التاريخية: بدأت بتكوين الدول، وكتابة التاريخ. وقسموها إلى قسمين: =

الكثير من مقارّ الكنعانيين التاريخيين، كانت مستوطنات مزدهرة في عصور ما قبل التاريخ[1]. وظهر الدليل على ذلك في (أريحا) و(جُبيل) و(أوغاريت).

فأريحا - في فلسطين - كانت أحد المراكز القليلة التي ظهرت فيها الزراعة لأول مرّة في التاريخ، مع مطالع العصر الحجري الحديث، خلال الألف الثامن قبل الميلاد. وكانت في بنيتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية نموذجًا موغلاً في القدم للمدن الأولى التي ظهرت في (سومر[2]) منذ أواسط الألف الرابع قبل الميلاد.

ومن مُدُن الكنعانيين (جُبيل) في لبنان التي ظهرت مع مطالع العصر الحجري الحديث، واستمرت مسكونة إلى نهاية العصر البرونزي، حيث تضاءلت أهميتها وتحول موقعها القديم إلى القرية لا تزال قائمة حتى اليوم.

= الأول: العصر البرونزي: وفيه أزمنة:

1- العصر البرونزي القديم	3200 - 2000 ق.م
2- العصر البرونزي الوسيط	2000 - 1550 ق.م
3- العصر البرونزي المتأخر	1550 - 1200 ق.م
الثاني: العصر الحديدي	1200 - 330 ق.م

(1) انظر (الحدث التوراتي) لفراس السواح.

(2) سومر: منطقة في جنوب ما بين النهرين (دجلة والفرات) استوطنها السومريون أشهر مدنها (أور) و(كيش) و(لكش). والسومريون قوم كانوا يتكلمون العربية العتيقة منذ الألف الخامس قبل الميلاد.

ومن مدن الكنعانيين (أوغاريت) في سورية، التي نشأت في العصر الحجري الحديث وبقيت مسكونة إلى حين دمارها حوالي سنة 1200 ق.م ويمدنا موقع جبيل بأهم الوثائق الأثرية التي تشير إلى عراقة المدن الكنعانية وعلاقاتها المبكرة مع الحضارات المجاورة. فقد عُثر في الموقع على مصنوعات مصرية عليها نقوش هيروغليفية[1] يعود تاريخها إلى النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد، تثبت علاقات ملوك جبيل بفراعنة مصر من الأُسرات الأولى[2].

وفي منطقة مدينة (عاي[3]) الكنعانية بفلسطين عُثر على (طاسات[4]) حجرية مصرية تعود إلى عهد الأُسرة الثالثة. وبالمقابل فقد عثر في مقابر الأُسرة الفرعونية[5] الأولى على فخاريات ومصنوعات

(1) الهيروغليفية: كتابة تصويرية استعملها المصريون القدماء، ومعناها لغة الكهان: (هيروت): كاهن و(غليف) صورة.

(2) يشتمل تاريخ وادي النيل القديم على ثلاثة أعصر أو ثلاث دول: الدولة القديمة، والدولة المتوسطة، أو عصر الإقطاع، والدولة الحديثة أو عهد الإمبراطورية. وتولى الأمر في الدول المذكورة أُسرات مختلفة بلغ عددها نحو ثلاثين أُسرة وتاريخ الأُسرة الأولى والثانية يمتد من 3200 - 2980 ق.م.

(3) عاي: بمعنى (كومة خراب) أو أنقاض. عُرفت بقعتها في العصر الحديث باسم (التلّ) شرقي رام الله. على الطريق التي كانت تصل أريحا بالأراضي الجبلية. على مسيرة كيلومترين ونصف للجنوب الشرقي من قرية (بَيْتَيْن).

(4) الطاسات: مفردها (الطاس) وهو إناء يُشرب به.

(5) الفرعونية: نسبة إلى (فرعون) وهي كلمة مصرية قديمة مكونة من قسمين (بر - عو) أي: البيت الأعظم. وكانت نعتًا للقصر الملكي ثم أصبحت لقبًا لكل ملوك مصر القديمة.

كنعانية من الساحل السوري. كما استطاع علماء اللغات تمييز عدد من الكلمات الكنعانية المستعارة إلى الهيروغليفية المبكرة، مثل (كرمو) أي: كرم العنب. و(قمحو) أي: قمح.

غير أن العلاقات الودّية المتكافئة بين مصر وكنعان، ما لبثت أن تحولت إلى علاقة تسلط وسيطرة من قِبَل المصريين مع مطلع الألف الثاني قبل الميلاد.. ولكن كنعان لم تكن مطية سهلة لهم. ودليلنا على ذلك نصوص (اللّعْن[1]) المصرية، التي تصف حكام المناطق الكنعانية بالمتمردين وتطلب من القوى الإلهيّة تدميرهم.

وتشير البينات الأثرية واللغوية إلى أن المنطقة السورية الواقعة بين الفرات والبحر المتوسط، كانت مسكونة بعناصر ذات أصل عربي منذ أواخر الألف الرابع قبل الميلاد، فأقدم المدن في هذه المنطقة مثل - أريحا - وبيسان، ومجدو، وعكا،وأوغاريت، وصيدون - تحمل أسماء ذات جذر عربيّ لا لبس فيه. كما أن اللقى الأثرية وبقايا الهياكل العظمية تشير إلى استمرارية عرقية وثقافية واضحة، ترقى إلى الألف الرابع وتتجاوزه، ويمكن القول إنّ التركيب السكاني في المنطقة السورية لم يتعرض لأيّ تغيير جذريّ منذ أواخر العصر النحاسي (4500 - 3300 ق.م) حيث نستطيع متابعة خط ثقافيّ متميز لحضارة متصلة، لا تظهر فجوة أو انقطاعًا.

(1) نصوص اللعنات، هي نصوص منقوشة على جرار فخارية تذكر أسماء البلاد والحكام من أعداء الفراعنة. وكانت هذه الجرار تحطم في احتفال سحري خاص لجلب الأذى على المذكورة أسماؤهم على الجرار.

وقد أحدثت الدراسات اللغوية المقارنة الحديثة تغييرًا عميقًا في معرفتنا للأصول السكانية في هذه المنطقة، والتغيرات التي طرأت عليها، مما جعل نظرية الهجرات العربية في الجاهلية القديمة، من جنوب الجزيرة العربية - إلى شمالها،نظرية بالية.

فتلك النظرية تحتوي ضمنًا أنَّ (اللغة العربية الأولى العتيقة) التي تفرعت عنها لغات حضارات (الهلال الخصيب) الشام، قد نشأت في جنوب جزيرة العرب، ووسطها، وأن اللغة العربية هي أقرب الأقرباء إلى تلك العربية العتيقة.

وبدلاً من التركيز على ما يسمّى باللغة العربية العتيقة الأصلية(1)، يقوم العلماء بتلمس خيط يربط اللهجات العربية العتيقة، باللغة المصرية وبقية لغات شمال أفريقيا، وهم يرون أن الأقرب إلى الواقع وجود لغة أفرو - عربية عتيقة - تفرعت فيما بعد إلى - عربية عتيقة وأفريقية، عند نقطة معينة من الزمن(2).

ففيما بين الألف السادس والألف الخامس قبل الميلاد، تعرض الشمال الأفريقي إلى مُدَّة جفاف طويلة، وحادّة أدت إلى التشكل

---

(1) نستعمل (اللغة العربية العتيقة) لتحلّ محل (اللغة الساميّة) لأن الدراسات أثبتت بطلان (الساميّة) المبنيّة على خرافة التوراة، واتفق العربُ الأحرار الذين تخلصوا من التبعيّة للأفكار الاستشراقية والتوراتية على إعطاء أخوات اللغة العربية الفصحى، اسم (العربية القديمة أوالعتيقة).

(2) انظر (آرام دمشق وإسرائيل، في التاريخ والتاريخ التوراتي).

التدريجي للصحراء الأفريقية، وإلى هجرات نحو مصر وآسيا، الغربية، العربية - بالعين المعجمة، والعين المهملة - وقد قادت هذه الهجرات إلى تكوين اللغة المصرية القديمة في وادي النيل، واللهجات (البربرية) فيما وراء الصحراء الليبيّة، واللغة الغربية العتيقة الأم في سورية، وهي العربية العتيقة (الغربية) ومنها انشقت العربية العتيقة الشرقية التي طورها النازحون باتجاه وادي الرافدين.

وكانت الثورة الثقافية التي يدعوها الأثريون، الثورة (النيوليتيك) أي: ثورة العصر الحجري الحديث، قد بلغت ذروتها إبّان التاريخ الذي وصل خلاله النازحون من شمال أفريقيا. ولم يكن عند القادمين الجدد ما يقدمونه إلا لغتهم التي تفاعلت مع اللغة المحلية لينتج عن تفاعلهما اللغة العربية العتيقة الأصلية.

أما جزيرة العرب (نجدها، وحجازها ويمنها) فيبدو أن اللغة المشتركة قد جاءَتها من فلسطين وسورية الجنوبية في أواخر عصر البرونز المبكر (3000 - 2000 ق.م) وأوائل عصر البرونز الوسيط حوالي عام (2000) ق.م فخلال هذه المدة ساد المنطقة السورية جفاف حارٌّ طويل أدى إلى انهيار ثقافة البرونز المبكر وإلى اقتلاع السكان وهجرات واسعة النطاق، وتحوّل أعداد كبيرة من المزارعين المستقرين إلى الرعي المتنقل، وبهذا تغدو الهجرة العربية باتجاه جنوب الجزيرة العربية وليس من الجنوب إلى الشمال.

.. وهناك شواهد أُخرى صحيحة على وقوع الهجرة من فلسطين إلى البلاد المجاورة:

أقدمها هجرة إسماعيل وأُمه هاجر إلى أرض مكة: فمن الثابث أن إسماعيل ولد في أرض فلسطين، ثم أسكنه أبوه في مكة عند بيت الله الحرام. وقد كانت الهجرة لأمر يريده الله، وكان مسكنه (بوادٍ غير ذي زرع) ولا يعني هذا أنَّ جميع بلاد الحجاز كانت مجدبة، وإنما المراد أن وادي مكة كان غير ذي زرع، فالطائف تجاور مكة وفيها زرع كثير، والمدينة (يثرب) من الحجاز، وكانت خصيبة.

الشاهد الثاني: في قصة يوسف، وفيها دليل على وقوع الجدْب في نواحي من فلسطين. ومن المشهور أنه عرف إخوته عندما جاءوا إلى مصر يمتارون وقد أضرَّ بهم الجدْب: واشترط عليهم أن يأتوا بأخيهم من أبيهم إذا جاءوا في مرة قادمة ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ (يوسف: 60) فنزلوا عند رغبته، فجاءوا بأخيهم الذي هو أخو يوسف، لحاجتهم إلى الميرة. وقالوا يرغبون أباهم في إرسال أخيهم معهم ﴿ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ (يوسف: 65).

وفي مكان آخر من السورة ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ (يوسف: 88) .

الشاهد الثالث: تذكر المصادر التاريخية أن (العماليق) أول مَنْ بنى المدينة المنورة (يثرب) أو كانوا من سكانها في مرحلة من مراحل وجودها: والمعروف أن العماليق من الكنعانيين، سكان فلسطين. وموطنهم في فلسطين بلاد النقب، وشمالي سيناء. ونتيجة هذا الرأي: أن الجنس العربي في فلسطين وبلاد الشام أصيل في أرضه لم يهاجر إليها من مكان آخر، فليست الحجاز ونجد واليمن مهد العرب فقط، ولكن بلاد الشام أيضًا من (مهاد) العرب.

الرأي الثاني حول تاريخ وجود الجنس العربي في فلسطين والشام، هو الرأي القائل: إنَّ مهد العرب هو (جزيرة العرب) كما تخيلوا حدودها فأخرجوا منها (بلاد الشام والعراق). وأن الجنس العربي في بلاد الشام مهاجرٌ إليها من بلاد العرب الجنوبية.

وبَنَوْا نظرية (الهجرة) على أُمور منها:

أ) أن جزيرة العرب، أو مهد العرب، أو بلاد العرب، لا تدخل فيها (بلاد الشام) وقد بينا فيما سبق بطلان هذه النظرية، وقررنا أن بلاد العرب (جزيرة) وليستْ شبه جزيرة، وقد سماها العرب الأقدمون (جزيرة) وامتدّت حدودها الشمالية إلى جبال طوروس في تركيا. واستعمال اسم (شبه جزيرة) كان في وقت متأخر عن شيوع الاسم الأول، وهو من صنع الأوروبيين واليهود، لإثبات غُربة العرب عن بلاد الشام، فقالوا: - كذبًا - إن الوجود العربي في بلاد الشام مرتبط بالعصر الإسلامي ومن قَبْلُ، وصفوا الشعوب التي سكنت بلاد الشام بـ(الساميّة)

ومع اعترافهم أنها هاجرت من (الجزيرة العربية) - بالتحديد الذي حدّدوه - فإنهم يصرّون على إعطاء كل شعب اسمًا مستقلاً، فيقولون (الآموريون والفينيقيون، والآراميون) وجعل (الساميّة) جامعتهم، ومن الحقّ أن ينسب الشعب إلى الأرض التي نشأ فيها. وكما قيل (الولد للفراش) يقال أيضًا: (الولد للأرض). ولكنهم فرّوا من (العربية) أن تكون جامعة، لأنهم أدخلوا (اليهود) في جملة الشعوب (الساميّة) وهم لم يدخلوا الجزيرة العَربية، ولم ينشأوا فيها، ولا يُعرف لهم (جذر) ولا تُعرف لهم صلة بشعوب الشام إلا صلة (اللغة) وهي ليست لغتهم، ولا يُعرف في التاريخ القديم اسم (اللغة العبرية) وإنما هي لغة كنعانية عربية، سرقوها وادعوها لأنفسهم.. وهم مع ذلك يكرهون أن يكونوا من العرب - إذا كانت (العربية) هي الجامعة، لأن العرب من نسل (إسماعيل) بن إبراهيم، وقد نصبوا أنفسهم خصومًا لذرية إسماعيل، وهم كما قيل (كالهرّ يحكي انتفاخًا صورة - أو صولة - الأسد).

ب) وعلّلوا الهجرة من جزيرة العرب، إلى الشام، أو ما يسمّى منطقة (الهلال الخصيب[1])، بانحباس الأمطار واندثار الأنهار

---

(1) يطلق اسم (الهلال الخصيب) على ما يعرف اليوم بالعراق وبلاد الشام وسبب هذه التسمية أن القطرين المذكورين المعروفين بخصب أراضيهما، يكونان نصف دائرة، أو هلالا، طرفه الغربي ينتهي في الجهة الشرقية الجنوبية من البحر المتوسط، وطرفه الشرقي ينتهي بخليج العرب. وبعضهم يدخل الجزء الشمالي من وادي النيل ضمن الهلال. وأول مَنْ وضع هذا المصطلح الإنجليزي (بريستد) وسماه بالإنجليزية The Fertile Crescent.

وانتشار الجفاف، واتساع رقعة الصحاري.. فأدى ذلك إلى هجرة الناس إلى شمال الجزيرة ومنها أخذوا يتوزعون على أطراف الهلال الخصيب في موجات متعاقبة، طلبًا لمواطن الرزق الوفير حيث الأمطار والأنهار.. وهو الزمن الذي تمت فيه هجرة (الآموريين والكنعانيين - في النصف الأخير من الألف الثالث قبل الميلاد)..

ولكن الأبحاث العلمية الجديدة حول التغيرات المناخية للعصور القديمة صارت ركنًا أساسيًا من أركان البحث التاريخي والتفسير الأثري وهي تقدم لنا معلومات مهمة لفهم حقيقة ما جرى خلال الفترة الانتقالية من البرونز المبكر،إلى البرونز الوسيط[1].

فمع الربع الأخير للألف الثالث قبل الميلاد، انتهى المناخ البارد الماطر الذي ساد المنطقة منذ أواسط الألف الرابع قبل الميلاد، وتبعه بشكل مفاجئ مناخ حار وجاف استمر حتى مطلع الألف الثاني قبل الميلاد وقد تميز هذا المناخ بصيف حار وطويل وشتاء جاف وقصير، وبهبوط المعدل السنوي للأمطار، مما أدى إلى انخفاض منسوب المياه الجوفية وشُحّ الينابيع. وفي مصر تسبب انخفاض منسوب فيضان النيل في انهيار الحياة الزراعية. وقد تعاملت المناطق المصابة مع هذه الأوضاع وفق سياسات مختلفة:

(1) عصر البرونز المبكر من 3000 - 2000 ق.م
وعصر البرونز الوسيط من 2000 - 1600 ق.م
وعصر البرونز الأخير من 1600 - 1200 ق.م

ففي سورية استطاعت المدن الكبيرة عبور الأزمة بصعوبة بالغة مع المحافظة على استقرار نسبي في المناطق ذات المعدلات المطرية المرتفعة سابقًا. أما المناطق التي لا تستطيع تحمل الجفاف، وذات المعدلات المطرية المنخفضة من قَبْلُ، فقد أخذ الزرّاع فيها بالتحول إلى الحياة الرعوية تدريجيًّا.

وتشير النصوص (المسماريّة[1]) في وادي الرافدين إلى تحركات بشرية مستمرة من المناطق السورية باتجاه الشرق.

أما في (فلسطين) فقد استمرت المدن الواقعة في مناطق الوديان الخصبة وفي المناطق السهلية ولكن تحت شروط قاسية، خاصة مع تقلص حجمها ونقص كبير في عدد سكانها، والذي أدى بالتالي إلى هجرة

(1) يرى العلماءُ المختصون أن أول من استخدم الكتابة في بلاد الرافدين، هم السومريون وعنهم أخذها الأكاديون / البابليون، فالآشوريون. وكانت الكتابة المسمارية في أول عهدها، كالهيروغليفية المصرية (صوريّة) أي: إن كل صورة تمثل كلمة، وتعني الشيء ذاته، كصورة بيت للبيت والشجرة للشجرة والشمس للشمس الخ. وهذه المرحلة (الكتابية الصورية). ثم راحوا يستعملون هذه الأشكال للتعبير عن بعض المعاني، وهي (الكتابة الفكرية) فمثلا: الشجرة، زيادة على معناها الأصلي أخذت تعني الحياة والربيع والخلود. والشمس تعني الكوكب، ثم راحت تعني الضوء والحرارة والنهار.. الخ. وقالوا: (كتابة مسمارية) لأن أشكالها تطورت من الصور إلى رسوم مبسطة تشبه المسامير بأشكالها المختلفة ونقول أحيانًا (إسفينيّة) ثم تطور الأمر وأصبحت هذه الأشكال المبسطة تدل على أصوات معينة على شكل مقاطع صوتية، أي: إن الكلمة لا تكتب أبجديًا كما نعرفها حاليًا، بل على شكل مقاطع، وكان عدد المقاطع المسمارية في أول الأمر بحدود (700) مقطع، وقد تقلص تدريجياً ليصل في الآشورية الحديثة إلى (75) مقطعًا تقريبًا.

معظم المناطق الهضبية التي لا تتحمل الجفاف، وأُفرغت من سكانها وكذلك الأمر في المناطق الجنوبية مثل بئر السبع، التي تحولت إلى بوادي قاحلة بعد مدة ازدهار زراعي طويلة.

وفي مناطق شرقي الأردن تحول السكان من الزراعات المتوسطية التقليدية إلى الرعي وزراعة الحبوب..

وفي خلال هذه المدة بالذات تمَّ نزوح أعداد كبيرة من سكان المناطق الواقعة على حدود البوادي ممن تحولوا إلى حياة الرعي المتنقل نحو قلب الجزيرة العربية حاملين إليها اللغة العربية العتيقة. وحوالي عام 1950 ق.م انتهت مدة الجفاف وأعقبتها مدة باردة وماطرة أدت إلى ازدهار اقتصادي عام في جميع أنحاء سورية.. وتطابقت بداية مدة الازدهار هذه مع بداية عصر البرونز الوسيط الذي استمرّ من 1950 - 1600 ق.م. وتُظهر المدة الانتقالية ارتباطا حضاريًا واضحًا مع عصر البرونز المبكر، الذي يؤكد على استمرارية سكانية غير منقطعة. مما يدل على أن السكان الذين كانوا يتواجدون فيها قبل الجفاف، هم أنفسهم الذين عمروا الأرض بعد انتهاء الجفاف.

حـ/ ومما أخطأوا فيه أنهم قاسوا التاريخ في الجاهلية الأولى، على التاريخ في الجاهلية الأخيرة، أو على تاريخ صدر الإسلام، أو على تاريخ العصر التركي وجعلوا الهجرات كلها لهدف واحد..

فقال عباس محمود العقاد[1] (إنَّ اتجاه الهجرة من ناحية البحرين وناحية الحجاز، متواتر في الأزمنة التاريخية القريبة والبعيدة،

(1) (أثر العرب في الحضارة الأوروبية) ص10.

وأقربها ما حدث بعد الإسلام من زحف العرب على العراق وزحفهم على الشام في وقت واحد في عهد الخليفة الصديق. والجزيرة العربية في عزلتها المعروفة أشبه بالمواقع التي تضيق فيها موارد الغذاء عن سكانها فيهجرونها إلى أوديةٍ الأنهار القديمة، وليس لدينا ما يمنع أن يكون التاريخ الحديث دليلا على التاريخ القديم).

وذكر الدكتور أحمد سوسة في كتابه (العرب واليهود في التاريخ) ص96 من أمثلة الهجرات الحديثة هجرة قبائل شمّر من ديارها في أراضي (نجد) حيث نزحت جماعات من هذه القبائل إلى العراق على موجتين (في العصر التركي) وذكر قبيلة (عنزة) وأصل موطنها في الحجاز.. قلتُ: في هذه الشواهد أخطاء فادحة وفاضحة، أفصلها في النقاط التالية:

1- أن العقاد جعل الهجرات كلها لهدف اقتصاديّ: وذكر زحف العرب المسلمين على العراق والشام في زمن أبي بكر: وهذا خطأ انتقل إلينا من التفسير الأوروبي أو الاستشراقي للفتح العربي الإسلامي إما أنهم قاسوه، أو لم يفهموه: قاسوه على هجرة الأوروبيين واستعمارهم أقطار الأرض.. حيث كان هدفهم الحقيقي الاستيلاء على ثروات الشعوب وهم لم يفهموا حقيقة الفتح العربي لأنهم لم يتذوقوه، ولم يؤمنوا به، لأنه فريد وحيد في تاريخ هجرة الشعوب.. فالعرب المسلمون لم يخرجوا فاتحين لضيق سبل العيش عندهم، وإنما خرجوا مبلغين دعوة الإسلام، وجاءَهم الوفْر تبعًا لجهادهم. وقد هاجر المسلمون من

مكة إلى المدينة وكان المهاجرون في مكة أحسن حالاً وأكثر مالاً مما صاروا إليه في المدينة. وكان العربُ في الجاهلية - قبل الإسلام - راضين عن عيشهم يكفيهم رزقهم، ولم يكونوا يفكرون في هجرة أو غزو: فأهل مكة تدرُّ عليهم تجارتهم أرباحًا وفيرة، ويتسابقون إلى إطعام الحجيج وأهل الطائف جوار مكة كانت أرضهم تنتج من الغلال ما تنتجه بلاد الشام. وكانت بساتين المدينة (يثرب) تنتج من التمور ما يفيض عن حاجتها فتصدره إلى البلدان الأخرى. وعندما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة، آخى رسول الله بينهم وبين أهل المدينة، ووسع رزقها المهاجرين والأنصار.

وكانت أرض (نجد) تنتج من الحبوب ما يزيد عن حاجتها وتصدره إلى مكة. ففي قصة الصحابي ثمامة بن أُثال الحنفي من (اليمامة) بنجد، أنه أسلم وقدم مكة معتمرًا فقال لأهل مكة: (والذي نفسي بيده لا تأتيكم حبّة من اليمامة - وكانت ريف أهل مكة - حتى يأذن فيها رسول الله.. فلما أضرَّ بهم كتبوا إلى رسول الله - وهم مشركون - أنَّ عهدنا بك وأنت تأمر بصلة الرحم وتحضُّ عليها وأن ثمامة قطع عنَّا ميرتنا وأضرَّ بنا، فإن رأيت أن تكتب إليه أن يخلّي بيننا وبين ميرتنا فافعل، فكتب إليه رسول الله: أنْ خلّ بين قومي وبين ميرتهم) (الإصابة - ترجمة ثمامة بن أُثال)..مع العلم أن المجاهدين الفاتحين كانوا يذهبون فرادى، ويتركون أهليهم في مواطنهم،ومن هنا سنّ عمر بن الخطاب مدة غياب المجاهد عن أهله وزوجته..

وأهل اليمن لم يخرجوا إلى الجهاد إلا بعد أن دعاهم الخليفة لذلك.. وأمَّا هجرة قبائل شمّر وعنزة التي ذكرها أحمد سوسة، فقد كانت في العصر العثماني، والمعروف أن البلاد العربية كلها شامها ويمنها ونجدها وحجازها كانت تئنُّ تحت وطأة الفقر إبان العصر التركي لأن الدولة التركية لم يكن لها همٌّ إلا جمع الضرائب لتصب في خزينة الدولة التركية في الآستانة... وشمّر وعنزة كانوا أعرابًا يسكنون الصحارى، ولم يكونوا من سكان الحواضر.. علمًا بأن نسبة الأعراب إلى أهل الحواضر، نسبة ضئيلة.

2- وأخطأ العقاد في قوله (والجزيرة العربية في عزلتها أشبه بالمواقع التي تضيق فيها موارد الغذاء عن سكانها فيهجرونها... الخ) قلتُ: هذا قول مَنْ لا يعرف الجزيرة العربية إلا من خلال ما قرأه في كتب الأدب التي تتحدث عن الوقوف على الأطلال، وأخبار القبائل التي كانت تطلب مواطن الغيث والمرعى أو من حاج انتقل من المدينة إلى مكة فلم ير في طريقه بستانًا، فظنَّ أن الحجاز والجزيرة كلها على هذا المقياس.

.. قال الأمير شكيب أرسلان في كتاب (الارتسامات اللطاف): ومن الأغلاط المشهورة التي شهرتها لا تمنع كونها غلطًا - الظنُّ بأن الحجاز هي من القخولة بحيث لا تتحمّل عددًا من السكان يزيد على أهاليها الحاضرين وإن زادوا فلا يكون إلا قليلاً. وأن الحجاز ناشف وإن الحجاز يابس وأن الحجاز كثير الحجار والحرار، قليل الرياض والغياض غير أريض الأراضي، إلى غير ذلك من وجوه الاعتراض.

قال الأمير شكيب: وهذا كله من الكلام المرسل بدون تحقيق الذي يقوله من لا يعرف الحجاز، ولا يعرف شيئًا عن الحجاز. وبعض الكسالى مِنْ أهل الحرمين الشريفين الذين يبدون ويعيدون أمام حجاج البيت الحرام وزوار الروضة النبوية عن فقر الحجاز تعمدًا منهم ليستزيدوا برّ الحجاج بهم ويستدرّوا عواطف العالم الإسلاميّ عليهم.

.. وتابع الأميرُ قائلاً: وحقيقة الحال أنه لو كان سكان الحجاز ثمانية أو عشرة ملايين نسمة لكان ثمة مكان لهذا القول، لكن بدون أن نعرف بالتدقيق عدد أهالي الحجاز، نَقْدرُ أن نقول إنهم جميعًا، بدوًا وحضرًا لا يزيدون على مليون نسمة، وربما لا يناهزون هذا العدد (أي: في زمن رحلة شكيب أرسلان إلى الديار المقدسة سنة 1348هـ). وإن مَنْ عرف جزءًا من الحجاز، لا كله، علم أن الحجاز إذا قام أهله على فلحه وزرعه حقّ القيام، أعاش منهم ملايين بالراحة التامة، وأصار إليهم من الخيرات، ما لا يُذكر موسم الحج في جانبه شيئًا.

قال: ولقد رأيتُ على مقربة من مكة (وادي فاطمة[1]) الممتد إلى وادي الليمون مسافة خمس عشرة ساعة، فرأيتُ جنةً من جنان الله في أرضه، لا تفضلها بقعةٌ لا في الشام ولا في مصر ولا في العراق[2].

---

(1) يقع وادي فاطمة شمال مكة على مسافة 24 كم، ويُعرف في التاريخ باسم (مرّ الظهران).

(2) كان هذا الوصف قبل انفجار البترول، حيث كان الفلاحون يستعملون الأدوات الابتدائية القديمة.

ويتحدث الأمير شكيب حديث المشاهد الخبير العالم عن مناطق كثيرة في الحجاز واليمن ونجد وعُمان.. عامرة بسكانها غنيّة بثرواتها الزراعية والمعدنية، صحيّة نقية في بيئتها وهوائها. والحقيقة أن الجزيرة العربية لا يعرفها إلا مَنْ جال في جميع أراضيها، فإنك ترى فيها من المساحات الخضراء التي لا نهاية لها، فتقول: ليس في الجزيرة صحراء، ولا أعراب بُداة. وترى فيها أيضًا صحاري شاسعة فتظنُّ أنه ليس فيها عرق أخضر.

والجزيرة العربية (ما عدا العراق والشام ومصر) رقعةٌ واسعة جدًا فهي أكبر من شبه جزيرة الهند، ومساحتها ثمانية أضعاف الجزر البريطانية. وأربعة أضعاف فرنسا، وتعادل ربع مساحة أوروبا، وثلث الولايات المتحدة... وعدد سكان هذه الجزيرة اليوم - مع الأمن والصحة والثروة والهجرة إليها، وتجنيس الوافدين - قد لا يتجاوز عشرين مليونًا - دول الخليج العربي واليمن - ولو كان نهر خيراتها يصب في أراضيها لاتسعت لأكثر من مائة مليون نسمة، وتقول مرحبًا بالوافدين والمهاجرين..

وما أظن جزيرة العربية - عدا العراق والشام ومصر - قد وصل عدد سكانها إلى مليون نسمة في العصور الجاهلية، مع انهم في الجاهلية الأخيرة هم أكثر ممن كانوا في الجاهلية الأولى، لأنَّ الناس يكثرون بالتناسل ولا يقلّون. وإنما قدّرنا أن سكان الجزيرة في حدود ذلك، لأن الإحصاءات تدلُّ على ذلك. فقد روي أن رسول الله قبض عن مائة ألف

وعشرة آلاف ممن روى عنه وسمع منه، أو رآه. قيل: أين كان هؤلاء وأين سمعوا منه وأين رأوه. قيل: أهل المدينة وأهل مكة ومن بينهما من الأعراب، ومن شهد معه حجة الوداع، كلٌّ رآه وسمع منه بعرفة.

وفي رواية أخرى: قبض رسول الله، والمسلمون ستون ألفًا بالمدينة وثلاثون ألفا في قبائل العرب وغيرها..(عن/ التراتيب الإدارية للكتاني / جـ2 / 405).

وقال ابن سعد في الطبقات جـ2 / 377: شهد مع رسول الله تبوكًا وهي آخر غزوة غزاها، من المسلمين ثلاثون ألف رجل، وذلك سوى مَنْ قد أسلم وأقام في بلاده وموضعه لم يغزُ، فكانوا عندنا أكثر ممن غزا معه تبوكا. فإذا كان عدد الرجال في العهد النبوي مائتي ألف وكان لكل واحد منهم أسرة مكونة من خمسة أشخاص. يكون العدد التقريبي ألف ألف نسمة، قد يزيدون على هذا العدد ولكنها زيادة ليست كثيرة وهذا العدد موزع في جميع أنحاء الجزيرة، في مناطق حضرية زراعية وتجارية كثيرة ومتعددة: المدينة (يثرب) خيبر، ومدائن صالح (العلا) ينبع، رابغ، مكة، الطائف، بيشة، بلاد عسير (جنوب السعودية)، بلاد الإحساء والبحرين شرقي السعودية، اليمن الشمالي والجنوبي، عُمان.. كل هذه مناطق حضريّة واسعة، تكون كلّ واحدة منها مملكة مستقلة، وفيها كثير من أنواع الزراعات. وانظر كتاب (أسماء جبال تهامة وسكانها) لعرّام بن الأصبغ السلمي، من القرن الثالث الهجري.. فإنه يذكر أسماء كثير من القرى الزراعية وأنواع فواكهها وثمارها،وأشار إلى كثرة مائها..

واتساع الصحراء على حساب الرقعة الخضراء في الجزيرة، أظنه قد حصل في القرون الإسلامية، وتمَّ ذلك بطيئًا.. أما في الجاهلية الأولى فقد كانت الأرض معطاء، تجود عليها السماءُ بالماء، وتجري خلالها الأنهار والأودية. ويؤيد ذلك أنَّ (سدّ مأرب) ربما كان في القرن العاشر قبل الميلاد. وذكر الله قوم سبأ الذين بَنَوْا السدّ، وما أنعم الله عليهم فقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ (سبأ: 15) وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾ (سبأ: 18).

.. والقرى التي بارك الله فيها هي بلاد الشام.. وهذا يعني أنه كان بين اليمن، وبلاد الشام عمران متصل، ويؤيد ما وصفنا أنَّ ديودوروس الصقلي - في القرن الأول قبل الميلاد - يذكر أن بلاد العرب التي تقع في الشمال من العربية السعيدة (اليمن) وتمتد حتى تجاور سورية، يتخللها كثير من الأنهار ويهطل عليها مطر غزير في الصيف فيكون بذلك لسكانها موسمان زراعيان في السنة الواحدة. (نقلاً عن (مصادر الشعر الجاهلي) - لناصر الدين الأسد).

وكانت الأمطار في جزيرة العرب - في العصر الجاهلي الأخير - غزيرة غزارة لا تعرفها الجزيرة في القرون الإسلامية المتأخرة. والدليل على غزارتها: ما يحفل به الشعر الجاهلي من وصف الأمطار والسيول:

ومن الأدلة: كثرة الأودية ومسايل لماء التي نشاهدها في الجزيرة غائرة غائضة. وقد عقد (الهمداني) في كتاب (صفة جزيرة العرب) فصلاً عن أودية (السراة) ومسايل الماء فيها، وعدَّ منها شيئًا كثيرًا. وقد شاهدتُ - عندما سكنتُ المدينة المنورة من 1979 - 1994 - وادي العقيق يبقى شهرًا وكأنه النهر. ووصفه القدماءُ في القرن السابع الهجري كأنه نهر النيل. وفي المدينة بقعة واسعة جدًا تتجمع فيها المياه وتبقى سنوات، تسمى (بحيرة العاقول) كانت تمشي فيها الزوارق الصغيرة. وفي المدينة منطقة تسمّى (الغابة) كانت في القديم غابة حقيقية..

واقرأ هذا الشعر من معلقة امرئ القيس في وصف المطر:

أصاحِ ترى برقًا - أُريك وميضه ... كَلَمْعِ اليَدَيْنِ في حَبِيّ مُكَلَّلِ(1)
يضيء سَنَاهُ أو مصابيحُ راهبٍ ... أمال السَّليطَ بالذُّبالِ المُفَتَّلِ(2)
قعدتُ وأصحابي له بين ضارج ... وبين العُذَيب بَعْدَ ما متأمّلي(3)

(1) يقول: يا صاحبي هل ترى برقًا أُريك لمعانه وتألقه في سحاب متراكم صار أعلاه كالإكليل لأسفله يشبه برقه تحريك اليدين، أراد أنه يتحرك تحركهما. والحبي: الغمام.

(2) يقول: هذا البرق يتلألأ ضوءُه فهو يشبه في تحركه لمع اليدين أو مصابيح الرهبان أُميلت فتائلها بصب الزيت عليها في الإضاءَة. يريد أن تحرك البرق يحكي تحرك اليدين وضوءَه يحكي ضوء مصباح الراهب إذا أنعم صبّ الزيت عليه فيضيء.

(3) ضارج، والعُذَيب: موضعان. و(بعْد) أصلها (بَعُدَ) فسكن العين. و(ما) زائدة. وتقديره: بَعُدَ متأملي. يقول: قعدتُ وأصحابي للنظر إلى السحاب بين هذين الموضعين، فبَعُد متأملي، أي: بَعُدَ المنظور إليه. أي: بَعُدَ السحاب الذي كنتُ أنظر إليه.

على قَطَنٍ - بالشيم - أيمنُ صَوْبِه ... وأَيسرُهُ أعلى السِّتار فيَذْبُل[1]
فأضحى يسحُّ الماءَ حول كُتيْفَةٍ ... يكبُّ على الأذقان دوح الكَنَهْبَل[2]
ومرَّ على القنان من نفيانه ... فأنزل منه العُصْم من كلِّ مُنْزَل[3]
وتيماءَ لم يترك بها جذْع نخلة ... ولا أُطمًا إلا مَشيدًا بجَنْدَل[4]
كأنَّ ثبيرًا في عرانين وَبْلهِ ... كبيرُ أُناس في بجاد مُزَمَّل[5]
كأنَّ ذرا رأس المجيمر غدوة ... من السيل والأغثاء فَلكة مِغْزَل[6]
وألقى بصحراءِ الغبيط بَعَاعه ... نُزُولَ اليماني ذي العياب المُحَمَّلِ[7]

(1) قطن، ويذبل؛ والستار: جبال. وبين الأخيرين و(قطن) مسافة بعيدة. الصوب: المطر. والشيم: النظر إلى البرق مع ترقب المطر. يقول: أيمن هذا السحاب على (قطن). وأيسره على الستار ويذبل يصف عظم السحاب وغزارته وعموم جوده.

(2) كتيفة: موضع. والكنهبل: شجر. والدوح:واحده الدوحة: الشجرة العظيمة. يقول: فأضحى هذا الغيث يصبُّ الماءَ فوق هذا الموضع المسمى (كتيفة). ويلقى الأشجار العظام على رؤوسها. وتلخيص المعنى: أن سيل هذا الغيث ينصبُّ من الجبال والآكام فيقلع الشجر العظام.

(3) القنان: اسم جبل. النفيان: ما تطاير من قطر المطر. العُصْم: جمع أعصم وهو الذي في إحدى يديه بياض من الأوعال وغيرها. يقول: ومرَّ على هذا الجبل مما تطاير وانتشر وتناثر من رشاش هذا الغيث فأنزل الأوعال العصم من كل موضع من هذا الجبل لهولها من وقع قطره على الجبل وفرط انصبابه.

(4) يقول: لم يترك هذا الغيث شيئًا من جذوع النخل بقرية تيماء ولا شيئًا من القصور والأبنية إلا ما كان منها مرفوعًا بالصخور أو مجصصًا يعني أنه قلع الأشجار وهدم الأبنية إلا ما كان منها مرفوعًا بالحجارة والجص.

(5) يقول: كأن جبل ثبير في أوائل مطر هذا السحاب سيد أُناس قد تلفف بكساء مخطط، شبه تغطينه بالغثاء بتغطية هذا الرجل بالكساء.

(6) يقول: كأن رأس هذه الأكمه (رأس المجيمر) مما أحاط بها من أغثاء السيل فلكة مغزل. شبه استدارة هذه الأكمة بما أحاط بها من الأغثاء باستدارة فلكة المغزل.

(7) يقول: ألقى هذا المطر ثقله بصحراء الغبيط فأنبت الكلأ وضروب الأزهار وألوان النبات، فصار نزول المطر به كنزول التاجر اليماني صاحب العياب (وعاء) المحملة من الثياب حين نشر ثيابه يعرضها على المشترين وهي ذات ألوان.

كأنَّ مكاكيَّ الجواء غُديّةً صُبِحْن سُلافًا من رحيق مفلفل[1]
كأنَّ السباع فيه غرقى عشيّةً بأرجائه القصوى أنابيشُ عُنْصُل[2]

واستشهد بعضهم لنظرية الهجرة من الجزيرة العربية إلى الشام بالتشابه بين أسماء مدن وجُدت في شرق الجزيرة العربية، مع مثيلاتها في بلاد الشام. وتشابه في المقابر.

ولكنهم لم يستطيعوا تحديد الزمن لنعرف منه أيهما أسبق في الوجود كما أن تشابه الأسماء - بدون تحديد الزمن - لا يدلُّ على اقتباس أحدهما من الآخر، وربما كان التشابه مصادفة، أو أن أحدهما قد حُرِّف ليوافق الآخر.

نقول: ما المانع من القول: إنَّ أهل الجزيرة العربية أخذوا هذه الأسماء من بلاد الشام، على أساس أن التواصل كان بينهما موجودًا أو أنَّ هجرة حصلت من الشام إلى تلك المناطق.

قلتُ: إنَّ تشابه الأسماء، لا يؤدي إلى نتيجة تاريخيّة محتومة: فالدكتور كمال الصليبي في كتابه: (التوراة جاءَت من جزيرة العرب) بنى نظريته على تشابه الأسماء، فلم ينجح في بناء تاريخ مقبول. (انظر كتاب (الحدث التوراتي) - لفراس السواح).

(1) يقول: كأن هذا الضرب من الطير سُقي خمرًا صباحًا في هذه الأودية.
(2) يقول: كأن السباع حين غرقت في سيول هذا المطر عشيًا أصول البصل البريّ شبه تلطخها بالطين والماء الكدر بأصول البصل البري لأنها متلطخة بالطين والتراب.

الرأي الثالث في تأريخ الوجود العربي في فلسطين الذي يقول: اجتمع في فلسطين، وبلاد الشام، الأصيل والمهاجر، وكلاهما عربيٌّ من جزيرة العرب بحدودها التي وصفتُها في أول الكتاب.

فالناسُ في نجد واليمن والحجاز والشام أصيلون متجذرون في أرضهم، ولكن ذلك لا يمنع من انتقال الناس جزئيًا من هذا الإقليم إلى ذاك الإقليم لأسباب اقتصاديّة أو اجتماعية أو دينيّة.. الخ. فقد هاجر إبراهيم ولوط من أرض بابل إلى فلسطين لأسباب دينيّة واجتماعية هربًا من قومه الذين لم يؤمنوا بدعوته فقال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: 71) وهاجر إسماعيل وأُمه هاجر إلى مكة، لأسباب اجتماعية، ولأمر أراده الله. وهاجر يعقوب وبنوه إلى مصر لأسباب اقتصادية واجتماعية. وهاجر العماليق من فلسطين إلى (يثرب) لأسباب اقتصاديّة..

ونحن نرجح أن الكنعانيين في فلسطين خُلِقوا في فلسطين ولم يهاجروا إليها، وهاجر مَنْ هاجر إلى فلسطين والكنعانيون موجودون في فلسطين فإن كانت هجرة من قلب الجزيرة إلى فلسطين وبلاد الشام؛ فإنها تُقاس على الهجرات المؤكدة التي عرفنا تاريخها.. يُقال: إن الغساسنة جاءوا إلى الشام من بلاد اليمن: وكانت بلاد الشام عامرة بأهلها، فانضافوا إلى أهل الوطن الأصليين.. وجاءَ العرب المسلمون الفاتحون إلى بلاد الشام وكانت عامرة بسكانها العرب، والذين بقوا في

البلاد بعد رحيل الروم، هم سلالات العرب الكنعانيين، أو قل: هم سلالات سكان الجزيرة العربية، قبل أن يسموا بالكنعانيين.

ولذلك فإنني أرى أن تمحى كلمة (الهجرة) من تاريخ الكنعانيين، لأنهم لم يهاجروا إلى فلسطين ونقول: (إن أَقدم شعب عرفناه في فلسطين، هو الشعب الكنعاني) وإذا كانت معرفتنا تقف عند زمن معيّن، فلا يعني ذلك أن هذا الشعب وُجد في هذا التاريخ الذي بدأت منه المعرفة. فهو موجود قبل هذه المعرفة، ولكن قدرتنا المعرفية عجزت عن تحديد تاريخ أسبق. وإذا قلتُ: إنني أعرف فلانًا منذ كان في الصف الأول الابتدائي، فهل يعني ذلك إلغاء وجوده السابق لأنني أجهله؟

فلسطين - والفلسطينيون

المشهور الشائع - وليس كلُّ مشهور صحيحًا - أنّ الفلسطينيين، جاءوا من بلاد اليونان، أو من جزر بحر إيجة، أو من جزيرة (كريت).. أو (كِفتور) كما جاء في لفظ (التوراة).. لقد شاعت هذه النسبة وذاعت، سبق إليها مَنْ سبق، ولحق به مَنْ لحق، أخذ الثاني عن الأول، والثالثُ عن الثاني، وهكذا دواليك.. وتوكيدًا لهذه النسبة، ربطوا بين أحداث حصلت في بلاد اليونان وبين زمن وجود الفلسطينيين في فلسطين.. وربطوا أيضًا بين آثار صناعية، أو صناعات أثرية وجدوها في قرى فلسطينية، وبين صناعات أَثرية وجدت في جزيرة (كريت) أو جزر بحر (إيجة).

ونحن - العربَ، مؤرخين، وقارئين - لم نَرَ الآثار، ولم ندرسها، وإنما قيل لنا: وُجدت آثار، وأنها تدلُّ على كذا وكذا. فأخذنا بما قاله الأعداءُ في تفسير تاريخنا. ومَنْ الذين قالوا وفسروا؟ إنهم علماء الآثار (التوراتيّون) وقد جالوا فلسطين و(التوراة في يد والمجراف في اليد

الأُخرى) هدفهم إثبات أن علم الآثار يؤيد الأخبار التوراتية[1] وأن الشعوب التي سكنت فلسطين - ما عدا الإسرائيليين، كانت غريبة عن

(1) كان صك الانتداب الذي تضمن وَعْد بلفور ينصُّ في المادة الثانية على ما يلي: (سوف تهيئ حكومة الانتداب الظروف السياسية والإدارية والاقتصادية التي تؤدي إلى إنشاء وطن قومي لليهود. وتنص المادة (21) من صك الانتداب على ما يلي: (خلال اثني عشر شهرًا من تاريخه، سوف تؤمن حكومة الانتداب إصدار قانون الآثار وتتأكد من تنفيذه..(وكان هربرت صموئيل - أول حاكم بريطاني لفلسطين - وكان يهوديًا - قد اتخذ فور تسلمه الحكم المدني في تموز 1920 خطوات عملية تمهد لتحويل فلسطين إلى وطن قومي لليهود، وتوفير الظروف السياسية والاقتصادية والإدارية لتحقيق هذا الهدف ويتضح أن الصهيونية قد عدّت توفير المناخ الملائم للعمل في مجال التاريخ والتنقيب عن الآثار ذا أهمية كبيرة، لا تقل أهمية عن توفير المناخ السياسي والإداري والاقتصادي لإنشاء الوطن القومي بل إنَّ إشارة صك الانتداب ذاته إلى (الرابط التاريخي) بين اليهود المشتتين في العالم و(أرض آبائهم) - كما سموها - كان أكبر نصر في مطلع القرن العشرين للصهيونية ولزعيمها (حاييم وايزمن) الذي أصرَّ على أن يتضمن صك الانتداب مثل هذه الإشارة. إيمانًا منه بأن التركيز على الجانب (التاريخي) هو شرط أساسي لنجاح المشروع الصهيوني، ولضمان (عودة) اليهود إلى (أرض أجدادهم) كما يزعمون. وكثيرًا ما كان وايزمن يردد (نحن لسنا بقادمين ولكننا عائدون) (We are not coming but returning) وكان قد أُنشئ في بريطانيا سنة 1865 (صندوق اكتشاف فلسطين) بعد حوالي 25 عامًا من افتتاح أول قنصلية بريطانية في القدس وبدء التغلغل الأوروبي في فلسطين والدولة العثمانية عمومًا، وكان غرض هذا الصندوق هو البحث في آثار وجغرافية وجيولوجيا تأريخ فلسطين الطبيعي لإثبات التراث الإنجيلي بطرق علميّة. وكان هذا البحث يهدف إلى التعرف على الأماكن لمحاولة الوصول إلى برهان علمي على المعتقدات الدينيّة. وكان أول أعمال هذا الصندوق المسح الجغرافي لفلسطين الذي جاء على شكل 26 خريطة مفصلة تفصيلاً دقيقًا بمقياس يقرب من 1 - 60.000 كما وصل تصنيف الأماكن إلى 46 تصنيفًا مثلاً: مدينة، قرية، خربة، بير، مزار، تلّ، نبع..الخ.

فلسطين، وإثبات القدم الأقدم لليهود في فلسطين.. فاخترعوا للفلسطينيين - الذين أعطوا فلسطين اسمها - هذه النسبة البعيدة، أو قل: إنهم أرادوا توكيد الأخبار التوراتية حول الفلسطينيين. حيث قال مؤلف التوراة، بل قال: مؤلفو التوراة في سفْر (صَفَنْيا) ويلٌ لسكان ساحل البحر أُمة الكريتين، كلمة الربّ عليكم يا كنعانُ أرض الفلسطينيين إني أُخربك بلا ساكن. فجعلهم في النص (كريتيين) نسبة إلى (كريت).

وفي سفْر (إرميا) يجعلهم من جزيرة (كَفْتور) حيث قال المؤلف (لأن الربَّ يُهلك الفلسطينيين بقية جزيرة كفتور). فقال المفسرون: إن (كفتور) هي جزيرة (كريت). وقال بعض المفسرين: إن مجيء الفلسطينيين إلى فلسطين في القرن الثاني عشر قبل الميلاد هو أول غزو أوروبي لفلسطين. لأن جزيرة كريت من أوروبا.

ولنا تعليقات على قصة مجيء الفلسطينيين من جزيرة كريت، أو من جزر بحر إيجة، تشكك في وقوع هذه القصة أو تنفيها:

الأولى - قالوا: إنَّ سجلّ حملة رمسيس الثالث ذكر خمسة شعوب انطلقت من جزرها الشمالية، وذكروا خمسة أسماء، منها (البيلست) وقد سلكت هذه الشعوب الطريق نفسها إلى مصر - وهو الساحل الفلسطيني - قادمة من آسيا الصغرى (تركيا) ولكن الفرعون بادرها بالتحرك نحو بلاد (زاهي) أي الساحل الفينيقي حيث شتتهم إلى الأبد. وقالوا: إن الفرعون سمح للبيلست بالاستقرار في الساحل الفلسطيني. فلماذا سمح للبيلست، ولم يسمح للآخرين؟ وأين ذهبت هذه الشعوب

الأربعة المذكورة، حيث لم نعرف لهم ذكرًا فيما بعد. والغريب في القصة، أن الشعوب التي حاربها الفرعون خمسة. ثم استقر الفلسطينيون في فلسطين وبنوْا خمس مدن. فما علاقة (خمس مدن) بخمسة شعوب؟

الثانية - وقالوا: إن مجموعة (الثكاليين) من الشعوب الخمسة، استقرت في (الطنطورة) جنوبي الكرمل وأسسوا دولة - وأنهم من جزيرة صقلية. إلا أنهم لم ترد أخبار عنهم في تاريخ اليهود[1] وهذا يعني أن ورود اسم شعب في تاريخ اليهود أساسٌ لذكره في التاريخ.

الثالثة — إنَّ أكبر دليل عندهم على قدوم الفلسطينيين من جزيرة (كريت) - وربما كان الدليل الوحيد - نماذج الخزف التي أدخلوها معهم إلى البلاد وعثروا عليها في (لخيش، وجازر).

قلت: إنه ليس دليلاً قاطعًا على هجرة من كريت إلى فلسطين. لأن لخيش وجازر، ليستا معدودتين من المدن التي سكنها الفلسطينيون. وإذا فرضنا أنهم وجدوا النماذج الخزفية في المدن الخمس (غزة - وعسقلان - واسدود، وعقرون - وعراق المنشية) فإنه يحتمل أنها مصنوعة محليًا، وتوافق الصناعات في أماكن متعددة لا يدلُّ على الهجرة،إذا توافقت الظروف الجغرافية. فجزيرة كريت بحريّة، والمدن الفلسطينية الخمس، تقع على ساحل البحر. ولعلَّ تسمية (شعوب البحر)

(1) تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، تأليف برستيد جايمس هنري. ترجمة حسن كمال، 1929.

جاءَت من ملاصقة المدن لساحل البحر. ونقول أيضًا: لماذا لا تكون هذه الصناعة انتقلت من فلسطين إلى جزيرة كريت. أو نُقِلتْ خبرة الصنعة عن طريق المسافرين والتجار. والمعروف أن العلاقة بين (كريت) والكنعانيين الذين أخذوا اسم الفينيقيين، أقدم من تاريخ هجرة الفلسطينيين إلى فلسطين، وهي علاقة قويّة حتى قيل في الأساطير اليونانية إن أهل كريت من سلالة فينيقيّة، لأن ملك الجزيرة (مينوس) كان ابن الحسناء (أوروبة) أميرة مدينة (صور) التي كان يحكمها الملك (فونيق). وقد أثبتتْ الحفريات وجود اللغة العربية الفينيقية في الجزيرة حوالي سنة (2000) ق.م أو قبلها[1].

الرابعة - قالوا: في تعليل هجرة الفلستيين من بلادهم: إن الحضارة اليونانية، وحضارة بحر إيجة، تعرضت إلى سلسلة من الهجمات البربرية دمرت كل مراكزها الحضرية الهامة وأدت إلى تشتتْ أهلها في الأصقاع المجاورة.. بحثًا عن مواطن جديدة بعيدًا عن عالم قد تمَّ تهديمه تمامًا وعمّته الفوضى والاضطراب والفقر المدقع.. (عن (الحدث التوراتي) - لفراس السواح).

قلتُ: وهذا أمر غريب. فهذا الشعب المقهور الذي دُمّرت حضارته وعاش في فقرْ مدقع.. استطاع تدمير ممالك آسيا الصغرى، ثم توجه نحو الشام فسقطتْ أمامه ممالك سورية، في طريقه إلى مصر.. ينقلون

(1) انظر كتاب (أشتاتٌ مجتمعات)للعقاد. مقالة (قدم الكتاب بالعربية)، ص21.

عن سجلات (رعمسيس الثالث الفرعي) أن الفلسطينيين أثاروا الرعب في صفوف المصريين لقدرتهم وتمرسهم على القتال في البحر والبرّ، وأنهم قد دمروا كل الممالك التي كانت في طريقهم وأن قلوبهم عالية عامرة بالثقة بأنفسهم.. وأن سحنتهم أقرب إلى الأوروبيين، ويصف سلاحهم.. (انظر: العرب واليهود / لأحمد سوسة). وهذا الوصف، أو التحليل للآثار، كتبه الأوروبيون، ونقل العرب عنهم هذا الوصف.. ونحن لا نثق بما يكتبه الأوروبيون حول تاريخ بلادنا لأن الهوى العنصري والديني يوجه الكتابات التاريخيّة الأوروبية، ولذلك جعلوا الفلسطينيين من أصل أوروبي،وقالوا: إنهم علمّوا الكنعانيين العرب صناعة الحديد، وأخرجوهم من العصر البرونزي إلى العصر الحديدي، وعلموا الفينيقيين العرب الملاحة البحرية..

وهم - أي الفلسطينيون - في تفسير علماء التوراة، أقوياء أشدّاء مسلحون، ولكنهم أغبياء، ولذلك انتصر عليهم اليهود الأقلّ عددًا وقوة وسلاحًا، لأنهم أذكياء، فغلبَ عقلهم قوة الفلسطينيين وربما قالوا: إن العرب في العصر الحديث ورثوا الفخر بالكثرة والقوة دون أن تكون لديهم قدرات عقلية تدير هذه الإمكانات المادية، فغلبهم اليهودُ الأقل عددًا وعُدَّة، بذكائهم. ولذلك هزم داود الصغير، جالوت الضخم الجثة الطويل القامة.. فهم يتحدثون بلسان شاعر العرب عندما قال:

ترى الرجل النحيل فتزدريه ... وفي أثوابه أَسدٌ هصور
ترى الرجل الطرير فتبتليه ... فيخلف ظنّك الرجلُ الطرير

الخامسة - قالوا: إن الفلسطينيين علموا العرب الكنعانيين الفينيقيين الملاحة.. وهذا خطأ تاريخي، ذلك أن الفينيقيين وُجدوا في جزيرة كريت حوالي سنة (2000) ق.م، وأعطوا أهل كريت لغتهم وحروف الكتابة الهجائية ويقدّر المؤرخون زمن وجود الفلستيين في فلسطين حوالي سنة 1200ق.م. وهناك نظرية تقول: إن الفينيقيين قدموا إلى فلسطين من شواطئ الخليج العربي، وأنهم انتقلوا من البحرين إلى شواطئ منطقة البصرة بالعراق، بواسطة السفن ثم انتقلوا برًّا إلى الساحل السوري، واختاروا العيش في الساحل، لخبرتهم بالبحر. وإذا أخذنا بالنظرية القائلة إن الفينيقيين نبتوا في السواحل الشاميّة وأنهم تطور طبيعي للإنسان في العصر الحجري.. فهم على هذا أهل خبرة بالبحر، لأن مُدُن الفينيقيين كلها ساحلية.

السادسة - وقالوا: إن الفلسطينيين أدخلوا معهم إلى البلاد صناعة الحديد التي أتقنوها، وبذلك رفع الفلستيون مستوى حضارة أهل البلاد (الكنعانيين) من استعمال البرونز إلى درجة أرقى منها وهي استعمال الحديد ولكننا نملك دليلاً صحيحًا أن استعمال الحديد كان بناء على تطور ذاتي من داخل البلاد، هدى الله الناس إليه. لأن الله ذكره من المزايا التي خصَّ الله بها داود عليه السلام، فقال تعالى: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ (سبأ: 10) وقال تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾ (الأنبياء: 80) وهي صناعة الدروع من الحديد لدرء خطر الحرب.

السابعة - بقي الفلستيون - كما تقول الكتب التاريخية - من القرن الثاني عشر، إلى القرن السادس قبل الميلاد، يحملون اسم الفلستيين ويُشار إليهم بوصفهم شعبًا متميزًا له قيادة وزعامة.. ثم اندمجوا بالشعوب (السامية؟) العربية المحيطة بهم. ومع هذه المدّة الطويلة (حوالي ستمائة سنة) فليس لدينا معلومات عن لغتهم، إذْ لا توجد أيّ وثائق مكتوبة بلغة يُقال إنها فلسطينية. ولم يتركوا مفردات لغوية قليلة أو كثيرة، ولم يتركوا أسماءً لمسميات في الحياة العامة.

.. حتى أسماء المدن التي قيل: إنها مُدُن فلسطينية - أسماء عربية كنعانية - وزعم مصطفى مراد الدباغ أن كلمة (سيرين) بمعنى سيد يرجح أنها فلسطينية، ولم يقطع في الجواب. وزعم أن (الخوذة) غطاء رأس المحارب كانت تعرف عند الفلسطينيين باسم (كوبع) ورجح أن كلمة (قبعة) العربية، فلسطينية الأصل. ولم يشر أحد إلى غير هاتين الكلمتين.

قلتُ: وهذا أمر غريب: هل كان القوم خُرسًا، يتكلمون بالإشارة أو كانت كلماتهم المستعملة تُعدُّ على أصابع اليدين، فغابت في زحمة اللغة العربية الكنعانية؟

ونقل أحمد سوسة عن (لودز) أن الفلسطينيين قد (تكنعنوا) بسرعة في حوالي القرن الحادي عشر قبل الميلاد في خلال مُدَّة تقل عن (150) سنة بعد استقرارهم على أرض فلسطين.

وإذا سلمنا بهذه المقولة، فإن ذوبان قوم في آخرين، أو ذوبان الغالب في المغلوب، أو المغلوب في الغالب، لا يمنع من تأثير أحدهما في

الآخر، ولا يمنع بقاء آثار تدل على حلول قوم في المكان، في يوم من الأيام.. فكل الأمم التي مرت بفلسطين تركت آثارًا لغوية أو حضارية، قليلة أو كثيرة: الفرس والروم، والفراعنة، والحوريون والليديون، والآشوريون.. الخ.

وبناءً على التعليقات السابقة التي تشكك في قصة الفلسطينيين كما روتها الكتب، نستطيع أن نضع العنوان التالي:

الفلسطينيون فصيل من الشعوب، أو البطون العربية التي سكنت فلسطين، وعندنا شواهد، جديرة بالدراسة، تذكر منها:

1- قال الدكتور أحمد سوسة في كتاب (العرب واليهود / ص 231): وقد حدد الباحثون موضع وطن الفلسطينيين في (ليقية) في سواحل آسيا الصغرى، مع احتمال اتصالهم بجزيرة كريت. وهي في جنوب تركيا الآسيوّية. والشاهد قوله (مع احتمال كذا.. يعني أنه يرجح كونهم من ليقيا)..

2- وقال أحمد سوسة (ص234) من كتابه المذكور أعلاه (إن الخبراء قاطبة متفقون على أن الفلسطينيين قوم مجهولو الأصل من حيث العنصر واللغة جاءوا من سواحل آسيا الصغرى التي تضمُّ ليديا، وإيجيا، وشمال سورية). وهذا الشاهد، والذي قبله ينفيان كون الفلسطينيين من أصول أوروبية كريتية أو يونانية، ويدلان على أنهم جاءَوا من منطقة بريّة، في تركيا الآسيويّة. وتمعنْ في قوله (شمال

سورية) فسوريا كلها من الجزيرة العربية، ولا تقف حدود سوريا عند الحدود الدوليّة اليوم بل تتوغل في الأراضي التركية.

3- نشر الدكتور معروف الدواليبي مقالاً في مجلة الأديب البيروتية (نيسان 1974) ذهب فيه إلى أن البحاثة الأثري الفرنسي (هييري باراتون) وضع كتابًا بعنوان (الأريتروسكيون في مغربنا وفي أصولنا الفرنسية) جاء فيه أن الأريتروسكيين هم فرع من الفينيقيين السوريين وأن اسمً فلسطين هو أحد أسماء مدنهم، وأن معنى (الأريتروسك) في اللغة المصرية القديمة (بحارة النيل) وأن معنى الفلسطينيين (الجنود المحاربون).. وقال: إن هؤلاء الفينيقيين السوريين يحملون أسماء كثيرة مختلفة، ومنها الفلسطينيون الذين كانوا يمتهنون الجندية.وينتهي الدكتور الدواليبي إلى أن الفلسطينيين هم الجبارون الذين ورد ذكرهم في التوراة وفي القرآن الكريم، أي: العمالقة. ثم أكّد أن الفلسطينيين عرب لا شك فيهم، وهم كنعانيون فينيقيون سوريون، وأنهم هم الجبارون الذين عناهم القرآن الكريم.

4- تقول دائرة المعارف اليهودية في تعريف كلمة فلسطين أحد الأسماء للبلاد المعروفة بـ (أرض إسرائيل) أو الأرض المقدسة. وكلمة فلسطين كانت أساسًا فعلاً مشتقا من العبرية (بيليشت) وأول مَنْ ذكرها هيرودوتس والشاهد قوله (كلمة فلسطين كانت فعلاً مشتقا من العبرية) وقالوا للرد على ذلك: إنَّ اللغة العبرية المعروفة اليوم لم تكن قد وُجدت لما وجد الشعب الفلسطيني، وقومُ موسى ونحن نقولُ: لا تُوجد

لغة عبرية في التاريخ، فاللغة التي سموها (عبريّة) هي لغة مسروقة من اللهجتين العربيتين: الكنعانية والآراميّة. فإذا صحَّ أن كلمة (فلسطين) موجودة أو ذات جذر فيما يسمى (اللغة العبرية) فإنها تكون عربيّة.. لقوم من العرب مع العلم أ ن مادة (بلس) ومادة (فلس) موجودتان في المعجم العربي، ومعناهما لا يبعد كثيرًا عن المعنى الذي يريده اليهود من لفظة (بيلشت).

5- نُقِل عن عالم الآثار الأمريكي (طومسون[1]) أنه ينفي مجيء الفلسطينيين من بحر إيجه، وأنه يرى أن فكرة وجود الفلسطينيين في فلسطين اختراع إسرائيلي كما أنَّ فكرة دولة داود - سليمان اختراع أيضًا (مجلة (التراث العربي) - دمشق من مقال: لناجي علوش). ومقالة طومسون جديرة بالتأمل والدراسة ذلك أن المصدر الأول لنسبة

(1) طومسون: كان أستاذ علم الآثار في جامعة ماركويت في ميلووكي. طرد من وظيفته عام 1992، لأنه صرّح في كتاب له: أن مجموع التاريخ الغربي لإسرائيل والإسرائيليين يستند إلى قصص من العهد القديم، من صنع الخيال. وبرر رئيس الجامعة طرد طومسون، بأن الجامعة تحصل على دعم من الكنيسة والمهم في نظرها - أي الكنيسة - ليس أن تكون للنصوص التاريخية قيمة تاريخية فحسب، بل أن تتفق أيضًا مع وجهة نظر نواميس العقيدة) وقصة طومسون، مثل لوقوع تاريخ فلسطين القديم - قبل الميلاد - في قبضة الدراسات التوراتية التي تجعل من التوراة المصدر الوحيد المقدس للتاريخ القديم. وهي مثل أيضًا لانعدام الحرية العلمية في أمريكا وأوروبا، وتقدّم مثلا للإرهاب الذي تستعمله الصهيونية مدعومة من الكنيسة، ضدَّ كلِّ مخالف لما يزعمون. قلت: لو أنَّ مثل قصة طومسون حصلت في بلد عربي، لهاج وماج البيت الأبيض والكونجرس الأمريكي، وكل جماعات (حقوق الإنسان) وعدوه مبررًا لفرض الحصار على القطر العربي، وضربه بالصواريخ.

الفلسطينيين إلى (كريت) هي التوراة ونسبتهم مرة أُخرى إلى (كفتور) وقالوا: إنها معادلة لـ (كريت). وقد سماهم المصريون (شعوب البحر) ربما لأنهم كانوا مجاورين للبحر، وربما كانت بعض الشعوب التي ذكرتها السجلات، بحرية فأجملوا البريّ والبحري في سجلّ واحد.

6- ونظرية كمال الصليبي في كتاب (التوراة جاءَت من جزيرة العرب) فيها ما هو جدير بالتدبّر والتفكير. فهو يرى أن جزيرة كريت الواردة في التوراة هي وادي (كريت) وهو رافد لواد في مرتفعات رجال ألمع في عسير، جنوب السعودية. وهناك واحة تسمّى (الكراث) (كرث) في وادي بيشة، حيث هناك قرية تسمى (الفلسة) وبعد أن يجد لكل مدينة من مُدُن الفلستين الخمس مكانها في غرب العربية يقول: فقد كانت للفلستيين مدنهم الرئيسة في الجانب البحري من (عسير) وجنوب الحجاز، ولأمرٍ ما، هاجروا إلى الشام، حيث أعطوا اسمهم لأرض فلسطين.

ونحن نأخذ من كلام الصليبي شاهدًا رافدًا يرفد الشواهد السابقة على عروبة الفلستيين، وأنهم جاءوا إلى فلسطين من جزيرة العرب، وانتقلوا من شواطئ البحر الأحمر، إلى شواطئ البحر المتوسط. يدلُّ على ذلك، أن مؤلفي التوراة اختاروا الفلستيين من بين الشعوب التي ذكرتها سجلات الفرعون، ليصبوا عليهم جام غضبهم، لأنهم من الجنس العربي، ذلك أن اليهود أو أتباع التوراة، لا يكرهون جنسًا من البشر كما يكرهون العرب، لأن العرب هم الشاهد الوحيد على كذب

(الإسرائيليين،والعبران واليهود) في ادعائهم النسبة إلى إبراهيم ويعقوب، واليهود يقرّون في أنفسهم أن الفلسطينيين القدماء من العرب، ولذلك اتخذوا (جالوت) رمزًا للعربي الغبيّ الذي يتسم بضخامة الحجم وكثرة السلاح، ولكنه لا يستخدم عقله فيمنى بالهزيمة في مقابل (داود) رمز اليهود الذي يستخدم ذكاءه ومهارته في هزيمة عدوه. والمعروف أن (جالوت) موصوف في التوراة بأنه فلسطيني.

7- الفلسطينيون القدماء المشار إليهم في القرن الثالث عشر قبل الميلاد - إن كانوا موجودين تأريخيًّا - هم فرقة من العرب، قد يكونون نبتوا على أرض فلسطين، وقد يكونون من (فلسة) في منطقة عسير البحرية - على البحر الأحمر - أو إن كانوا قد عادوا إلى وطنهم الأم، بعد غربة في جزيرة (كريت) في البحر المتوسط، فالعرب الفينيقيون استوطنوا جزيرة كريت في القرن العشرين قبل الميلاد، وأعطوا الجزيرة لغتها الأولى وحروف كتابتها، ولم تنقطع صلتهم بوطنهم. وعندما عادوا وضع لهم خصومهم من الفراعنة واليهود، صفة (الفلسطينية) وهي في اللغة الفرعونية صفة مدح، لأنها تعني: الأشدّاء الأقوياء المجيدين لفنون الحرب.

وهي أي (فلسطين) في الاستعمال اليهودي: صفة ذمّ. يدل على ذلك استعمال كلمة (Philistine) في اللغة الإنجليزية بشكل ازدرائي لوصف الشخص المادي النزعة والفظّ الذي لا يهتم بالثقافة، وهذه الأوصاف مشتقة من (العهد القديم) التوراة.

ومن أقوى الإشارات إلى عروبة الفلستيين، أنهم لم يتركوا ما يدلُّ على لغة خاصة بهم؛ والامتزاج السريع بالكنعانيين: فالمدن التي قيل إنها فلسطينية (عسقلان، واسدود، وجت، وعقرون، وغزة) كانت مبنية قبل التاريخ المقدر لوجودهم (1200 ق.م) وبقيت أسماؤها كنعانية، وعبدوا آلهة الكنعانيين، وأخذوا لغتهم، والحقيقة أنهم لم يأخذوا لغة الكنعانيين، لأن لغتهم ولغة الكنعانيين واحدة. ذلك أن هذا الامتزاج السريع بالكنعانيين، الذي عفى على كل أثر للفلسطينيين، ليس له إلا تفسير واحد، هو أن الفلسطينيين من الكنعانيين وإنَّ امتزاج شعبين مختلفين لغة وعرقاً وثقافة دون أن يحصل الأثر والتأثير، ليس له مثال في التاريخ، وينافي طبيعة الاجتماع الإنساني.

اسم فلسطين - وجغرافية فلسطين

ورد اسم (فلسطين والفلسطينيين) بصور متعددة في المصادر:

- ب ل س ت plst: في النقوش الفرعونية زمن رعمسيس الثالث (1198 - 1177ق.م) بوصفه اسم أحد الشعوب التي قهرها الفرعون.
- ب ل ش ت: في اللغة التي دوّنت بها (التوراة).
- PALAISTINA : في اللغة اليونانية.
- PALAESTINA في اللغة اللاتينية.
- بلاستو Plastu: جاء في سجلات الملك الآشوري (أدادنيراري الرابع) يشير إلى ساحل.
- فلستيا Philistia أي: ساحل الشام الجنوبي، الذي كان يسكنه الفلستيون، وباللفظ نفسه ورد عن هيرودوت في القرن الخامس ق.م.
- بالستين: سنة 70م وُضع على نقود صكها الإمبراطور فسباسيان.

- البلشتيم Pelishtim: للدلالة على بلاد الفلستيين، والميم في آخر الاسم للدلالة على الجمع، أو النسبة.
- Pelesheth بلشيت، في لهجة عربية قديمة.
- الفلستيون Philistnes: مصطلح أُطلق على القبائل التي استوطنت شاطئ فلسطين (كنعان) الجنوبي الغربي من غزة إلى يافا.
- شعوب البحر Sea Peoples : قالوا: إنها جاءَت في الكتابات المصرية القديمة.
- فلسطين الأولى: Palaestina Prima أحد أقسام فلسطين في عهد الإمبراطورية الرومانية الشرقية 395 - 639م. وتشمل ديار نابلس والقدس والخليل والسهل الساحلي حتى رفح،وعاصمتها (قيسارية).
- فلسطين الثانية Palaestina Secunda: وتشمل الجليل وأم قيس (شرقي النهر) وقلعة الحصن وطبرية، وعاصمتها بيسان فلسطين.
- فلسطين الثالثة: Palaestina Tiertia وهي بلاد الأنباط (البترا) وديار السبع، وعاصمتها البتراء.
- فينيقية البحرية أو الأولى Phoenica Prima: وتشمل حيفا وعكا وصيدا وصور وبيروت وطرابلس وأرواد وعاصمتها صور - في العهد الروماني.
- جُنْد فلسطين: (في العهد الإسلامي) ويشمل فلسطين الأولى والثالثة من التقسيم الروماني البيزنطي. وعاصمته (اللد) ثم (الرملة).

- جُنْد الأردن: ويشمل فلسطين الثانية، وقسمًا من مرج ابن عامر وشمال الغور الأردني، وسهل عكا، وعاصمته طبرية. وذلك تقسيم إداري في العهد الإسلامي.

- فِلَسْطين: بكسر الفاء وفتح اللام، وسكون السين، وآخره نون: هكذا ضبطها ياقوت الحموي في معجم البلدان، قال: والعرب في إعرابها على مذهبين: منهم مَنْ يقول: فِلَسْطينُ: ويجعلها بمنزلة ما لا ينصرف، ويلزمها الياء في كل حال. فيقول: هذه فلسطينُ ورأيتُ فلسطينَ، ومررتُ بفلسطينَ.

- قال: ومنهم مَنْ يجعلها بمنزلة الجمع،ويجعل إعرابها بالحرف الذي قبل النون فيقول: هذه (فَلَسْطون، ورأيتُ فَلَسْطِينَ، ومررتُ بفَلَسْطينَ). بفتح الفاء واللام. وهو مذهب ليس بعيدًا عن أصل الوضع اللفظي. فكثير من الصور الكتابية لفلسطين تفتح الفاء واللام. (انظر الصور السابقة) وكون اللفظ جمعًا صحيح أيضًا. لأنهم لحظوا أن الأصل (بلست) وهو صفة لعاقل، أو علم مفرد ومن حقه أن يجمع بالواو والنون، والياء والنون. ذلك أن من الجموع العربية القديمة ما ينتهي بالياء والميم، فيقال: فلستيم والميم والنون تتبادلان لقرب المخرج. ومما يدلُّ على أن العرب عدوا (فلست) مفردًا، أنهم نسبوا إليه فقالوا:

- فلسطيّ: والمعروف أن النسبة تكون إلى المفرد، وليس إلى الجمع قال ابن هَرمة،وهو ممن يستشهد بشعره في اللغة:

كـــأنَّ فاهـــا لمـــن تؤنّسُـــهُ   بَعْدَ غُـبُوب الـرُّقاد والعَـلَل
كـــأسٌ فلســـطيّة مُعَـــتّقَةٌ   شيبتْ بماءٍ مِنْ مُزْنةِ السَّبَل

- Philistine: بمعنى فلستي، أو فلسطيني: تعني عند الإنسان الغربي اليوم، الفلسطيني القديم. وهذا الوصف يستعمل لوصف الشخص المادي النزعة والفج المعادي للثقافة، وهو إنسان محدود الأُفق،وبعيد عن الثقافة الرفيعة، كما يعرفه قاموس (أكسفورد) وهو النقيض التام للغربي رفيع الثقافة والعقلاني.. ويتضح من هذا التعريف تأثير الفكر اليهودي التوراتي في التفكير الغربي. لوصف الشخص السوقي والجلف الذي يفتقر إلى الثقافة الرفيعة.

- PALESTINE : هذا آخر رسم إنجليزي لكلمة (فلسطين).. هذا، وبعض هذه الصور يدلُّ على اسم شعب، وبعضها يدلُّ على أرض وشعب، وبعضها وضع في سياق ليدل على أرض بلا شعب كما هو الحال في الاستعمالات المتأخرة عند الإنجليز، بعد إعطاء وَعْد بلفور بإنشاء (وطن قومي) لليهود في فلسطين. وخيّلوا للعالم أن أرض فلسطين صحراء قاحلة ليس فيها سكان. ولذلك لم يذكر صك الانتداب البريطاني اسم (الشعب الفلسطيني) وأشارت إليه بعبارة (الطوائف غير اليهوديّة).

مع العلم، أنه لا يوجد في فلسطين إلا قوميّة واحدة، هي القومية العربية، وكان الواجب الإشارة إلى العرب بوصفهم (قوميّة واحدة) لأن اليهود أُعطوا الوعد بوصفهم (عرق قوميّ).. ولكنهم جعلوا (اليهود)

قومًا، وجعلوا العرب (أقوامًا): فالمسلمون قوم والمسيحيون قوم. وقسموا المسلمين إلى أقوام: مسلمين، ودروز وبهائية، وقاديانية. كما قسموا المسيحيين إلى أقوام: كاثوليك وأرثودكس..الخ. وبناءً على خيالاتهم قالوا (طوائف غير يهودية).

فلسطينُ: أرضٌ وَشَعْبٌ

فلسطين: مبتدأ. وأرضٌ: خبره. وشعب: معطوف على الخبر، والجملة تقرير إخباري صريح لا يحتمل التأويل. وقد نقول: فَلَسْطونَ شعبٌ: فيكون (فلسطون): مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الواو، لأنه جمع مذكر سالم. وذلك إذا أردنا الإخبار عن القوم..

وكنا قد رجحنا القول بأن الفلسطينيين شعب عربيٌّ كنعاني،ولم يأتِ من جزيرة كريت بوصفه شعبًا أوروبيًا غريبا. هذا الشعبُ الذي أتقن فنّ الملاحة البحرية، لأنه سكن مُدنًا ساحلية في فلسطين ولأنَّ فرعًا من أبناء عمومته جاء إلى (فلسطين) من سواحل الخليج العربي، أو من ساحل البحر الأحمر، فاختلطوا وتبادلوا الخبرات بل ربما جاء الفلسطينيون أنفسهم من سواحل بحرية من مكان ما من الجزيرة العربية.

وفنُّ الملاحة البحرية قديم جدًا في الإنسانية، لم يخترعه أهل كريت فقد ورد في القرآن الكريم ذكر البحر، والفلك أكثر من عشرين مرّة في سياق ذكر نِعم الله التي سخّرها للإنسان بعامّة، ولم يكن

الخطاب للعرب وحدهم ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (فاطر: 12)، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ﴾ (الحج: 65)، ﴿ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ (البقرة: 164) وقد أرخ القرآنُ وجود الفلك من زمن نوح عليه السلام ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾ (الأعراف: 64)، ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ (هود: 37) و(نوحٌ) قديم جدًا لا يعرف أحدٌ تأريخ وجوده..

ومن المتفق عليه أن (نوحًا) وُجد في بلاد العرب، لأن الأنبياء جميعًا وُجدوا في أرض العرب. فإن كان نوحٌ هو أول صانع للفلك فإن الأرض العربية شهدت أول عمل ملاحي في العالم. ذلك أن بلادهم جزيرة محاطة بالمياه من جميع جهاتها، فهم جديرون باختراع السفن للاتصال بجيرانهم، والانطلاق إلى رحْب أوسع.

وهذا ما نعرفه على وجه اليقين من تاريخ العرب الفينيقيين، الذين بنوا مدنهم في سواحل المغرب العربي، ووصلوا إلى جزيرة كريت، وربما وصلوا إلى أماكن أُخرى أبعد من ذلك لم يعرفها المؤرخون. الفلستون شعبٌ نبت في جزيرة العرب، ثم استقر في جزء من الجزيرة.. واسمه مأخوذ من بلدة (الفلسة) في منطقة عسير، أو هو اسم معنى اختاره

لنفسه، أو يكون وضعه له جيرانه فالتصق به، فكم من شعب، وكم من أفراد، وقبائل، وضع الناسُ لهم ألقابهم فغلب عليهم. وادعاء اليهود بأنهم وضعوا الاسم لا يقلل من قيمة الشعب ومع ذلك فإنَّ ادعاءَهم باطل، لأن الشعب الفلستي أقدم من التوراة وأقدم من اليهود ومن قوم موسى، وكان الاسم موجودًا قبل أن توجد لغة يهوديّة (عبرية) حيث وُجد الاسم منقوشًا في السجلات المصرية القديمة في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ومهما كان الأمر فقد ثبت اسمهم بوصفهم شعبًا يسكن على أرض قد تكون بداية جزءًا من فلسطين الحالية (المدن الساحلية الخمس) ثم عُمّ الاسم على فلسطين كلها وربما اتسع ليشمل أجزاءً أُخرى من الأردن وسوريا ولبنان.. وأصبح الناسُ يشيرون إلى هذه الأرض بأنها (فلسطين) أو أيّ صورة أُخرى من هذا اللفظ. ونقلت الموسوعة الفلسطينية (فلسطين) أن اسم (فلسطين) في آخره ياء ونون - ذكر أول مرة في وثيقة مصرية رسمية يعود تاريخها إلى حوالي سنة 750 ق.م.

وورد في أكثر الكتب التاريخية الحديثة أن (هيرودوتس) كان أول مَنْ أطلق اسم (فلسطين) على الساحل الغربي من البلاد. والحقيقة أن هذا المؤرخ اليونانيّ، المعروف بالمؤرخ الأول، قد سجّل الاسم وكتبه كما سمعه مُتداولاً في القرن الخامس قبل الميلاد، فهو لم يطلقه أو يخترعه..والتاريخ الذي كتبه كان سجلاً لما رآه،وسمعه من الأقوام والشعوب في أثناء رحلاته المتواصلة في آسيا الصغرى، والمدن والجزر اليونانية. ومن الأماكن التي زارها صور، والساحل الفلسطيني كله حتى غزة ومصر التي مكث فيها طويلاً ففي أثناء حديثة عن فنّ العمارة عند

المصريين القدماء قال (إن الأعمدة التي بناها ملك مصر (سيسوستريس) في البلاد التي احتلها قد اختفى معظمها أمّا في الجزء من سوريا المدعو (فلسطين) فقد رأيتها بنفسي أنها ما زالت منتصبة، تعلوها الكتابة والرموز.

ويقول في موضع آخر عن انتشار العادات المصرية (إن الفينيقيين والسوريين أنفسهم من (فلسطين) يعترفون بأنهم تعلموا هذه العادة (عادة الختان) من المصريين)[1].

وعن موقع مصر يقول: (والآن فالمدخل الوحيد لمصر من هذه الصحراء: البلاد من فينيقيا حتى حدود مدينة قادش تخصُّ الشعب السوري في فلسطين).

فهذه النصوص التي نقلناها عن هيرودوتس، تدلُّ على وجود منطقة آهلة بالسكان تسمى فلسطين..

وبقي هذا الاسم مستعملاً للدلالة على الشعب والأرض حتى أيام الحكم الروماني، حيث قسموا البلاد إلى ثلاثة أقسام، يُدعى كل قسم منها (فلسطين).

(1) هذا الخبر يفتقر إلى الدِّقَّة في التأصيل: ذلك أن الختان سنة إبراهيم عليه السلام،والمعروف أنه عاش في فلسطين، فيكون قد نشر هذه السُّنَّة بين أهل فلسطين، ثم انتقلت إلى مصر، فبقيت مستمرة في مصر وتركها أهل فلسطين مُدَّة بعد زمن إبراهيم، ثم عادوا إلى اقتباسها من أهل مصر، والله أعلم.

واستمرَّ هذا الحال إلى أن جاء الفتح العربي الإسلامي فجاء اسم فلسطين، المأهولة بالسكان، في العهد الذي كتبه عمر بن الخطاب لأهل (لُدّ) حيث جاء فيه[1] : (هذا ما أعطى أمير المؤمنين عبدالله، عُمرُ، أهلَ لُدّ ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين. أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصُلُبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملتهم، لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم ولا ينتقص منها ولا مِنْ حيزها ولا من مللها (يريد المذاهب المسيحيّة كلها) ولا مِنْ صُلُبهم ولا مِنْ أموالهم ولا يُكرهون على دينهم.. الخ).

وفي النص شاهد على أن سكان فلسطين قبل الفتح، كانوا مسيحيين فقط ولم يكن فيها يهود لأنه ذكر الكنائس و(الصلب) وهي من شعائر النصارى. وهو لم يقصد أن يكتب لأهل ملّة وإنما يكتب لأهل فلسطين بعامّة، ولو كان في أهل فلسطين يهود لشملهم العهد، ونصَّ على إعطائهم العهد بالأمان.

وفيه شاهد على أن فلسطين كانت مأهولة بقوم من العرب: لأن الروم لم يكونوا من سكان فلسطين ولا الشام بعامة، وإنما كانوا موجودين بوصفهم حاميات عسكريّة في حصون محدودة: فقتل منهم مَنْ قُتل في المعارك، وفرَّ الباقون إلى بلادهم خارج حدود الشام. والعهود أعطاها المسلمون للسكان الأصليين وهم من العرب.

(1) تاريخ الطبري، حـ3 / 609.

العرب المسلمون في فلسطين:

وعربُ اليوم في فلسطين لم يدخلوا مع الفتح الإسلامي، وإنما هم سلالة العرب الذين تتابع وجودهم في فلسطين منذ العصر الحجري إلى اليوم. فهناك مغالطة تاريخيّة انهمك أكثر المؤرخين الصليبيين واليهود في ترويجها، خصوصًا فيما يتعلق ببلاد الشام، وهي أن العرب الذين يسكنون هذه البلاد اليوم إنما هم أخلاف المسلمين الذين جاءوا مع الفتح العربي الإسلامي. ولقي هذا البهتان اهتمامًا خاصًا لدى مؤرخي اليهود الذين أرادوا أن يثبتوا أن عرب اليوم ليسوا إلا سكانًا جُدُدًا حلّوا محل اليهود والروم في تلك البلاد. ولكن المصادر الرسمية اليهودية تكذب هذه المزاعم حيث تقول دائرة المعارف اليهودية العامة (فلسطين أصبحت بلادًا عربية ليس فقط بسبب الفتح المحمدي، ولكن لأن العرب كانوا قد أتوا إلى البلاد مهاجرين منذ قرون مضت..).

وقول دائرة المعارف (أتوا إلى البلاد مهاجرين منذ قرون مضت) فيه شاهد على أن العرب كانوا موجودين قبل الإسلام، ولكنه ليس التعبير المناسب للحقيقة التاريخية. فقوله: (أتوا مهاجرين..) تعني أنهم كانوا، أي:وجدوا، بعد أن لم يكونوا، وأن وجودهم مرتبط بقرون قليلة مضت.

والحقيقة التاريخية، أن سكان فلسطين هم العرب منذ أقدم عصور التاريخ وأن السواد الأعظم منهم ليس عربًا فقط، بل إن العرب قد حكموا فلسطين - بوصفهم عربًا - قبل الإسلام بثمانية قرون،ومنذ

ذلك الوقت ظلوا عاملاً رئيسًا في السياسات الفلسطينية في صورة الأنباط والإيدوميين والتدمريين. وأصبحت اللهجة العربية القرشية سائدة في بلاد الشام كسيادتها في قلب جزيرة العرب في الحجاز ونجد واليمن. وهناك قادمون جدد وضعوا رحالهم في فلسطين بعد الفتح الإسلامي ولكن لا يمكن إنكار أن البلاد قد تعربت قبل ظهور الإسلام بزمن بعيد. ونقول: (تعرّبتْ) لأن العربية الأخيرة امتداد وتطور لعروبة سابقة أطلقنا عليها (الجنس العربيّ) بلهجاته العربية الأقدم.

يقول جفريز في كتاب (فلسطين: إليكم الحقيقة): لكن القادمين الجدد.. انصهروا مع سكانها الأقدمين لدرجة أن عرب اليوم في فلسطين لا يمثلون جنسًا فاتحا ولكنهم سلائل تلك الشعوب التي عاشت فيها قبل زمن (قوم موسى) إننا نسميهم عربًا، ولكنك لابدّ أن تجد في خضم بحر جنسهم العظيم الذي يمتد من الإسكندرونة إلى مكة وما بعدها كثيرًا من الأعراق وإن جذورهم في هذه الأرض هي تلك الجذور التي نشأ منها التاريخ في حدٍّ ذاته. ويقول: وما من شك أنها مفاجأة كبيرة للقارئ المتوسط أن يعلم أن العرب وجدوا في سورية قبل أن يُعرف في الدنيا جنس اسمه (الإسرائيليون أو العبريون أو اليهود) وإن الجهل بهذه الحقيقة هو سند تعتمد عليه الدعاية الصهيونية السياسية.

ويقول المؤرخ الأمريكي تشارلز مثيوز[(1)] وحيث إن بعض الناس المخلصين يؤمنون أحيانًا ويعبرون عن فكرة تقول:

---

(1) في كتاب (Palestine the Mohammadan) نقلا عن (تاريخ فلسطين القديم) لظفر الإسلام خان.

إنَّ العرب مجرد طفيليين في فلسطين، وأنه ينبغي لهم أن يفسحوا المجال لـ (عودة) اليهود أصحاب الحقّ والمُلاك التاريخيين لأرض التوراة. فيمكن أن تُقال كلمة أُخرى عن الأُصول السلالية للبلاد: إن الواقع البسيط هو أن الشعب (العربي) في فلسطين ليس سليل أولئك الفاتحين والقادمين الجدد الذين اقتحموا مع الفتح الإسلامي العربي في القرن السابع الميلادي. إنَّ أكثرية السكان المحليين العرب المسلمين أو المسيحيين،هي من جنس ترجع صلته بالأرض بعيدة إلى تاريخ قديم جدًا، وكان الفاتحون والمستوطنون الذين جاءوا وراء الانتصارات أقلية صغيرة، بالمقارنة مع جماهير السكان التاريخيين المتصلين في الوجود. وقد تقبلت الأكثرية اسم (العرب) تدريجيًا مع قبول الجميع للدين الجديد واللغة العربية.. ولذلك فإن عرب فلسطين اليوم هم الشعب التاريخي للأرض، وكانت البلاد دائمًا بلادهم.

وخلاصة ما يحرر: أن فلسطين منذ عصر ما قبل التاريخ، إلى اليوم، وهي عامرة بسكانها العرب، ولم تخلُ من السكان العرب في أيّ عصر من العصور.. وحتى في أزمان غزو القوى الكبرى لها، كان يلتزم سكانها أرضهم،وتحكمهم القوى المتصارعة بالحاميات. ففلسطين بحدّ ذاتها لم تكن مغنمًا مشبعًا للقوى الغازية الكبرى، وإنما كانوا يريدونها تحت سيطرتهم لتكون معبرًا إلى غيرها.. فالمصريون يريدونها معبرًا إلى بقية سوريا والعراق، وممالك وادي الرافدين تريدها معبرًا إلى مصر، فهي المعبر الوحيد بين هاتين المنطقتين..ولأن ممالك فلسطين

كانت ممالك مدن صغيرة وليس عندها القوة لمصارعة القوى الكبرى، كانت تسكت على جرحها، ويلتزم سكانها أرضهم.. وهي في العصر الحديث كذلك: لا يريدها اليهود لذاتها، وإنما يريدونها معبرًا ونقطة انطلاق إلى الأقاليم العربية الباقية، لأن المغنم الأكبر فيها والله أعلم.

طبقات الشعوب العربية في فلسطين[1]

لقد رجحنا فيما عرضنا نظرية الجذور الأصيلة للوجود العربي في أرض الشام بعامة، وفلسطين بخاصة وأن الوجود العربي الذي عثرنا عليه في عصر الكتابة والآثار الكتابية، هو طور للوجود الإنساني في العصور السابقة. وقلنا: إنه لا يمنع ذلك وجود هجرات انضافت إلى الوجود الإنساني الأصيل، من أيّ جزء من الجزيرة العربية إلى هذا الجزء من الجزيرة العربية. وربما كانت هجرة فعودة ثم هجرة، فالأزمان متطاولة،والأحوال المعيشية في تغيّر دائم وسنة الله في جغرافية الأرض ومناخاتها، أن لا يكون ثبات على حال في قطر من الأقطار.

فالأرض التي كانت ممطورة مسقية في حقبة، قد تصبح صحراء مجدبة في حقبة أُخرى. وقد جعل الله من الماء كلَّ شيء حيًّا، وخلق من

(1) الطبقات: جمع طبقة، ونريد بها هنا: ذكر الشعوب بحسب الأزمنة مرتبة من الأقدم إلى الأقرب زمنًا إلينا. والشُعوب: جمع شعب: وهو اسم لأكبر فروع الأصل. فالعربُ أمة واحدة لجدّ واحد، تفرعت إلى شعوب، والشعوب إلى قبائل، ثم إلى عمارات، ثم إلى بطون، ثم إلى أفخاذ.. وهكذا حتى تصل إلى الأسرة. فإذا قلنا اليوم: (الشعب العربي) هو مجاز حقيقته الأُمة. وإذا قلنا: (الشعوب العربية) تعني، الفروع من الأصل الواحد.

الماء كلَّ شيء حيّ. ومعارفنا عن الماضي محددة بوقت العصور التاريخيّة التي جعلوها في حدود الألف الثالثة قبل الميلاد. وأين هذا الزمن من بدايات النشاط البشري التي تعود إلى عشرات الألوف من السنوات قبل الميلاد. حيث حددوا العصر الحجري القديم بـ 500.000 سنة قبل الميلاد. قالوا: إن مَهْد الجنس العربي هو جزيرة العرب، وهذا تقرير بديهي، لأن كل جنس مَهْده في أرضه، ولكننا نختلف مع أصحاب النظريات السابقة في حدود جزيرة العرب. نحن نرى أن العراق (وادي الرافدين) والشام كله من جزيرة العرب، وبناءً عليه يستوي عندنا إن كان مهدهم في الشام والعراق، أو كان في اليمن ونجد والحجاز.. وبهذا تكون دراستنا في حدود أرضنا ومحلتنا: إن كانت بؤرة هذا الجنس الأولى، في اليمن ثم انتقل إلى العراق والشام، فقد انتقل من أرضه إلى أرضه، وإن كانت بؤرته العراق والشام، ثم انتقل إلى اليمن ونجد والحجاز، فقد انتقل من أرض العرب إلى أرض العرب، وقد ثبت أن جذور اللغة التي تكلمت بها الأقوام جميعًا،واحدة، سواءٌ سميناها العربية، أو الكنعانية أو الآشورية أو الآراميّة: لقد شاء الله أن تسمّى اللغة العربية قديمها وجديدها، فكان كما قيل: (كلُّ الصيد في جوف الفرا) لأن كلَّ ما في الكنعانية والآراميّة.. الخ موجود في العربية،وفي العربية زيادة على ما سبقها، لأن (العربية) دامت واستمرت، وتكلم بها أُناسٌ عبر العصور كلها فبقيت حيّة: أما اللهجة الكنعانية فقد سادت في زمن، ثم توقفتْ لأنه لم يوجد شعبٌ يتكلم بها، فتوقف نموّها، واللغة كالكائن الحيّ تبدأ صغيرة ثم تكبر، بل هي مثل المجتمع، يبدأ أُسرة، ثم يصير شعبًا، يوم يصير أُمّة.

فإذا توقف نموه، في مرحلة من مراحل حياته، أو امتزج بغيره، صار ينمو من خلال الامتزاج الجيد مع غيره..

وهكذا كان أمر اللهجات العربية العتيقة، امتزجت في مرحلة من مراحل حياتها في اللغة العربية الأُمّ، فتوقف نمو اللهجات العتيقة، وبقيت العربية حيّة تنمو إلى أيامنا.

وهذا السبب في جَعْل العربية هي الأُم، وليس لأن الجنس العربي وُجد في اليمن ونجد، ثم هاجر بعضه إلى وادي الفرات والشام. ولكن وحدة الجذور اللغوية بين لهجات جميع الأقوام التي عاشت في الجزيرة العربية (وفيها الشام والعراق) تدل على أن اللقاءات بقيت دائمة، وأن الهجرات بقيت مستمرة، وهي هجرات إلى مناطق آهلة، وليست إلى أرض خالية، هي هجرات المودّة، والمُناصرة والاحتفال، بدليل التبادل اللغوي بين المُهاجر - اسم فاعل - والمُهاجَر إليه.

العـرب الكنعانيـون

قلتُ: العربُ الكنعانيون. لأن الكنعانيين فصيل من العرب، فهناك عربٌ كنعانيون، وعرب آراميون وعرب قرشيون.ولو قلنا (الكنعانيون العرب) فإن الاستعمال يحتمل وجود كنعانيين ليسوا من العرب. والحقيقة أن الكنعانيين جميعًا من العرب.

ولذلك قال بعض العلماء: إن الجنس العربي نشأ في أرض كنعان وهي (سوريا وفلسطين) لأن الحضارة الكنعانية أقدم الحضارات،ولم تُشاهد حضارة أقدم منها. ولأنَّ اللغة الكنعانيّة أقدم اللغات العربية، وطبيعي أن اللغة هي أهم مصدر من مصادر التاريخ العلمي لأنها تُعدُّ أعظم أثر وأقوى مستند في سجل الأمم[1] وإذا قال قائلٌ: إذا كان الكنعانيون أصل الجنس العربي، فلماذا لم يطلق اسم (كنعان) على الجنس العربي، وبهذا يجب أن نقول: (الجنس الكنعاني).

الجواب: أنَّ الاسم الذي يطلق على الشعوب، ليس كأسماء الأفراد. فاسم العلم الذي يُعطى للفرد، هو الاسم الذي وضعه أهله عليه

(1) عن كتاب (العرب: مَنْ هم، وما قيل عنهم)، عمر رضا كحالة.

يوم ميلاده، فهو الأقدم. أما أسماء، الشعوب والأقاليم، فإنها لا تخضع لقانون الأقدميّة، وقد يغلب المتأخرَ على المتقدم. فـ (فلسطين) ليس الاسم الأقدم لها، ولكنه غلب عليها. و(اليمن) اسمها الأقدم (سبأ) والأمثلة لذلك كثيرة. والكنعانية، ذابت في (العربية) فغلب اسم (العرب) وإن لم يكن هو الأصل، فهو فصيل ذو قُرْبى مع الكنعانيين.

كنعان أرض أعطت الشعب اسمه، أم شعب أعطى الأرض اسمها؟ وما حدود أرض كنعان؟

أطلق المؤرخون المحدثون اسم الكنعانيين على سكان المنطقة السورية وهي المنطقة المحصورة بين وادي الفرات شرقًا والبحر المتوسط غربًا وبين جبال طوروس شمالاً وحدود الصحراء العربية جنوبًا.

وقد وردت تسمية (كنعان) و(كنعانيين) في كتاب اليهود للدلالة على أرض فلسطين وشعبها، ولكن هذه التسمية ليستْ توراتية ولو انفرد كتاب اليهود بذكر اسم (كنعان) ما قبلنا الخبر، وكنا عددناه من الخرافات، لأن أخباره التي انفرد بذكرها، لم يكن لها وجود في الواقع التاريخي. وشهادة كتبة التوراة على الكنعانيين خصوصًا، مطعون فيها، لأن المؤسسين للفكر اليهودي، نصبوا الكنعانيين عدوًا رئيسًا يسددون إليه سهام الافتراء والكذب، فكان اليهود شديدي الوطأة في حكمهم على الكنعانيين وعلى حضارتهم.

وقد وُجد اسم كنعان، قبل أن تنزل التوراة الأولى على موسى، وقبل أن تؤلف التوراة الثانية، بعد موسى بحوالي ألف سنة. حيث جاء

ذكره بلفظ بي - كنعان Pe Kanan أو Kana'an أو كيناهي Kinahi، أو كيناهنا Kinahna.. في سجلات تل العمارنة[1] التي يرجع عصرها إلى خمسة عشر قرنًا قبل الميلاد. وقد استعملها المصريون للدلالة على المناطق الجنوبية الغربية من سوريا، وهي المناطق التي كان الفراعنة على اتصال بها منذ بدايات التاريخ المصري.

ونجد اسم (كنعان) في بعض النصوص السورية من الألف الثاني قبل الميلاد مثل نص إدريمي ملك (ألالاخ) وهي المملكة التي ازدهرت خلال النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد في الشمال الغربي من سوريا (قرب أنطاكية) ويتحدث إدريمي في هذا النص عن هروبه من (ألالاخ) عقب انقلاب سياسي في القصر ولجوئه إلى مدينة (أميسا) في أرض كنعان. وهذه المدينة تقع على الساحل السوري الأوسط قرب طرابلس الحالية.

وقد بقي اسم (كنعان) مستعملاً في العصر الهلنستي اليوناني حيث نجد الاسم على العملة المسكوكة في بعض مدن الساحل الفينيقي. وفي بلدان شمال إفريقيا التي كانت مستعمرات فينيقية كنعانية سابقة بقيت شريحة كبيرة تتباهى بأصلها الذي تدعوه كنعانيًا خلال العصر الروماني.

(1) تل العمارنة: موقع أثري في مصر اكتشف عام 1887 فيه سجلات الفرعون أمينحوتب الرابع (أخناتون) ومن وثائق هذا السجل رسائل من ملوك كنعان إلى الفرعون المصري يتذمرون فيها من الفوضى التي عمت البلاد بعد اجتياح العصابات الغريبة للبلاد. وهذه الرسائل مكتوبة باللغة الكنعانية.

وفي إنجيل متى يطلق المؤلف اسم (كنعاني) للدلالة على ساكن المناطق الفينيقية التقليدية في لبنان. جاء في الإصحاح 15: 21 - 22 ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيدا، وإذا امرأة (كنعانية) خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة.. واعتمادًا على هذه الشواهد وأمثالها، يرجح الأستاذ فراس السواح أن اسم (كنعان) اسم لمنطقة جغرافية بالدرجة الأولى، وليس اسمًا لشعب معين. وهذه المنطقة هي الأراضي الممتدة على طول الساحل السوري ابتداءً من (أوغاريت) قرب اللاذقية أو مما يليها على الأغلب مع امتدادات نحو الداخل كما هو الحال في منطقة فلسطين، ولا يوجد لدينا في النصوص القديمة ما يشير إلى أن التسمية قد شملت المناطق الداخلية السورية. ومع ذلك فليس هناك ما يمنع من تعميمهم الاسم ليشمل مناطق غربي الفرات، وذلك من قبيل إطلاق الجزء على الكل"[1].

إن الذين قالوا: إن (كنعان) اسم جدّ الكنعانيين، متأثرون بالأخبار التوراتية التي جعلت الناس جميعًا ينتمون إلى ثلاثة أجداد: سام، ويافث، وحام. وذكرت من أولاد (حام) (كنعان) المغضوب عليه لغضب نوح على أبيه (حام) حيث تحمل (كنعانُ) وزرًا لم يفعله (التكوين - الإصحاح/7 - 20 - 27).

ومن أين لنا إثبات صحة هذه الأنساب؟ وبين نوح والزمن المقدر لوجود الكنعانيين أزمان لا يعلمها إلا الله. وإذا قالوا: إن ما في التوراة

(1) آرام دمشق، وإسرائيل، لفراس السواح.

أنزله الله على موسى، نقول: فكيف أطلق الفراعنة اسم كنعان على أرض فلسطين، في زمن لم تكن التوراة قد أُنزلت. ولم نعرف أن المصريين القدماء ورثة كتاب سماوي أُنزل على نبي قبل موسى.

ومع ذلك فإننا لا ننكر أن يكون (كنعان) جدّ الكنعانيين أعطى للأرض اسمها. ولكن الذي ننكره أن يكون للكنعانيين الذين وُجدوا على أرض فلسطين، علاقة بـ (كنعان) الذي ذكرته التوراة. ذلك أن التوراة تجعل الكنعانيين من أولاد (حام) ومن المتفق عليه أن الكنعانيين التاريخيين من الجنس العربي الذي سموه (ساميًّا) لغة وعرقًا،وحضارة. كما أننا لا ننكر أن يكون (كنعان) صفة للأرض، والقول في الاحتمالين ما زال ظنيًّا، لأن المؤرخين لم يتفقوا على رأي وليس هناك رأي أرجح من رأي، ولم يتفقوا أيضًا على معنى الاسم (كنعان) ومعنى لفظ الفصيل الكنعاني الذي أُعطي اسم (الفينيقيين).

فمنهم مَنْ يرى أن التسمية عربية (سامية) من جذر (كنع) أو (خنع) ويفيد الانخفاض والغور.

الباب الثاني

مدينة القدس

مدينة القدس: عربيّة الأسماء، والنشأة، والسكان والتاريخ

1- الأسماءُ كلها عربية، سرقها اليهود وادعوا نسبتها إلى لغةٍ لم تكن موجودة كما سرقوا الأرض، وطردوا أهلها

من المتفق عليه بين المؤرخين - الأصدقاء والأعداء - أنه لم يكن في فلسطين قبل سنة 1948 قرية أو مدينة تحمل اسمًا يهوديًا (عبريًا) بل لم يكن في فلسطين كلها مدينة أو قرية ينفرد اليهود بسكناها، وإنما كانت لهم مستوطنات محدثة على الأراضي التي استولوا عليها بدءًا بالعصر التركي، وانتهاءً بزمن الانتداب البريطاني، ووضعوا لها أسماءً يهوديّة.. وأقدم مدنهم - تل أبيب - كانت حيًّا من أحياء (يافا) ثم فُصل ليأخذ اسم مدينة. واسم (تلّ أبيب) ليس يهوديًا ولا عبريًّا، وإنما حرفوه ليوافق لهجتهم.. فهو اسم عربي عتيق يعني (تلّ الربيع) فقد جاء اسم (الأبّ) في القرآن ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ (عبس: 31) وهو العشب الذي ترعاه المواشي..

فبعد أن استولى اليهود بقوة السلاح، وبدعم من بريطانيا من سنة 1917 - 1948 على أربعة أخماس أرض فلسطين، وطردوا السكان

العرب أو معظمهم من قراهم ومدنهم، ثم أقاموا لهم كيانًا دوليًا سموه (إسرائيل) أرادوا أن يزيفوا التاريخ، فوضعوا للبلاد أطلسًا جديدًا، وصاغوا للمدن والقرى أسماءً جديدة ادعوا أنها (عبريّة) لإضفاء الصفة التاريخيّة عليها، بنسبتها إلى (التوراة) الكاذبة. فاليهود يعتقدون أن رسم الخرائط وأعمال المسح الميدانية، وإطلاق الأسماء (التوراتية) على الأرض يعطيهم حقّ ملكيتها، ونرى اليوم كيف أن اليهود يحاولون إعطاء شرعية لاحتلالهم قرى ومدنًا فلسطينية وذلك عن طريق تغيير أسمائها العربية الدارجة وإعطائها أسماءً توراتية بدلاً منها لمحاولة إثبات أن لهم حقًا تاريخيًا بها. والواقع أن هذه الأسماء هي أسماء عربية كنعانية قديمة، وهي التي كانت سائدة في مدة، ما قبل وأثناء المدة التي ادعوا لليهود وجودًا فيها..

ذلك أنه لا يوجد في التاريخ القديم (لغة عبريّة) فاللغة العبريّة لغة مسروقة، وملفقة من اللهجات العربية العتيقة: الكنعانية والفينيقية والآراميّة. ولم يكن في فلسطين كلها (لغة عبريّة) حتى زمن المسيح، لأن المسيح تكلم بالعربية الآرامية، ودوّن الإنجيل فيما بَعْدُ بالآرامية.. بل إنَّ (التوراة) قد دوّنت باللغة الآراميّة، ونُقلت إلى اليونانيّة عن الآراميّة..

وعندما فتح العرب المسلمون بلاد الشام، كان يسود في فلسطين لهجتان عربيتان: العربية القرشية القرآنية. والعربية السريانية، التي هي إحدى اللهجات العربية الآرامية. وقد أُعطيت مدينة القدس - عبر العصور - أسماء كلها عربيّة في لهجة من اللهجات العربية العتيقة أو الجديدة. واستعمال اليهود بعض هذه الأسماء،هو نوع من سرقة تراث

الآخرين في محاولة للتأصيل التأريخي للوجود اليهودي الزنيم، الطارئ في القرن العشرين. وإليك ما اشتهر من أسماء مدينة القدس:

أورشليم:

اسم عربيّ كنعاني، مركب من جزئين (أور) و(شليم) أما الجزء الأول فقيل في معناه (مُلك) أو (بلد) أو (إرث) أو (ميراث) أو (نور). وأما الجزء الثاني (شليم) أو (شَلِمْ) فقالوا إنه (سالم) إله السلام عند الكنعانيين.

والذي أميل إليه أن (شليم) تعني (السلام) بمعنى الأمن وليس اسم إله أو إنسان..

وذلك لأن الأصل في وجود بقعة القدس أن تكون للعبادة، حيث كان (المسجد الأقصى) أول عمران على أرض القدس، وهو مكان للعبادة يقصده المؤمنون للعبادة، كما أنَّ مكة بُنيت حول (المسجد الحرام).

و(مدينة السلام) يقرب معناها من (البلد الحرام) في مكة. فالسلامُ هو الأمان النفسي للعابد، والأمان لكل مَنْ قصد المكان، فلا تقوم فيه حرب، ولا يُعتدى على الذين يحجّون المكان..

وكذلك معنى (البلد الحرام) في مكة.. فالحرِام: تعني أنه له حُرْمة يحس معها القاصد بالأمان، لأنه في جوار وحماية الله تعالى..

وقد أخذ اليهود اسم (أورشليم) ووضعوه على المدينة، في مقابل الاسم المتداول عند العرب (القدس). فكفّ العربُ عن استعمال اسم (أورشليم) في كتاباتهم؛ ظنًا منهم أنه اسم يهودي (عبري) ونحقق هنا

أن الاسم (أورشليم) عربي كنعاني، عُرف بأنه عَلَمٌ على المدينة، قبل التاريخ المفترض الموهوم لوجود (العبرانيين) أو (الإسرائيليين) أو (اليهود) على وجه الأرض. فقد ربط اليهود اسم (العبرانيين) بهجرة إبراهيم إلى فلسطين حوالي سنة 1800ق.م. وربطوا الإسرائيليين ب: يعقوب، وهو حفيد إبراهيم. وأما اليهود فقد ظهر اسمهم أول مرّة في عهد الاحتلال الفارسي لفلسطين حوالي القرن الرابع قبل الميلاد. وأما اسم (أورشليم) تاريخيًا، فقد وُجد في نقوش مصرية فرعونية ترجع إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، فيما يُسمّى طقوس اللعنات التي يصبها كهنة الفراعنة على أعدائهم.. وهذا ليس مبتدأ وجود الاسم، لأن المدينة كانت - يوم عدّها الفراعنة من الأعداء - ذات قوة يخشاها الفراعنة العظام، والقوة تكون ذروة العمران البشري، ما يعني أن وجود اسم (أورشليم) قبل مئات السنين، من كتابة طقوس اللعنات الفرعونية. قد يسأل سائل: كيف تقول إنَّ الاسم عربيّ كنعانيّ، وهو لا يأتي على صورة العربيّة التي نتكلم بها؟

الجواب: قلتُ: إنه عربيٌّ كنعاني، ولم أقل إنه عربيّ قرشيّ. وذلك أن اللغة العربية مرت بأطوار، كلّ طور يمكن أن يُسمّى (لهجة) بمعنى هيئة نطق الكلمة، كحال اللهجات العامية الدارجة اليوم يقول بعض الناس (كيف حالك) فيميل الكاف بكسرة خفيفة. ويقول بعضهم (كيف حالك) فتظهر الكسرة واضحة. وبعض الناس يقلب الكاف شينًا من (كيف) ومن (حالك) وبعضهم يقرّب الشين من السين.. فهذه لهجات نطق لكلمة واحدة، ولفظ المدينة يختلف عن لفظ القرية ومَنْ اغترب عن

حيّه أو قريته ودخل مدرسة أو جامعة، ترك لهجة القرية ومال إلى لهجة المدينة.. وكلّ هذا التطور، لأن اللغة المحكية غير مكتوبة.. وكانت اللهجات العربية العتيقة تتغير بعد قرون، لأن الكتابة قليلة، وتنتقل اللغة شفاهًا.. وبقي التبدل والتغيير جاريًا في اللهجات العربية إلى أن استقرت اللغة العربية في آخر أطوارها في صورة اللغة التي قيل فيها الشعر الجاهلي الذي وصلنا، وفي صورة اللغة التي نزل بها القرآن واللغة التي تكلم بها النبيّ محمد، ووصلت إلينا في الحديث النبويّ ودُوّن هذا التراث في وقت مبكر، فثبتت اللغة العربية على حالها إلى يومنا هذا..

نقول في اللغة العربية العتيقة (حمور عَفَر على هجيشر) وهي في العربية الجديدة (حمار عبر على الجسر) فاختلفت لهجة النطق، ولم يتغير جذر المفردات.

وكلمة (أورشليم) يوجد جذرها في العربية القرآنية فمن قال إن (أور) تدل على مكان، بمعنى (بلد) أو (مدينة) فإن مادة (أور) موجودة في لسان العرب فالأُوار: بضم الهمزة: شدّة حرّ الشمس، ولفح النار. وريح (أُور) أي: باردة. ويُقال للحفرة التي يجتمع فيها الماء (أُورة). و(آرة) و(أُوارة) موضعان في بلاد العرب ونقف عند (أُورة) بمعنى الحفرة التي يجتمع فيها الماء.. والمعروف أن بلدة القدس القديمة ليس فيها آبار، ولا عيون ولا أنهار وإنما يشرب أهلها من ماءٍ السماء يجمعونه في حُفَر، أيام الشتاء.. فلعل (أور) في أورشليم، تعني البئر، أو المنهل الذي يرده المؤمنون المعتكفون للعبادة في المسجد الأقصى، ثم

استعملت بمعنى (البلد) كما أن كثيرًا من البلدان اليوم نشأت حول بئر أو عين ماء، فأطلق اسم العين على البلدة.

ومَنْ قال إن معنى أورشليم (إرث السلام) أرجع لفظ أورشليم إلى لفظ (يروشاليم) وجعل فيها نحتًا ومزجًا فهي مركبة من (يروث) من لفظ (ورث يرث) وحذفت السين من سالم، أو (السلام) واصلها (يرث سالم).. والفعل (يروث) لهجة عربية كنعانية قديمة، صارت في العربية الجديدة (يرث) والمصدر (الميراث)..

أما (شاليم) فإن جذرها العربي القرشي: سلم، وسلام والتقارض بين السين المهملة، والشين المعجمة كثير بين العربية العتيقة، والعربية العدنانية الأخيرة. والله أعلم.

وقد استعمل عرب الجاهلية اسم (أورشليم) فقال الأعشى:

وقـد طفـتُ لـلمالِ آفاقـه عُمـانَ فحمصَ فأوري شلم

إيلياء - اسم عربي عتيق:

وهو من أسماء مدينة القدس، استعمل بعد سنة 135 ، أثناء وبعد الفتح العربي الإسلامي، وهو شائع، فاستعمل في المعاهدات أو العهود التي كتبها المسلمون أثناء الفتح. فقد جاء في العهد الذي كتبه عمر بن الخطاب لأهل القدس (ولا يسكنُ بإيلياء معهم أحد من اليهود). وجاء لفظ إيلياء في الحديث الطويل الذي رواه البخاري في كتاب بدء الوحي عن أبي سفيان قال في قصة الكتاب الذي أرسله النبيُّ محمد إلى هرقل

(فأتوه وهو بإيلياء) وفيه: وكان ابن الناطور سقفًا على نصارى الشام يحدّث أن هرقل حين قدم إيلياء..) وفي كتاب الجهاد من صحيح البخاري أن هرقل لما كشف الله عنه جنود فارس مشى من حمص إلى إيلياء شكرًا لله..

و(إيلياء) جزء من اسم الإمبراطور الروماني هادريان الذي حكم بعد سنة 135م وأعطى المدينة جزءًا من اسمه. والاسم مأخوذ من العربية العتيقة، مركب من جزئين (إيل + يا) ومعناه هو الله، أو (ربنا الله) وكلمة (إيل) هي لفظ الجلالة (الله) في اللهجة العربية الكنعانية.. وهو الجزء المركب في إسماعيل، وجبريل، وإسرائيل.. ومنها (عبد ياليل) و(شُرَحْبيل).

بيت المقدس - عربي إسلامي:

وهو اسم إسلامي جاء لفظه في الحديث النبوي الصحيح. ويغلب استعماله في كُتُب الحديث والفقه.. ومنه الحديث (لا تزالُ طائفة من أُمتي على الدين ظاهرين لعدوّهم قاهرين لا يضرهم مَنْ خالفهم ولا مَا أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمرُ الله وهم كذلك. قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس). وفي الحديث بشارة لأهل القدس وأهل فلسطين، ومَنْ هاجر إليهم من المسلمين للرباط والجهاد، أنهم الفئة المهديّة إلى يوم القيامة، لأن الحرب الصليبية لن تنتهي، كلما دُحروا عادوا في غفلةٍ من أهل الثغور الإسلاميّة.

والاسم عربيّ إسلامي يعني بيت الطهارة والتقديس والعبادة أو (بيت الله). ولذلك فإنه قد يستعمل للدلالة على المسجد الأقصى، وقد يستعمل للدلالة على المدينة، من باب إطلاق الجزء على الكلّ.

القدس اسم غلب على المدينة في العصر الحديث:

هو الاسم الذي غلب على المدينة في العصر الحديث، وهو المستعمل في المؤلفات التاريخية والجغرافية الحديثة، وهو المستعمل في الوثائق السياسية العربية. وكانت بداية استعماله قبل العصر الحديث.. ويبدو أن بدء استعماله كان على ألسنة العامة.. فقد نزل الرحالة الفارسي ناصر خسرو القدس سنة 438هـ - 1047م وتحدث عن المدينة في رحلته (سفر نامة) باسم (بيت المقدس) ولكنه قال: (وأهل الشام وأطرافها يسمون بيت المقدس (القدس)..).

اسم (القدس) قد كثر استعماله في عصر صلاح الدين الأيوبي وهلمّ جرّا إلى العصر الحاضر، فقال شاعر يهنئ صلاح الدين بفتح القدس:

أترى مناماً ما بعيني أُبصرُ	القدسُ يُفتح والفرنجة تكسرُ
فتح الشآم وطهر القدس الذي	في القيامة للأنام المحشر

وفي أواخر العهد المملوكي ألّف العُلَيمي كتابه (الأُنس الجليل في تاريخ القدس والخليل) وذلك سنة 900هـ.

Jerusalem جيروسالم:

هو الاسم المستعمل في اللغة الإنجليزية، ويترجمونه في المعاجم (القدس) والصحيح أنه محرف من (أورشاليم) وحقّه أن يُترجم بهذا اللفظ..

صهيون:

بمعنى (حصن) أو (مرتفع) ومنه في العربية (الصهوة) يقولون: امتطى الفارس صهوة حصانه، فهو اسم عربيّ كنعاني.

و(صهيون) هو المرتفع الذي كانت تقوم عليه مدينة القدس أو مدينة (يبوس) كما كان يطلق عليها في مرحلة من مراحل التاريخ العربي العتيق.

وزعم اليهود في توراتهم الخرافية أن (داود) استولى على هذا الحصن، وسماه (مدينة داود) وهو خطأ وكذب لم يثبته الواقع التاريخي، ولم تدل عليه الآثار. فليس هناك نصّ صحيح خارج التوراة يؤيد دخول داود القدس، وليس في القدس كلها أثر يدل على أن داود أو سليمان بنيا بناءً في القدس، أو أنهما سكنا مدينة القدس.. فداود وسليمان كانا في جهات اليمن، كما تدل على ذلك قصة سليمان والهدهد في القرآن.

وقد اتخذت الحركة الصهيونية اسم (صهيون) شعارًا لتهييج عواطف اليهود وحثهم على الهجرة إلى فلسطين، وهو شعار سياسي يعتمد على الخرافة.

يبــوس:

اسم فصيل عربي أعطى المكان اسمه أو هو صفة لأرض القدس، أُطلق على الفصيل العربي. وهو من اليبوسة بمعنى الشدّة والحزونة.

2- المُبتدا والنشأة في احضان جزيرة العرب:

القدس عربية النشأة، أرضًا وسكانًا، لم يسكنها أحدٌ قبل العرب، وغلب الجنس العربيُّ على سكانها في جميع العصور.. وإليك الشرح مع الشواهد المعقولة والمنقولة.

جاء في الحديث النبويّ الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم، عن أبي ذر الغفاري قال: قلتُ: يا رسول الله، أيُّ مسجد وُضع في الأرض أوّل؟ قال: المسجد الحرام. قال: قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: المسجد الأقصى. قال: قلتُ: كم كان بينهما قال: أربعون سنة.

هذا الحديث الصحيح يؤرخ لبناء المسجد الأقصى في زمن بناء المسجد الحرام في مكة. والمسجد الحرام لم يبنه إبراهيم، وإنما رفع إبراهيم قواعده، حيث كان مبنيًا من قبله، ودُفِنَ أصله مع تعاقب الأزمان، فلما جاء إبراهيم إلى مكة ووضع ابنه إسماعيل وزوجه هاجر، أطلعه الله على مكان البيت، فرفع بناءه على القواعد القديمة. قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (البقرة: 127) وقال الله تعالى على لسان

إبراهيم عندما وضع ابنه الطفل إسماعيل في مكة: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾ (إبراهيم: 37) ..

ولو كان إبراهيم هو باني البيت الحرام، ما قال: ﴿ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾ لأن إبراهيم لم يرفع القواعد يوم وضع ابنه إسماعيل، وإنما رفع القواعد بعد أن شبَّ إسماعيل واصبح رجلاً قادرًا على العمل، حيث أعان أباه في البناء. وقال: ﴿ بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ ﴾ لأن ماء زمزم لم ينبع في وجود إبراهيم، وإنما نبع بعد عودة إبراهيم وتركه ابنه الطفل في رعاية الله وحفظه.

والشاهد من هذا السياق أن المسجد الأقصى، ارتبط زمنُ بنائه بزمن بناء المسجد الحرام في مكة، وأن المسجد الحرام كان أساسه قبل إبراهيم بزمن طويل، فيكون بناء المسجد الأقصى قبل إبراهيم. وعندما نؤرخ لبناء المسجد الأقصى، نؤرخ لبناء مدينة القدس أيضًا فالمسجد جزء من المدينة، والمدينة تشمل المسجد.. فإنني أرى أن الأصل في وجود المدينة هو المسجد الأقصى، على رأس جبل غير ذي زرع يقصده ويأوي إليه المؤمنون الذين هداهم الله إلى التوحيد، توحيد الله. وفي كل عصر ومصْر، كان هناك وثنيون، وكان هناك مهتدون إلى التوحيد بالفطرة..

ثم كثر الناسُ، وبنوا المنازل للسكن، لقد جعل الله أفئدة من الناس تهوي إلى هذا المكان لخدمة المجاورين..

3- متى كانت بداية العمران؟

بداية العمران والسكنى في بقعة مدينة القدس قديمة جدًا، لا يستطيع مؤرخ أن يحددها.. ولكننا نذكر هنا أقدم بداية عرفناها، أو نذكر الآثار التي أعطتنا معرفة بزمن من أزمان المدينة، أو مرحلة من مراحل تاريخها الطويل الموغل في القدم.

ومن أقدم النصوص التي ذكر فيها اسم (أورشليم) بوصفها مدينة أو مملكة نصوص فرعونية ترجع إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، فيما يسمى (نصوص اللعنات) وهي نصوص منقوشة على جرار فخارية تذكر أسماء البلاد والحكام من أعداء الفراعنة. وكانت الجرار تحطم في احتفال سحري خاص لجلب الأذى على المذكورة أسماؤهم عليها، ومن هذه الأسماء (يقرب آمو، حاكم أورشليم وجميع بطانته) انظر (الحدث التوراتي - لفراس السواح / 145).

ونفهم من (نصوص اللعنات) أن مدينة القدس كانت في ذلك العصر ذات شأن وقوة يخشاهما الفراعنة. ووصول المدينة إلى مرحلة القوة المهابة يعني أنها آهلة بالسكان، وآهلة بالجنود القادرين على الدفاع والغزو. وهذه الحال لا تمثل بداية، وإنما تمثل قمة والقمة لا تتكوّن بين عشية وضحاها، وإنما تنشأ عن تاريخ تراكمي من الوجود والتدرج نحو خلق وجودٍ وطني.

وما بين البداية والوصول إلى القمة مئات السنين التي تجعلنا نقدر بداية وجود هذه المرحلة حوالي الألف الثالث قبل الميلاد. ولكن وجود الممالك والكيانات الوطنية، لا يرتبط بالوجود الابتدائي للسكان في هذا المكان، وقد تمرُّ آلاف السنين على الحال الابتدائية للمجتمع.

ومبتدأ وجود (القدس) هو المسجد الأقصى، وهو مكان للعبادة يأوي إليه العابدون. ويظهر أن العبادة بمعنى (الصلاة) لم تكن تشريعًا يشملٍ جميع الناس، كما هي الحال في الديانة الإسلاميّة: وربما كانت عبادة طوعية يقوم بها عدد ممن يجدون في أنفسهم الصفاء الروحي، للتأمل في هذا النظام الكوني الدال على وجود خالقٍ يسيّر هذا الكون وكانت تكون لهؤلاء العُبّاد المهتدين خلوة وعزلة عن مجتمعاتهم في أماكن خلوية..

والمسجد الأقصى، أحد مكانين كانا من أقدم ما هدى الله الناس إلى إنشائهما للعبادة، أولهما: المسجد الحرام في مكة. والثاني المسجد الأقصى في القدس.

وقد أخبر القرآن أن أول مكان للعبادة على الأرض، كان البيت الذي في مكة ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾ (آل عمران: 96)

فقال: وُضع (للناس) لجنس الناس جميعًا، وليس لأهل الحجاز فقط. وأخبر النبيُّ ﷺ أن المكان الثاني الذي وضع للعبادة، هو المسجد الأقصى. ومما يدلُّ على الصلة الوثيقة بين المسجدين، أن بقعة المسجدين وصفت بألفاظ تتفق في المعنى، وإن اختلف اللفظ.

فالمسجد في مكة سماه الله (البيت الحرام) والبلدة (البلد الحرام) قال تعالى : والحرمة تعني الأمان في ظل العناية الإلهية، فالناس آمنون والشجر آمنٌ والحيوان آمن، وكلّ ذي حياةٍ آمن في هذا البلد بجوار المسجد الحرام.

وفي القدس سمى الله المسجد (المسجد الأقصى) وربما كان الوصف الأول محذوفاً والتقدير (المسجد الحرام الأقصى) في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ (الإسراء: 1) بدلالة قوله: ﴿ بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ فمكة بلد حرام، والقدس بلد حرام، لأن (البركة) تجلب الأمن والأمان.

والسكان الأقدمون في القدس استوحوا معنى الحرمة لمدينتهم عند وضْع الاسم فقالوا: (أورشليم) وقد قيل في تفسيره أنه بمعنى (مدينة سالم)، وأن سالماً هو إله السلام عند الكنعانيين.. وأميل إلى تفسير (شليم) بمعنى السلام مصدر (سلم) وليس اسم علم. و(السلام) في أورشليم و(الحرام) في (البلد الحرام) مترادفان. ذلك أن الحرام و(المحرم) في وصف بيت مكة يعنيان الأمان لكل ذي حياة. و(الأمان) يعني (السلام) أو ما يسمى اليوم (التعايش السلمي) بين الأحياء. وكذلك كان سكان أورشليم يشعرون بالأمن والسلام، فهي بلد السلام. فالمعنى الديّني في اسم (أورشليم) وهو من أقدم أسماء مدينة القدس، بل هو أقدمها، يؤيده الحديث النبوي الذي يربط بين بناء المسجد

الأقصى، وبناء المسجد الحرام في مكة بزمن واحد.. وهذا الزمن قديم موغل في القدم، وهو أقدم من العصر التاريخي الذي بدأ باختراع الكتابة.. لأن الوجود الإنساني قديم، وعبادة الله في ارض قديمة، بدأت مع وجود البشرية قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: 56) .

وقد ثبت عندنا، أن فلسطين من الشام، والشام من جزيرة العرب وأن للعرب جزيرة، وليست شبه جزيرة، وأن جزيرة العرب لا تقف عند حدود ما يسمى اليوم بدول الخليج العربي وإنما تمتد شمالاً لتشمل بلاد الشام كلها إلى جبال طوروس، ويحدها من الشرق نهرا دجلة والفرات... ورجحنا أن الإنسان في أرض فلسطين أصيل في وجوده، ولم يهاجر إليها مما سموه (جزيرة العرب) اليمن ونجد والحجاز، وقد مرّت عليه وهو في أرضه أطوار ما قبل التاريخ، وأطوار ما بَعْد التاريخ وهو متجذر في مكان في فلسطين من جزيرة العرب، فعاش الزمن الحجري، والزمن المعدني، وزمن التدوين التاريخي طورًا بعد طور وهو في فلسطين..

وبناءً على ذلك نقول: إن النظرية القائلة إن الجنس العربي في بلاد الشام، هاجر إليها من جنوب الجزيرة العربية نظرية غير دقيقة بل خاطئة، روّج لها الباحثون التوراتيون وتبعهم كثير من الباحثين العرب دون تحقيق.

ففي الشام وفلسطين تجذر الإنسان العربي، ومرت عليه الأطوار التي مرّت بالبشرية، وفي الجنوب تجذر ومرّ بالأطوار نفسها، ثم كان هناك تنقل جزئي داخل الجزيرة العربية من الشمال إلى الجنوب ومن الجنوب إلى الشمال، والدورات المناخية التي تدعو الناس إلى الارتحال والهجرة مرّت بها أقاليم الشمال فهاجروا إلى الجنوب، ومرت بها أقاليم الجنوب فهاجرت إلى الشمال وقد رجحت الدراسات الأثرية أن اللغة العربية التي سموها خطئًا (الساميّة) انتقلت من بلاد الشام إلى نجد والحجاز واليمن..

4- ولهذا نقول: مبتدأ مدينة القدس عربيٌ:

لأن مكان المدينة الجغرافي يقع في عمق الجزيرة العربية، ويقع في بقعة من الجزيرة العربية، لأن القدس من فلسطين، وفلسطينِ من الشام، والشام من الجزيرة العربية، ولم ينبت في بقاع الجزيرة العربية إلا العرب، وكلّ مَنْ عاش في هذه الجزيرة من غير العرب، هم فَقَع بقَرْقر، لا أصلَ له ولا جذور، ونسفته الرياح.

ومبتدأ القدس عربيّ، لأن النشأة موصولة بنشأة مكة المكرمة في زمن واحد، ولهدف واحد، هو عبادة الله الواحد الأحد وتأسيس دين التوحيد، دين السلام والأمن للبشرية.. ومن المتفق عليه أن النبوّات لم تخرج عن جزيرة العرب والأنبياء في معظمهم إن لم يكونوا جميعًا، من العرب.

ومبتدأ القدس عربي، لأن أسماء القدس كلها عربية، ومعاني معظم أسماء القدس تتفق مع معنى (البيت الحرام) في مكة.

فأورشليم: اسم عربيّ عتيق، معناه: مدينة السلام، أو مكان السلام، والأصل في الاسم للدلالة على المسجد الأقصى ثم عُمّم على المدينة. ويوافق معناه، معنى البيت الحرام في مكة فهو محرّم وحرام، لأنه خُصص للعبادة،والعبادة تعني المحبة والسلام لكل المخلوقات، وكذلك معنى (السلام) في أورشليم. و(بيت المقدس) الاسم العربي العدناني لـ (أورشليم).

ولفظ (أور) يعني (البيت) و(السلام) يعني (المقدس) فتقديس البيت يعني نفي الرفث والفسوق والعصيان عنه ونفي الجدال الذي يؤدّي إلى الخلاف، فالجميع متفقون على كلمة التوحيد في ظل هذا المكان ولذلك يعمُّ السلام. و(يبوس) من اليبوسة، بمعنى الأرض التي لا زرع فيها والمسجد الحرام نشأ بوادٍ غير ذي زرع، وإنما يرزق الله أهل المكانين، بالأفئدة التي تهوى إليهم، وتحمل إليهم الثمرات.

والقدس: من القداسة، وهي الطهارة.. وفي القرآن أمر الله إبراهيم فقال: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (الحج: 26).

والقدس في الأرض المباركة التي بارك الله فيها وبارك حول مسجدها الأقصى، والبركة تعني شعور الإنسان بالأمن الروحي والأمن الغذائي.. والأمن الغذائي قد يكون بكثرة الغذاء وتوفره، وقد يكون بالرضا بما رزق الله، قلَّ أو كثر، بحيث يكفي القليل من الغذاء الجمّ

الغفير من الناس، وكانت القدس على رأس جبل لا ينبت إلا القليل من الرزق، لصعوبة حرثه وزرعه فأتى الرزق إلى ساكنيها من أغوارها.

ومبتدأ القدس عربي، لأن تاريخ القدس، هو تاريخ أرض كنعان والكنعانيين. وقد ثبت أن الكنعانيين قوم من العرب، أو من الجنس العربيّ.. وهم أول وأقدم شعب وجدهم التأريخ في فلسطين، لم يسبقهم أحد، ولم يقطع وجودهم أحد من الغزاة.. لقد تعددت أسماء القبائل والشعوب التي سكنت أرض فلسطين، والمعنى واحد، والأصل واحد، وهو الجنس العربي، طبقة بعد طبقة. ولم تنشر مستندات تدل على أن شعبًا غير الجنس العربي دام وجوده في بلاد الشام كما دام وجود الجنس العربي.

5- ارض القدس من جزيرة العرب:

بوّب البخاري في صحيحه في كتاب الجزية (باب إخراج اليهود من جزيرة العرب).

وروى حديث النبي.. وفيه: من آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب) وفي حديثٍ (لا يجتمعُ دينان في جزيرة العرب).

ولستُ بسبيل استنباط الأحكام من هذه الأحاديث، ولكنني نقلتها للاستشهاد بألفاظها، حيث ورد فيها اسم (جزيرة العرب) للإشارة إلى مهد العرب وموطنهم.. واستعمال لفظ (جزيرة) مُشكل عند كثير من الناس، لأنهم يقرأون في كتب الجغرافية الحديثة مصطلح (شبه جزيرة

العرب) ويحدونها بحدود ما يسمى اليوم (دول الخليج العربي) ومعها اليمن وعُمان. وبناءً عليه قال بعضهم إن استعمال مصطلح (جزيرة العرب) استعمال مجازيّ لأن شمال (شبه الجزيرة) عارٍ عن الماء، كما خيّلتْ لهم عيونهم، وهم يخرجون بلاد الشام والعراق من (مهد العرب) حيث أوحى إليهم الجغرافيون الأوروبيون واليهود، أن بلاد الشام والعراق تعرّبت بعد الفتح الإسلامي.. وهذا قول باطل، أُريد به إشاعة مقولة سياسيّة خبيثة، لتحقيق مطامع سياسية، زيفوا التاريخ من أجلها.

ونحن نقول (أهل مكة أدرى بشعابها) ونحن - العربَ - أعرفُ الناس ببلاد العرب، نعرفها، بل نعرف كلَّ ذرّةٍ فيها بما يضوع من عبير الأجداد متدفقًا من قاع الأرض السابعة. فبلاد العرب جزيرة.. قال الخليل بن أحمد في تفسيرها: (سُميت جزيرة العرب، لأن بحر فارس (الخليج العربي) وبحر الحبشة (البحر الأحمر) والفرات ودجلة أحاطت بها وهي أرض العرب ومعدنها.

وقال الأصمعي: جزيرة العرب ما بين أقصى عَدَن أَبْيَنَ إلى ريف العراق طولاً، ومن جُدَّة وما والاها إلى أطراف الشام عرضًا، وسميت جزيرة العرب لإحاطة البحار بها.. وأضيفت إلى العرب لأنها كانت بأيديهم قبل الإسلام، وبها أوطانهم ومنازلهم، (فتح الباري/6/171).

وألّف الحسن بن أحمد بن يعقوب المعروف بالهمداني، المتوفى سنة 334هـ - 945م، كتابًا اسمه (صفة جزيرة العرب) قال في تحديدها (جنوبيها اليمن، وشماليها الشام وغربيها شرم أيلة (العقبة) وما

طردته من السواحل إلى القلزم (البحر الأحمر) وفسطاط مصر (مصر القديمة) وشرقيها عُمان والبحرين وكاظمة (الكويت) والبصرة، وموسطها الحجاز وأرض نجد، وتسمى جزيرة العرب، لأن اللسان العربي في كلها شائع وإن تفاضل.. وذكر الهمداني حسابات الطول والعرض، فذكر من بلدان الجزيرة العربية: بيت المقدس، والرملة من فلسطين وسلمية وبعلبك، وقيسارية (في فلسطين)، وصيدا، والأنبار (في العراق) وبغداد. كما ذكر حمص وعانة (في العراق) وصور وسُرَّ مَنْ رأى (سامراء) ومنبج، وحلب وأذنة (في لواء إسكندرون) وأنطاكية، وقنسرين وبابل بختنصر..

وذكر من أماكنها المقدسة: البيت الحرام، والمدينة النبويّة والوادي المقدس طوى، وطور سيناء، ومسجد إيليا (المسجد الأقصى) وعرصة المحشر والمنشر (في الشام، أو القدس)، (انظر ص 1-2). وقال في الصحيفة 57 (وإنما سميت بلاد العرب الجزيرة لإحاطة البحار والأنهار بها من أقطارها وأطوارها، وصاروا فيها في مثل الجزيرة من جزائر البحر..وذكر الأنهار والبحار المحيطة بها..فيبدأ بنهر الفرات القادم من بلاد الروم (تركيا) ثم الخليج العربي، ثم خليج عمان وعدن ثم البحر الأحمر، ثم نهر النيل ثم البحر المتوسط حتى خالط الناحية التي أقبل منها الفراتُ منحطا على أطراف قنسرين والجزيرة إلى سواد العراق.. وفي معجم البلدان لياقوت الحموي، مادة (جزيرة العرب) وصف للبحار والأنهار التي أحاطت بجزيرة العرب.

وقال الدكتور ناصر الدين الأسد في كتابه (مصادر الشعر الجاهلي) ص2: (وأما جغرافيو العرب فهم يقصدون ببلاد العرب، الجزيرة العربية كلها، ويدخلون فيها بادية سيناء وبلاد الشام جميعها وجزءًا من العراق..) ونقل ما ذكره الهمداني وياقوت الحموي ثم قال: (وبلاد العرب في هذا البحث (مصادر الشعر الجاهلي) هي الجزيرة العربية التي يحدها من الغرب: البحر الأحمر، ومن الجنوب البحر العربي، ومن الشرق الخليج العربي وتمتدُّ في الشمال حتى تشمل هذه البقاع التي قامت فيها دولات عربية كالمناذرة في الحيرة، والغساسنة في الشام، ومن قبلهم الأنباط في بترا وتدمر). وبهذه الشواهد يثبتُ أن بلاد الشام من جزيرة العرب وأرض القدس من الشام، فهي إذن من جزيرة العرب..

6- وسكان القدس، منذ البدء، كانوا من العرب

ودام الوجود العربي إلى اليوم، ولم يُعرف أن إقليم فلسطين خلا من السكان مع تتابع الغزاة..

قد يُقال: إن مدينة القدس قد هُدمتْ مرات عديدة، فكيف تزعم الاستمرار والدوام للسكان مع تتابع القرون، وتتابع الغزو والتدمير.

الجواب: في حالة الغزو والاحتلال دون تدمير المدينة: إنما يكون احتلالاً عسكريًا، ويبقى السكان أو معظمهم في المدينة.. ولم يحدث في التاريخ القديم أن كان غزوٌ عسكري، مع هجرة قادمة من خارج الديار.. وإنما يبقى السكانُ الأصليون للخدمة والعمل، وإمداد الغازي بالمال

اللازم للبقاء.. فالغزاة الفراعنة، والآشوريون والفرس والرومان، لم يكونوا يحتلون البلاد لجلب شعوبهم إليها، وإنما يحتلونها عسكريًا لتكون خاضعة لهم.. وفي حالة هدم مدينة من المدن، يهربُ سكانها إلى المناطق المجاورة فإذا مرت عقود وانتهى الغازي، عاد السكان الذين هربوا أو عاد أبناؤهم وأحفادهم، أو عاد إليها سكان آخرون من المناطق المجاورة الذين ينتمون إلى العرق العربي، لأن كلَّ سكان البلاد من العرب.

والعربُ اليبوسيون - وهو أقدم اسم أُطلق على سكان القدس، وإن لم يكونوا أول مَنْ سكنها من العرب - لم يتركوا القدس، (كلهم أو معظمهم - مع تتابع الغزو، وخلف من بعد خلفٌ ثبتوا في القدس وقاوموا الغزو والإفناء إلى العصر الحاضر.. عندما غزا الصليبيون القدس قتلوا مَنْ قتلوا من المسلمين، وهرب مَنْ هرب، ولم يبق فيها أحد من المسلمين، ولكنها لم تخلُ من العرب.. إن العرب المسيحيين بقوا في بيوتهم، وشجّع الصليبيون العرب المسيحيين في سوريا ولبنان والأردن على الهجرة إلى القدس وفلسطين، للعمل في الأراضي التي تركها أهلها.. وعندما فتح صلاح الدين القدس، كان فيها جالية عربية مسيحية كبيرة من الأرثوذوكس، أبقاها صلاح الدين في القدس..

ومن قبل ذلك عندما فتح عمر بن الخطاب القدس: كان البطريرك الأكبر صفرونوس عربيًا من سوريا، وكان الوالي على القدس عربيًا اسمه (ابن الناطور) ذكره البخاري في صحيحه، ونقل عنه قصة هرقل عندما بلغته الرسالة النبويّة. وخرج من القدس يومها الروم والغرباء، وبقي العرب في القدس..

7- عرب فلسطين اليوم أخلاف الكنعانيين

ولا مجال للشكّ في أن عرب فلسطين اليوم، هم أخلاف الكنعانيين واليبوسيين الذين صمدوا في الأرض، وقاوموا الغزوات الخارجية المستمرة. نقل ظفر الإسلام خان في كتاب (تاريخ فلسطين القديم) عن الأستاذ فريزر قوله: إنَّ رأي الفقهاء الأكفاء من أهل الخبرة والمعرفة أن فلاحي فلسطين الناطقين بالعربية، أخلاف القبائل الوثنية، التي كانت تعيش هناك.. وظلت أقدامهم ثابتة في التربة منذ ذلك التاريخ، وتوالت عليهم موجات الفتح المتعاقبة التي طغت على البلاد دون أن تحطمهم.

إنَّ عروبة بلاد الشام، وعروبة فلسطين، وعروبة القدس، لم تأتِ مع الفتح العربي الإسلامي، وإنما هي عروبة قديمة موغلة في القدم. فالعرب الذين جاءوا مع الفتح الإسلامي، كانوا قلة، والفتح العربي الإسلامي لم يطرد الناس من ديارهم، وإنما أبقاهم، وأمنهم على أموالهم وأنفسهم.. ومن الخطأ القول: تعرَّب أهل الشام بدخول الفتح العربي الإسلامي، لأن أهل الشام كانوا عربًا قبل مجيء المسلمين: منهم مَنْ كان عربيًا يتكلم العربية القرشية، وهي لهجة الفاتحين، ومنهم مَنْ كان يتكلم العربية الآرامية، فترك لهجته، وأخذ اللهجة العربية القرشية.. وفتح العرب المسلمين لبلاد الشام كان تحريرًا لجزء من الجزيرة العربية كان الروم قد استولوا عليه..

موقع القدس الجغرافي

القدس مدينة جبلية، واقعة بين البحر الميت من الشرق والبحر الأبيض المتوسط من الغرب، تبعد عن البحر الميت 18 ميلاً، وعن البحر المتوسط 32 ميلاً. وهي مرتفعة 3800 قدم عن سطح البحر الميت. و 2500 قدم عن سطح البحر الأبيض.

وهي قسمان: القدس القديمة، والقدس الجديدة يفصل بينهما سور..

وتبعد القدس عن المدن التالية الكيلومترات المثبتة أمامها:

عمان	88 كم	دمشق	308 كم
القاهرة	528 كم	بيروت	306 كم
عكا	175 كم	بئر السبع	88 كم
بيت جالا	10 كم	غزة	94 كم
حيفا	153 كم	الخليل	36 كم

بيت لحم	10 كم	اللد	47 كم
نابلس	65 كم	الناصرة	141 كم
رام الله	16 كم	الرملة	44 كم
أريحا	35 كم	طبرية	170 كم
طولكرم	93 كم	إربد	160 كم
الحمة	155 كم	العقبة	356 كم
جسر الملك حسين	43 كم	الحدود السورية	170 كم
البحر الميت	37 كم	معان	282 كم
السلط	77 كم		

جبال القدس:

عندما يؤرخ للقدس القديمة، يجب تثبيت إنها قائمة على خمسة تلال: (موريا) ويزعمون أنها الأكمة التي يقوم عليها المسجد الأقصى (الحرم القدسي).

و(أوفل) وهو السفح المطل على قرية سلوان من ناحية الحرم. و(صهيون) وهو الذي يقوم عليه الحيّ المسمى (حيّ النبي داود) و(عكرا) أو (أكرا) وهو حارة النصارى والسوق الجديدة. و(بيزيتا) باب حطة وباب العمود وما حولهما.

ولكن مدينة القدس قد اتسعت فيما بَعْدُ من جميع النواحي، ودخل في حدودها جبال كثيرة، نذكر أهمها وهي: جبل الطور، ومن أسمائه (طور زيتا) و(جبل الزيتون). يقع شرقي القدس وهو أعلى منها بـ 197 قدم.. وتاريخه متصل بتاريخ المدينة.. فيه حطت جيوش الرومان يوم جاءَت لفتح القدس بقيادة (طيطس) وفيه عسكر المسلمون يوم جاءوا لفتحها، وكذلك فعلت جيوش الأمم التي هبطت هذه المدينة من قبلُ، ومن بَعْدُ.

وفي أخبار النبي عيسى عليه السلام أنه كان يتردد إلى هذا الجبل عندما أحس أن اليهود ينوون أن يغدروا به.. ومن تقاليد المسيحيين أن عيسى صعد من هناك إلى السماء. وبنت الملكة هيلانة فوق جبل الزيتون (كنيسة الصعود).

وللروح الشعبية عند المسلمين تعلّق بجبل الزيتون، فهم يتناقلون أنه المذكور في قوله تعالى ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ (التين: 1) ولأن الجيش الإسلامي الذي فتح القدس أيام عمر بن الخطاب عسكر فيه، وفيه مدافن عدد من شهداء المسلمين في الفتحين العمري والصلاحي، وفيه مقام لرابعة العدويّة.

وجبل سكوبس أو (سقويس) جبل واقع في شمال المدينة ومتصل بجبل الزيتون، ويُعدُ جزءًا منه، يسميه المقدسيون (المشهد) و(الصوّانة) و(رأس المشارف)..

وعلى هذا الجبل وضع اليهود حجر الأساس للجامعة العبرية سنة 1918 ويقوم عليه مستشفى هداسا اليهودي. وفيه مقبرة الإنجليز الذين قتلوا عند احتلال القدس في الحرب العالمية الأولى سنة 1917.

وجبلُ المكَبِّر: جبل مرتفع كائن قبليّ المدينة.. وقيل سمي بذلك لأن عمر بن الخطاب كبّر عندما رأى القدس وهو على هذا الجبل وبجانبه هضبة يقوم عليها ضريح المجاهد المعروف بأبي ثور، وهو من المجاهدين الذين اشتركوا في فتح القدس مع صلاح الدين الأيوبي بنى الإنجليز على جبل المكبر دارًا اتخذوها مقرًا للمندوب السامي في عهد الاحتلال. وبنوا عليه (الكلية العربية).

وجبل صهيون: بمعنى الجبل المرتفع، أو جبل الشمس: يقع في الجنوب الغربي للقدس القديمة. ويُظنُّ أنه كانت تقوم عليه قلعة يبوس.. وعلى هذا الجبل يقوم اليوم الحيّ الإسلامي المعروف بحيّ النبي داود، وعليه كنيسة (نياحة العذراء) للألمان الكاثوليك.

وجبل القطمون: من التلال التي تقوم عليها القدس الجديدة، وهو واقع غربيّ المدينة إلى الجنوب: وكان يقع بينه وبين محطة سكة الحديد سهل البقعة..

وجبل وعر الضبع: في الشمال الغربي من المدينة، وقد يسمى (وعر اللفاتوة) لأنه مطل على قرية (لفتا)..

وجبل بطن الهوا: وهو امتداد جبل الزيتون في الزاوية الجنوبية الشرقية للقدس. يفصله عنها وادي سلوان الذي يتصل في هذه النقطة بوادي قدرون.

وديان، او اودية القدس (اشهرها):

وهذه الأودية، منخفضات تفصل بين الجبال المذكورة في القدس. نذكر منها أشهرها:

وادي جهنم: أو (وادي النار) أو (وادي سلوان) كما يسميه العربُ المسلمون.

ووادي (ستنا مريم) كما يسميه العربُ المسيحيون.

ووادي (قدرون) كما يسميه الفرنجة.

وكلها أسماء لمسمّى واحد، ويقع نحو الشرق، يفصل بين القدس وجبل الزيتون، ويجري في قاعه الماء عندما يسقط المطر، وطوله نحو كيلومترين يفصل السور الشرقي للقدس عن جبل الزيتون. يبدأ بالقرب من الشيخ جراح، وينتهي عند وادي الربابة، قبلي بركة سلوان.

والسبب في إضافته إلى (جهنم) أو (النار) أن الناس يعتقدون أن الصراط في يوم القيامة سينصب فوقه - من جبل الزيتون في الشرق، إلى سور الحرم في الغرب.. وهي خرافة يهودية فالصراط، لا يعلم مكانه إلا الله.

وادي الجوز: وادٍ غير عميق يفصل بين جبل سكوبس والمدينة من الناحية الشمالية الشرقية.

وادي سلوان: في جنوب القدس. وهو اسم النبع الموجود في هذا الوادي، والذي ينساب منه مجرى ماء اسمه (جيحون). وكان الوادي

قديمًا يضاف إلى قبيلة عربية وثنية اسمها (هنّم) فكان يُقال (وادي هنّم) وكلمة (الوادي) في لغات عربية عتيقة هي كلمة (جي) فكان يقال (جي هنم) ثم تركبت (جيهنم) وكانت هذه القبيلة تقدم الضحايا البشرية إلى إلهها، بذبحها وإلقائها في النار. ومن هذه الصورة أُطلق اسم (جهنم) على مكان العذاب في الآخرة.. ووادي (هنّم) أو (سلوان) أو (جيحون) يمتد على طول جنوبي القدس حتى الطرف الجنوبي الشرقي من جبل صهيون.

ووادي الجبّانة: يفصل جَبَلَ صهيون عن غرب القدس، ويبدأ حيث ينتهي وادي سلوان. وكان يسمى في الجزء الجنوبي الغربي من القدس (وادي الزبالة) أو (وادي الدِّمَن) أو وادي القمامات.

وادي الأرواح، أو وادي العفاريت، يدور حول غرب جبل صهيون وأقصى الجنوب.

المياه في القدس:

ليس في أرض القدس نهر، ولا يجاورها نبع ماء غزير، ويبدو أنه لا يوجد في قعر أرضها ماء، ولذلك لم يحفروا فيها الآبار، حتى في زمن تقدّم آلات الحفر وتطورها في العصر الحديث.. وكانت في قديم الزمان وسالف العصر والأوان تشرب من آبار أو حُفَر، أو صهاريج تُحفرُ في المنازل ليجتمع فيها ماء الشتاء، ولم يكن ثمة بيت من البيوت القديمة داخل السور، إلا وفيه بئر، لجمع ماء الشتاء، ويسمونه أيضًا (صهريج) وجمعه صهاريج.

وكانت القدس تشرب أيضًا من مصدرين خلا الآبار التي تجمع ماء السماء؛ وخلا البرك - جمع بركة الماء - الكبرى العامة التي يتجمع فيها ماء السماء.

الأول: عيون سُلوان، وأهم هذه العيون:

عين أم الدرج: وتبعد 300م عن الزاوية الجنوبية الشرقية لسور الحرم..

بركة سلوان: قبلي عين أم الدرج، وعلى بُعْد بضعة أمتار منها ويعتقد المسيحيون أنها البركة التي أمر السيدُ المسيحُ الرجل الأعمى أن يغتسل فيها بعد أن طلى عينيه بالطين المعجون بالتفلة فاغتسل وأبصر.. والله أعلم.

والبركة التحتانية: تقع في الجنوب الشرقي من بركة سلوان، وعلى بُعْد بضعة أمتار منها. وتسمى (البركة الحمراء).

بئر أيوب: وهي بئر كبيرة يتفجر الماء منها في فصل المطر وتبعد عن البركة الحمراء نحو ألف قدم. ذكر أحد المؤرخين أنه رأى عندها عام 1902 مائة وعشرين دابة تستقي منها في قرب مصنوعة من الجلد، وتنقله إلى القدس وأن هذا العمل تكرر طوال النهار وفي الليل أيضًا.. واسم البئر إسلامي يرجع إلى زمن صلاح الدين، فهو الذي عمرها.

وعين اللوزة: على بُعْد 534م من بئر أيوب نحو الجنوب.. يجري فيها الماء الفائض من بئر أيوب.

المصدر الثاني الذي كانت القدس تشرب منه: عيون وينابيع واقعة في وادي العرُّوب، و(وادي البيار) و(البالوع) و(أرطاس) هذه الينابيع واقعة على مقربة من الطريق التي تربط القدس بالخليل.

أما وادي العرّوب: فإنه يبعد عن القدس نحو 22 كم، ويبعد عن الخليل نحو 14 كم فيه ثلاث عيون: (فريديس) و(عدّ المزرعة) و(الفوار) وماء هذه العيون تصب في بركة يسمونها (الشطّ).

وفي وادي العروب أيضًا (عين البصّ) و(عين البرادة) و(عين الدلبة)، وماء هذه العيون لا يصب في بركة (الشطّ) بسبب انخفاضها ولكنه يلتقي بالماء الذي يسيل من تلك البركة وينساب كله في اتجاه واحد.

وأما (وادي البيار) فإنه من أراضي (الخضر) وعلى بُعد ثمانية كيلومترات من برك سليمان نحو الجنوب.. هناك خمسة ينابيع، يتدفق ماؤها صيفًا وشتاءً، ويسيل في قناة اسمها (قناة وادي البيار). وهذه الينابيع الخمسة هي: رجم السبيط ورأس العدّ، وعين فاغور، وخربة القط، وعين العصافير.

وأما البالوع، ويسمونه أيضًا (عين الخضر)، فهو واقع شرقي قرية الخضر عند الكيلو 13 على طريق القدس الخليل. هذه الينابيع الكائنة في وادي العروب، ووادي البيار والبالوع، يصبُّ ماؤها في (برك سليمان) ومن هذه البرك يخرج الماء ويلتقي بمياه (عيون أرطاس) وتسيل كلها في

قناة واحدة إلى أن تصل بيت لحم، فالقدس. وعيون أرطاس أربع عيون: عين عطاف، وعين الفروجة وعين صالح، وعين البرك.

وأما برك سليمان - والإضافة ليس لها معنى تاريخي - فإنها ثلاثة: ويسمونها برك المرجوع:

البركة الفوقا: أعلى من سطح البحر 797م.
البركة الوسطى: أعلى من سطح البحر 783م.
والبركة التحتا: أعلى من سطح البحر 768م.

وأما القناة التي يسيل فيها الماء قبل وصوله إلى القدس، فإنها قناة رومانية، وقد عُمّرت في القرون الإسلامية مرارًا، وكانوا يسمونها (قناة السبيل) وكان الماء الذي يصل إلى القدس عن طريق هذه القناة يصبُّ في آبار حفرت في أرض المسجد الأقصى (الحرم القدسي) وفي (سُبُلٍ) أُنشئت فيه وفيما حوله من أحياء القدس.

وهذه البرك والعيون والآبار، لم تكن كافية القدس حاجته من الماء.. مما جعل المجلس البلدي يفكر في موارد أُخرى فسحب الماء من (عين فارة) سنة 1926 وهي تبعد نحو أربعة عشر كم عن القدس، نحو الشمال الشرقي.

وفي عام 1931 تزودت القدس بالماء من (عين الفوار) أيضًا وهي واقعة على بُعْد ستة كم من (عين فارة) نحو الشرق. وتزودت القدسُ أيضًا بالماء من (عين القلط) سنة 1934 وهي في الوادي نفسه.

وفي سنة 1935 أُنجز مشروع (راس العين) وصارت القدس تتزود بالماء من هذا المكان الذي يبعد عن القدس 37 ميلاً.. ولكن نبع رأس العين - موجود في الأراضي التي احتلها اليهود سنة 1948، وحوّلوا ماءَه إلى النقب.. وليس عندي معلومات عن مشروعات المياه أيام الحكم الأردني من سنة 1948 - 1967..

أحياء، أو حارات مدينة القدس:

القدس قسمان: القدس القديمة، والقدس الجديدة، يفصل بينهما سور.. وبدأت القدس الجديدة خارج السور في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

ومن الحارات في المدينة القديمة بين الأسوار:

باب حطّة، وباب السلسلة، وباب العمود، وحارة الشرف وحارة الواد، وحارة السعدية، وحارة النصارى.

قد يقول قائل: لماذا لم تذكر (حارة اليهود).. فأقول: لم يُعرف لليهود (حارة) في القدس، وقد طرأ الوجود اليهودي في القدس، في أواخر العهد المملوكي، وازداد في العصر التركي.. والدليل على ذلك أن بيوت هذا الحيّ من الأوقاف الإسلاميّة.. ويشهد لهذا المؤرخون الأجانب والعرب.. ومن ذلك قول الهرّ كارل رتر الألماني في كتابه: (The Comparative Geographie of Palestine) المطبوع في نيويورك سنة 1866 (إنَّ قسمًا كبيرًا من مساكن اليهود الكائنة فيما يسمى (الحيّ اليهودي) هو وقف للحرم الإسلامي في القدس).

وقال عارف العارف في كتاب (المفصّل في تاريخ القدس) والرجل عارف خبير بالقدس، مطلع على الوثائق الرسميّة الحكوميّة، وسجلات المحاكم الشرعيّة - قال: والذي أعرفه أن تسعين في المئة من منازل الحيّ اليهودي من (الأوقاف الذريّة) التي يتصرف بريعها مسلمون من: آل النمري، والجاعوني، والخالدي، والحسيني والنشاشيبي، والعلمي، والقطب، والعسلي، والبديري والإمام، والدقاق، وقطينة، والشهابي، والأنصاري، ونسيبة، والداودي، والموسوس، والديسي، وأبو السعود، والطبجي، والرصاصي، والموقت، والزحيمان، وغنيم، وأبو مدين، والبشاشتة، والحريري، وغيرهم من الأُسر المقدسية المعروفة من قديم الزمان، وكان المقدسيون فيما مضى، يطلقون على هذا الحي (حارة الشرف).

أما كيف وصلت الأوقاف الإسلاميّة إلى اليهود؟ فنقول: إنها وصلت عن طريق الاستئجار.

وأما أحياء القدس، خارج السور (القدس الجديدة) فهي باب الساهرة، والشيخ جرّاح، وكولونية اليونان، ووادي الجوز، والمصرارة، والنبي داود، ومامِلّا، ودير أبي ثور، ووادي النباح، والبقعة الفوقا، والبقعة التحتا، والطالبية، والنمرية، والقطمون، والشيخ بدر..

وهناك أحياء يهوديّة، أقدمها حي منتفيوري، تأسس سنة 1862.

مساحة القدس، وسور القدس القديمة وأبوابها

كانت مساحة القدس (القديمة والجديدة) سنة 1948: 19.331 دونم (والدونم ألف متر مربع).

منها 868 دونم داخل السور، والباقي خارج السور.. ونحن نؤرخ للقدس القديمة، لأنها مبتدأ وجود القدس، ولذلك نوليها العناية الكبرى في هذا الكتاب وحول مدينة القدس القديمة سورٌ يحيط بها من جميع جهاتها شأن كلِّ مدينة قديمة.. والقدس منذ نشأتها الأولى وهي مسوّرة.. ويذكرون أن أول سور لها كان في الألف الثالث قبل الميلاد الذي سموه (سورة مدينة يبوس) ونحن نقول: هذا أقدم سور عثر عليه المنقبون.. لأن مدينة القدس أقدم من هذا التاريخ، فعمّرت المدينة من زمن تأسيس المسجد الأقصى وقد وُضع المسجد الأقصى في زمن غابر بعيد، إن قدرته بستة آلاف سنة قبل الميلاد، لا تكون مُبْعدًا، وإن قدرته بأكثر من ذلك، فإنك تصيب الحقيقة، لأن عبادة الله في الأرض كانت منذ نشأت البشريّة..

وإذا نُسب بناء السور - سور القدس - إلى قبيل من البشر، فإنه يكون بناء تجديد، وليس بناء تأسيس.. وقد تتابع على تجديد بناء

السور، أو إصلاحه، أو ترميمه كلّ مَنْ حلّ بالقدس كاليبوسيين والرومان والبيزنطيين والفرنجة (الصليبيين) والأيوبيين، والمماليك، والأتراك.. فما من أُمة دخلت القدس واستقرت بها حينًا من الدهر إلا وفكرت في تحصينها وإقامة سور حولها، وكان سورها حينًا يبقى على ما كان عليه ويعمر أو يُصلح بشكل أَمْتَنَ وأقوى، وأحيانًا كان يتسع ليشمل الأحياء الجديدة التي ظهرت مع الأيام، واتساع العُمران. مثال ذلك: حارة النصارى، التي كانت في زمن المسيح مقبرة خارج سور المدينة.. وكان السور يومئذ في الناحية الغربية من المدينة لا يتخطى البقعة المعروفة بـ (سوق خان الزيت) وما زالت آثار السور القديم في (دير المسكوبية) إلى الجنوب من باب خان الزيت. ويعتقد المسيحيون أن هذا هو السور القديم وهنا كان الباب الذي خرج منه المسيح ليصلب في الجلجلة ولمّا اتسعت المدينة وكثر المسيحيون فيها ونشأ الحيّ المسمى (حارة النصارى) اتسع السور، ليشمل هذا الحيّ.

.. والشكل الموجود للسور الذي نراه اليوم، أو القسم العلويّ من السور هو من صنع الأتراك العثمانيين، وكان سورها في معظم أجزائه (عندما دخلها الأتراك) متهدمًا، فعمره السلطان سليمان القانوني ودامت عمارته خمسة أعوام (1536 - 1540) وبقي السور على حاله أثناء الاحتلال البريطاني (1917 - 1947)..

محيط السور، ميلان ونصف الميل (الميل = 1609م) 4200م وارتفاعه يتراوح بين 38 و 40 قدمًا (والقدم - 30. 48 سم).

طوله من الشمال: 3930 قدم.

ومن الشرق: 2754 قدم.

ومن الجنوب: 3245 قدم.

ومن الغرب: 2086 قدم

.. وللسور أربعة وثلاثون برجًا..

وفي السور - سور المدينة - أحد عشر بابًا.. سبعة مفتوحة وأربعة مغلقة. وإليك أسماء الأبواب المفتوحة:

1- باب العمود: أو (باب النصر) أو (باب دمشق) أو (باب الشام) لأنه يؤدي إلى دمشق الشام. ويقع في منتصف الحائط الشمالي لسور القدس، وسمي (باب العمود) بسبب وجود عمود داخل الباب من آثار مدينة هادريانوس، الذي أعطى القدس اسم (إيليا) وقد بقي هذا العمود حتى الفتح الإسلامي وسمّي باب النصر لأن الفاتحين كانوا يدخلون منه. ويعود باب العمود الحالي إلى عهد السلطان سليمان القانوني، وتعلو هذا الباب قوس مستديرة قائمة بين برجين، ويؤدي إلى داخل المدينة عبر ممرّ متعرج. وقد أُقيم الباب فوق أنقاض باب يرجع إلى العهد الصليبي.

2- باب الساهرة: يقع على الجانب الشمالي من سور القدس. ويسمى عند الغربيين باب (هيرودوس) ويرجع بناؤه في شكله الحالي إلى زمن السلطان سليمان القانوني (944هـ / 1537 - 1538م).

3- باب (الأسباط): وإضافة الباب إلى (الأسباط) ليس لها دلالة تاريخيّة. فالأسباط ليس لهم علاقة بالقدس ولم يروا القدس.. والمرجح عندي أنه تحريف (أسطفان) حيث يطلق عليه بعض الغربيين هذا الاسم، وهو اسم قدّيس عندهم. وربما كان اسمه (اليصابات) وهو اسم زوجة زكريا.. ويقال له (باب ستنا مريم) لأنه يطل على وادٍ بهذا الاسم، وسماه المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم) باب أريحا لأنه يؤدي إليها.

وهذا الباب يقع في الحائط الشرقي للمدينة،ويرجع تاريخ الباب الحالي إلى زمن سليمان القانوني.

4- باب المغاربة: أصغر أبواب سور القدس ويقع في الحائط الجنوبي للسور. ويسمى (باب سلوان) لأنه المنفذ المؤدي مباشرة إلى قرية سلوان. ويسمى باب المغاربة، لمجاورته لحيّ المغاربة. وقد دمّر اليهود سنة 1967 هذا الحيّ، ليجعلوا مكانه ساحة عامة أمام حائط البراق الذي يسمونه (حائط المبكى).. وقد استولى اليهود على مفاتيح باب حارة المغاربة.

5- باب صهيون - أي: باب جبل صهيون: أحد جبال مدينة القدس وقد يسمى باب (النبي داود) تبركًا وليس تأريخا، وهو في الجنوب أيضًا.

6- باب الخليل أو باب يافا في الغرب.

7- الباب الجديد فتح سنة 1898 في الجزء الشمالي، ليدخل منه إمبراطور ألمانيا.

وأبرز الأبواب المغلقة (باب الرحمة، وباب التوبة)، وهما بابان كبيران متلاصقان، أغلقا أثناء الحرب الصليبية لأسباب تتعلق بالأمن وهما في الحقيقة باب واحد في وسطه عمود ضخم يرتكز عليه قوسان من صنع بيزنطي ويسميه الفرنجة (الباب الذهبي).

تاريخ القدس قبل الإسلام

تاريخ القدس قبل الإسلام هو تاريخ العرب في هذا القسم من جزيرة العرب، أقصد بلاد الشام التي هي جزء من جزيرة العرب، كما حددناها في مكان سابق.

ذلك أن تاريخ الجنس العربيّ، أقدم من اسم (العرب) الذي أُطلق وعمّم على جميع بطون وقبائل وأفخاذ وشعوب الجنس العربي الذين سكنوا بلاد الشام، ووادي الرافدين، والحجاز واليمن ونجد .. الخ.

ومسايرة لما ذكره المؤرخون الأجانب والعرب، أن أول مَنْ وضع لبنة في بناء القدس هم اليبوسيون وذلك حوالي سنة 3000 ق.م. نؤرخ باليبوسيين لبداية المدينة.

وقلتُ: مسايرة للمؤرخين، لأنني أرجح أن عمر المدينة أقدم من هذا التاريخ. وأثبت في بداية هذا التأريخ أمرين.

الأول: أن التاريخ المقدّر لبداية بناء القدس حوالي سنة 3000 ق.م يدحض مزاعم اليهود وأكاذيبهم وخرافاتهم حول أقدميتهم في القدس. فهم يزعمون - وهم كاذبون - أن بدايتهم كانت من زمن إبراهيم،

وينسبون أنفسهم - كذبًا - إلى إبراهيم دينًا ونسبًا. وقد دحض القرآن هذا الانتماء فقال: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا ﴾ (آل عمران: 67). فهذه المدينة، وفيها المسجد الأقصى، كانت مبنية، قبل التاريخ المقدّر لهجرة إبراهيم إلى فلسطين حوالي 800 ق.م.

الثاني: أن اليبوسيين الذين أعطوا المدينة اسمهم بطن من بطون العرب الأوائل، إنهم من القبائل الكنعانية. وهؤلاء الكنعانيّون، ومنهم اليبوسيون، نشأوا وترعرعوا في بلاد الشام من الجزيرة العربيّة، ولم ينزحوا إلى فلسطين من نجد والحجاز واليمن.. فالقول بهجرة القبائل الكنعانية من نجد والحجاز واليمن، نظريّة أشاعها الأوروبيون واليهود وتبعهم فيها المؤرخون العرب بدون تحقيق.. وهي نظرية مبنيّة على الظنّ، بأن مهد الجنس العربي هو نجد والحجاز واليمن وأن الجزيرة العربية محدودة بحدود نجد والحجاز واليمن.. وأنَّ اللغة العربية الأُم العتيقة التي سماها اليهود (اللغة السامية) نشأت في تلك الديار.. وهذا الظنُّ تفنده الوقائع التاريخيّة والجغرافية، التي تقول: إن بلاد الشام جزء من جزيرة العرب وهي الجزء الشمالي من الجزيرة العربية، وأن الجنس العربيّ نشأ وترعرع في هذه الجزيرة شماليها، جنوبيها، وشرقيها وغربيها وإذا كانت هجرة، فإنها تكون داخل الجزيرة العربية، والهجرة من الجنوب إلى الشمال، ليست مرجحة على الهجرة من الشمال إلى الجنوب، فهذه الجزيرة الواسعة مرت على أجزائها أحوال مناخيّة مختلفة، وإذا كان قد حصل جفاف في الجنوب أدى إلى هجرة إلى

الشمال، فقد ثبت أن جفافًا حصل في الشمال فأدى إلى هجرة إلى الجنوب.. وإذا كانت الأمم والحضارات إنما تنشأ بجانب الأسباب التي تحقق الحياة للناس، فإن الأوْلى أن نقول إن الجنس العربي نشأ في الشام ووادي الرافدين لأنهما الأكثر خصبًا على مدى آلاف السنين، وبالتالي فإن الهجرة للبحث عن مجال أرحب وأوسع، تكون متجهة نحو الجنوب.. والهجرة قد تكون لطلب الرزق، وقد تكون بسبب الحروب، وقد تكون لأسباب أُخرى.

لقد أسس العربُ الكنعانيون - ومنهم اليبوسيون - حضارة عربية ذات طابع خاص، ورد ذكرها في ألواح تلّ العمارنة.. وظهر بينهم مع الزمن ملوك، وبنى أولئك الملوك القلاع والحصون، وأنشأوا حول الحصون أسوارًا.. وذكروا من ملوك يبوس (القدس) ملكي صادق، ومن ملوكهم (سالم اليبوسي) الذي شيّد على جبل صهيون برجًا للدفاع عن المدينة، وكانت على عهده محصنة تحصينًا تامًا.. فاستعصت على كلِّ الغزاة.

وكانت (يبوسُ) ذات أهمية من الناحية التجارية، بل كانت من أنشط المدن الكنعانية، وذلك لأنها كانت واقعة على طرق التجارة التي تربط (حبرون) الخليل، ببيت إيل (بيتين) وفي بيت إيل كانت الطريق تتشعب إلى فرعين: فرع يسير نحو (شكيم) نابلس والآخر صوب أريحا ووادي الأردن.

وكانت ذات أهمية من الناحية الحربية، إذ أنها مبنية على أربعة تلال هي: صهيون (حيّ داود، وحارة الأرمن) وموريا (مكان المسجد

الأقصى) وأوفل (بين سور الحرم وقرية سلوان) وبزيتا (باب حطة وباب الساهرة وما بينهما).

وما لم يذكره المؤرخون أن أهميتها التجارية، جاءت من مكانتها الديفيّة، حيث كان المسجد الأقصى، وكان يقصده النساك والعباد ويزورها الناسُ الذين سمعوا بها للتبرك ببقعتها، وبرجالاتها المجاورين. بل إنه السبب الرئيس في وجود هذا التجمّع السكاني على رأس جبل، ليس فيه عين ماء ولا نهر، ولا ينبتُ فيه الشجر.. وقد حفر اليبوسيون نفقاً تحت الأرض يمكنهم من الوصول إلى (عين أم الدرج) في أيام الحصار..

وعندما أحس أهل يبوس بالتهديد من لصوص الأرض الأفاقين، طلبوا العون من ملوك الفراعنة، ووضعوا أنفسهم تحت حمايتهم، مقابل دفع الجزية لهم، ولم يتوان المصريون في مدّ يد العون، فراحوا يدفعون الأذى عنهم. وهناك بين ألواح تلّ العمارنة التي وجدت في هيكل الكرنك بصعيد مصر لوح يستدل منه على أن (عبد حيبا) أحد رجال السلطة المحلية في (أور سالم) أرسل سنة 1550 ق.م إلى فرعون مصر (تحتمس الأول) رسالة تتضمن خضوعه له، وطلب منه أن يحميه من شرّ قوم من الغجر الرحل دعاهم (الخبيري) فقد كان هؤلاء يهاجمون القدس ولم يكن فيها يومئذ إلا حامية صغيرة. وقد ثبت هؤلاء اليبوسيون في أرضهم، ولم يرحلوا عن ديارهم، مع تتابع الغزاة الأجانب على ديارهم، ربما كان الغزو يقضي على نفوذهم السياسي، ولكنه لم يقض عليهم من الناحية

العرقية والاجتماعية، ويعتقد كثير من المؤرخين أن سكان القرى القائمة حول مدينة القدس في أيامنا هم من بقايا الكنعانيين القدماء، وبقيت دائمًا اللغة العربية الكنعانية هي السائدة في لغة التخاطب بين الناس.. وبقي اسم (اليبوسيين) مستعملا للدلالة على سكان القدس إلى القرن الثالث قبل الميلاد.

واسم (يبوس) قديم جدًا حيث جاء في السجلات الملكية التي كُتبت في عهد أخناتون (1375 - 1358ق.م) واكتشفت في تل العمارنة ولفظه (يابيشي).

القدس في زمن الفراعنة

لابُدَّ من التنويه بدايةً أن سكان أرض مصر القدماء، من زمن الفراعنة، وما قبل ذلك، وما بَعْدَ ذلك، ينتمون إلى الجنس العربيّ (السامي) ولسنا بسبيل البرهنة على عروبة سكان وادي النيل، ولكننا نذكرُ أن قسمًا كبيرًا من أرض مصر، يدخل في حدود الجزيرة العربية كما حدّها الجغرافيون العرب، إذْ جعلوا نهر النيل هو الحدّ الغربي، وهو الذي جعل بلاد العرب تأخذ اسم جزيرة، كما نذكر أن الحدود المائية لا تمنع من انتقال الناس من ضفة إلى أخرى، وخصوصًا أن نهر النيل ليس بالحاجز المائي الواسع.. وبناءً عليه نقول: إن سكان مصر على الضفة الغربية من النهر هم قوم من العرب أيضًا، ولا نحدُّ ذلك بتاريخ الفتح العربي الإسلامي، وإنما نجعل عروبتهم ثابتة قبل الميلاد بآلاف السنين. وأما القول بأن المصريين من الجنس (الحامي) الأفريقي، فهذا من تقسيمات كتبة التوراة الذين أخرجوا المصريين والكنعانيين من الجنس (السامي) لما في نفوسهم من الحقد والعداوة لهذين الشعبين العربيين. كما أن القول بأن مصر فرعونية، وإخراج الفراعنة من الجنس العربي دعوة تغريبيّة يهوديّة تحقد على العرب والمسلمين.

أما اتصال المصريين الفراعنة بالقدس، فهو قديم يرجع إلى سنة 3235 ق.م عندما فتح فرعون مصر بلاد الشام، ولكن الشواهد الدالة على صلة الفراعنة بالقدس جاءتنا من سنة 1550 ق.م حيث عثر المنقبون بين ألواح تلّ العمارنة على رسالة أرسلها حاكم القدس المدعو (عبد حيبا) إلى فرعون مصر تحتمس الأول، يطلب منه أن يعينه على صدّ غارات المعتدين، فجاء هذا لنجدته، واكتسح البلاد،وكان آخر انتصار له في مجدو (تل المتسلم من أعمال جنين) التي استولى عليها واصبح الكنعانيون خاضعين لمصر.

ويُفهم من ألواح تلّ العمارنة أن فرعون مصر تحتمس الثالث (1479 - 1447 ق.م) قد وطد الحكم المصري في فلسطين وأن السيادة المصرية دامت مائتي عام. وفي عام 1413 ق.م بعث أمير يبوس رسوله برسالة إلى فرعون مصر (أمنحتب الثالث) ليخبره أنَّ أُمة معادية قد استولت على أغلب المدن الكنعانية.. وعثر المنقبون على ثماني رسائل بهذا المعنى أُرسلت من يبوس.

وكان المصريون قد اتخذوا يبوس مخفرًا أماميًا لقربها من البادية فكان لهم فيها قشلاق كبير وجُند كثيرون وموظفون وجُباة وجاء اسم (يبوس) في السجلات الملكية التي كتبتْ في عهد أخناتون (1375 - 1358ق.م) وجاءَت بلفظ (يابيشي) .

القدس في الألف السابقة للميلاد

لم ينقطع النفوذ المصري الفرعوني، في مدة الألف السابقة للميلاد، ولكنه كان يتراوح بين المدّ والجزر.. لأن الصراع بين ملوك مصر، وملوك وادي الرافدين، على منطقة بلاد الشام بقي مستمرًا، كلاهما يريد أن تكون تحت نفوذه، لتكون حاجزًا بين الخصم، ومركز الحكم.. وهي في الوقت نفسه منطقة خيرات وفيرة، ويحتاج إليها كلا الطرفين. وألخص تاريخ القدس في هذه المدة في النقاط التالية:

1- بقي العربُ اليبوسيّون في مدينتهم، ولكنَّ ولاءَهم السياسي كان موزعًا، حينًا يتبعون للنفوذ المصري، وحينًا لإحدى دول منطقة الرافدين.. فقد احتلَّ شيشاق ملك مصر القدس عام 970 ق.م.. واحتلها المصريون أيضًا عام 610 ق.م وجاء فرعون آخر سنة 590 ق.م وتحالف مع سكان فلسطين للقيام بثورة على ملك بابل، ولكن الغلبة كانت لبابل، فافتتح نبوخذ نصّر القدس عام 856 ق.م.

2- وخضعت فلسطين للآشوريين عام 732 ق.م، ثم جاء الكلدانيون، أو البابليون بقيادة بختنصّر فأخذ القدس سنة 586 ق.م.

3- ثم خضعت للنفوذ الفارسي ما بين 538 - 332 ق.م.

4- ثم جاء اليونان بقيادة الإسكندر المقدوني، فحكموا البلاد ما بين 332 - 63 ق.م.

5- قد يقول قائل: وأين داود وسليمان، وقد قاربت الكتبُ مدة وجودهما في المائة الأولى من الألفية السابقة للميلاد؟

الجواب: إنَّ تاريخ القدس، لا يعرف رجلين أو ملكين عاشا في القدس، في هذه المدة أو في غيرها يحملان هذين الاسمين. فالكتب التي تنقلُ أن داود، وابنه سليمان عاشا في القدس، إنما تأخذ عن كتاب اليهود المسمى (التوراة) ولا يوجد لخبرهما مصدر آخر غير التوراة وقد اتفق المؤرخون الموضوعيّون أن الأحداث التي وردت في التوراة خرافية وأسطوريّة، وهي من نسج الخيال فداود وسليمان - إن كانا النبيين المذكورين في القرآن - نؤمن بوجودهما على وجه الأرض، بالصفة التي ورد ذكرها في القرآن وكلّ زيادة على ما جاء في القرآن، فهي خرافة من اختراع اليهود.. وليس في القرآن تحديد لمكان وجودهما، وليس هناك إشارة أو إلماحة إلى وجودهما في القدس. ويؤيد نفي وجودهما في القدس علمُ الآثار الذي نقّبَ، وحفر، وغربل، ثم نخل، فلم يجد ذرة واحدة تدلُّ على وجودهما في القدس.. ولم تذكر السجلات المصرية أو سجلات وادي الرافدين شيئًا عن هذين الملكين، والزمن المفترض لوجودهما هو زمن قوة فراعنة مصر، وملوك وادي الرافدين.. وأخبار اليهود الكاذبة تزعم أنهما كانا ملكين، وكان لهما نفوذ وجيوش وفتوحات وعمران.. ومن

البديهي أن يتصارعا مع هاتين القوتين العظميين في ذلك الزمان.. فلماذا لم يسجل التاريخ هذا الصراع؟!

وأنت إذا قرأت قصة سليمان والهدهد، وقصته مع ملكة سبأ، كما جاءَت في القرآن، تتيقن أن سليمان كان في ناحية من نواحي اليمن، ولم يكن في فلسطين..

يقول علماء التاريخ والآثار، إنَّ قصة داود وسليمان كما جاءَت في التوراة، مأخوذة من التاريخ المصري: فالشعار التوراتي من (النيل إلى الفرات) هذا الوعد الذي أعطاه الله لنسل سارة، ما هو إلا حدود الإمبراطورية المصرية في مرحلة تاريخية معينة، حيث كانت تشمل مصر، والشام والعراق إلى حدود الفرات.

وقصة دخول (داود) إلى القدس هي قصة دخول تحتمس الثالث إذ ليس هناك في الآثار ما يثبت أن داود دخل القدس. فالقدس حوالي سنة 1000 قبل الميلاد كانت قرية صغيرة.. وليس في القدس أو فلسطين أو آثار وادي النيل والرافدين ما يشير إلى وجود داود أو سليمان.. ولم ترد الإشارة إلى داود بني إسرائيل التوراتي بالاسم أو الكتابة، خارج كتاب (التوراة) ولم يستطع الآثاريون أن يجدوا الدليل على وجود داود في القدس في الآثار. ولهذا قالوا: إن قصة دخول داود التوراة إلى القدس استعارها كتبة التوراة من حياة تحتمس الثالث بعد إجراء التعديلات عليها وأدخلوها في قصتهم.

وأن قصة سليمان وحكمه وتعدد زوجاته وبناءَ الهيكل تنطبق على أمنحتب الثالث، قبل الزمن المفترض لوجود سليمان بخمسمائة سنة. ولقد كانت في شمال قلعة القدس حامية مصرية وكلّ الدلائل تشير إلى أن الملك المصري هو الذي بنى معبدًا هناك، وأن التفاصيل التي ذكرت حول هيكل سليمان تتفق مع التفاصيل التي وردت عن أشكال المعابد المصرية التي بناها الملك المصري في بيسان ومجدو، وحاصور.

وجاء الكشف عن القصر الذي بناه أمنحوتب غرب الأقصر، يؤكد أنه كان مكونًا من البيوت نفسها التي ورد ذكرها في قصة سليمان، وما زال خشب الأرز اللبناني قائمًا هناك إلى يومنا هذا.

ورجحوا أنَّ كلمة (صهيون) ذات أصل مصري وهي (صاأون) وكانت (أون) أو (عيون) تطلق على (عين شمس) ثم أُطلقت على طيبة، وكانت القدس في القائمة المصرية تسمى (قادش) ثم بات يطلق عليها (أورشليم) بعد أن دخلها تحتمس سلمًا ثم أُطلق عليها (صاأون) أي: المدينة المقدسة للبرية، وسميت بذلك لأنها تقع في منطقة جبلية خارج الحدود المصرية.

القدس قبل الإسلام في القرن الميلادي الأول

أ) القدس أيام الرومان 63 ق.م - 395 م:

الرومان: منسوبون إلى (روما) التي أسسها اللاتين في القرن الثامن قبل الميلاد، وأصبحت في القرن الثالث قبل الميلاد سيدة البلاد الإيطالية.. ثم أخذ الرومان يوسعون نفوذهم إلى خارج بلادهم.. فاتجهوا نحو شمال أفريقيا، ودارت حروب بينهم وبين مملكة قرطاجنة العربية الفينيقية في بلاد تونس اليوم. ودامت الحرب أكثر من مائة عام (264 - 146 ق.م) كان من نتائجها سقوط قرطاجنة وانتشار النفوذ الروماني في شمال أفريقيا، ثم تطلع الرومان إلى الشرق، فاستولوا على الأقطار التي كان يحكمها خلفاء الإسكندر المقدوني، ففتحوا مقدونيا وبلاد اليونان واستولوا على قسم كبير من آسيا الصغرى ثم تقدموا نحو سوريا، وتمّ لهم الاستيلاء عليها عام 63 ق.م على يد القائد بومبي.. وعُدّت سوريا الجغرافية ولاية رومانية عاصمتها أنطاكية.

وبعد الفتح، غادرها بومبي بعد أن أقام حاكمًا عامًا على سوريا اسمه (إسكارس) ثم تولى بعده (انتيباتر) الآدوميّ الأصل ولما مات انتيباتر تسلم زمام الإدارة في القدس ابنه (فصايل)، وكان أخوه

هيرودوس واليًا على الجليل.. ثم أصبح هيرودوس الحاكم العام في بلاد فلسطين.. ومن آثاره في القدس أنه بنى القلعة الكائنة بباب الخليل، وبنى حولها ثلاثة أبراج، والحجارة الضخمة التي نراها اليوم في أساسها من بنائه، وكان له بجانب القلعة قصر كبير، وبنى حصن أنطونيا، تعظيمًا لصديقه مارك أنطونيوس.

وفي آخر سنة من سنيّ حكمه وُلد السيد المسيح.. وبعد موت هيرودوس، تسلم الحكم ابنه (أرشيلاوس) عام 4 ق.م ولكنه عجز عن إدارة البلاد، وسادت الفوضى.. فكانت النتيجة أن أبقى الرومان جنودهم في أورشليم (القدس) وألحقوا فلسطين بسوريا، وجعلوها ولاية تابعة لمملكتهم، واتخذوا (قيسارية) عاصمة لوُلاتهم، لقربها من البحر. وعلى هذا انقلب الحكم الروماني من استقلال داخلي إقطاعي إلى نظام استعماري، وراح الحكام الرومانيون يتعاقبون على الحكم على هذا الأساس..

ومن هؤلاء الولاة بونتيوس بيلاطس (26 - 36م) ويسميه العرب بيلاطس البنطي. وكان هذا الوالي حاكمًا وقائدًا عامًا وجابيًا للضرائب، وعلى عهده كانت قصة (صلب المسيح).

ب) مولد السيد المسيح ومحنته:

لقد ترجح عندي أنَّ ولادة المسيح عيسى في الناصرة، أو في ضواحي الناصرة وليس في بيت لحم المقدسية.. لأن القصة، أو القصص التي ذُكرت مرافقة لولادته في بيت لحم ليست ثابتة تاريخيًا.. فمريم أُم

عيسى كانت تسكن الناصرة وهي من مواليد الناصرة، وكان أهلها يسكنون الناصرة، وكان يوسف النجار يعمل في الناصرة..

وإنجيل لوقا يذكر في سبب ولادة عيسى في بيت لحم المقدسيّة، أنها ذهبت مع يوسف النجار لإحصاء نفسها مع قبيلتها في بيت لحم، بوصفها من نسل داود.. فولدت هناك..

وعلى فرض صحة وقوع هذا الإحصاء لأهل المملكة السوريّة فليس من المعقول أن تسافر امرأة حامل في شهرها الأخير إلى بيت لحم، من أجل الإحصاء، وهي تبعد عن الناصرة حوالي 140 كم.. مع أنَّ التخلف عن هذا الإحصاء لا يترتب عليه عقوبة من الحاكم الآمر، وكان يمكن أن ينوب عنها في الإحصاء رفيق طريقها يوسف النجار كما تقول الرواية.. ثم إنّ نسبة مريم إلى داود ليس فيها رواية صحيحة، فهي مريم ابنة عمران، وآل عمران، أُسرة عربية كانت تسكن الجليل، اصطفاها الله على العالمين، فكان منها الصالحون الدعاة إلى الله.

وإنجيل متّى يذكر قصة المجوس الذين جاءوا إلى أورشليم سائلين عن المولود الذي ظهر نجمه في المشرق.. الخ.. وهي قصة لا يُعوّل عليها..

قلتُ: المرجح أن تكون الولادة في (الناصرة) أو في (بيت لحم) القرية التي تقع في جهات الناصرة، حيث البيئة المناسبة لوجود النخلة التي جاءَها المخاض عندها، وهزتها فتساقط عليها رطبها، وحيث النهر السريّ الذي أجراه الله لها.. أما بيت لحم المقدسية فلا نخل فيها ولا نهر.. وكيف يكون نخل ونهر إذا كانت الولادة في مغارة.

قلت: أرجح أن تكون الولادة في الناصرة، ولستُ من أهل الناصرة لأتهم بمزاحمة أهل بيت المقدس على شرف المكان الذي ولد فيه عيسى.. وقلت: في الناصرة وأنا أعلم أن كلامي لن يغير من الواقع شيئًا، فقد مضى اليوم ألفا سنة على الولادة، ومضى أكثر من 1500 سنة على بناء كنيسة المهد، ووطّن الناسُ أنفسهم على أن الميلاد في بيت لحم المقدسيّة، ولو ثبت فيما بَعْدُ صحة ما قيل وبنيت كنيسة المهد في الناصرة، ما تحوّل الناسُ إليها. ولا مانع من إقامة المعابد التي تضاف إلى الأنبياء والصالحين على الاسم، أو على الظنّ والتوهم، كما تقام مقامات الأنبياء والصالحين.. والله أعلم.

هبط السيد المسيح القدس، وكانت على عهده تدعى (أورشليم) هبطها مرة في صغره، وثلاث مرات بعد نشْر رسالته: الأولى في الثامن عشر من شهر أكتوبر سنة 28 م والثانية: بعد ذلك بشهرين. وفي الثالثة اعتقل وسيق إلى المحاكمة وكانت قصة الصلب.

والشائع عند الناس أن الذي اعتقل عيسى وصلبه (أو همّ بصلبه) هو الوالي الروماني (بيلاطس). بيلاطس البنطي، ولكن الحقيقة أن ما أصاب المسيح من التعذيب، كان اليهود هم السبب فيه وليس الوالي الروماني، ولا الرومان.. فالمسيح لم يكن ينافس الرومان على سلطتهم الدنيوية، ولم تكن تعاليمه سياسية، ولم يكن يستهدف بنشرها السلطة الرومانية التي كانت تسيطر على البلاد، وإنما كان يتوخى إصلاح المجتمع الذي يعيش فيه. إنه كان يكره اليهود ولا يأتمنهم على نفسه

وكثيرًا ما كان يقول: الخلاص هو من اليهود... إن الحرية التي منحها الوالي الروماني لعيسى أغاظت أغنياء اليهود ورؤساءَهم، لأنه كان يشدد النكير عليهم ويكثر من لومهم وتقريعهم، قائلاً لهم: (أنتم تظهرون أمام الناس بمظهر حسن وأما من الداخل فإنكم مملوؤون مرارة ومقتًا).. وظلَّ اليهود يدسون الدسائس وينصبون له المكائد، وكانوا السبب فيما جرى له، وما هو بأول ولا آخر مَنْ عمل اليهود على مناوأته من المصلحين..

يقول المسيحيون إن عيسى قد صُلب حقيقة، ويقول القرآن: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ (النساء: 157) واختيار أنه لم يصلب ترفع عيسى مقامًا عليًا أكثر من القول بصلبه، وسياق حياته تدلُّ على ذلك: فمولده كان معجزة، وأعطاه الله المعجزات الماديّة، فلماذا لا يكون آخر وجوده في الدنيا معجزة أيضًا. وخصوصًا أن النصارى يجعلون فيه جزءًا من الإله، فهو (ابن الله) عندهم،وطبيعة الألوهية تقضي أن يعجز البشر عن التغلب على الإله أو جزء الإله.. والقول بنفي الصلب يغيظ اليهود أعداء عيسى، لأنه فلت من أيديهم، فلم يشفوا غليلهم منه..

هذا، ولابُدَّ من القول: إنَّ المسلمين يجلّون السيد المسيح ويرفعونه إلى أسمى درجات الرفعة والحب، ويعدّون مَنْ ينكر نبوة عيسى كافرًا. وقد يصل إجلال المسلمين لعيسى وأمه حدًا يقصّر عنه الكثيرون من أتباع المسيح..

والقرآن يقول: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ (المائدة: 82) .

ومع ذلك فليس للمسلمين نصيب من مودّة النصارى أو أكثرهم وخصوصًا أهل أوروبا وأمريكا..

فالمسلمون يؤمنون بعيسى، ويرفعونه وأمه مكانًا عليًا وأما اليهود فهم ينكرون نبوة عيسى، وينعتون أُمه بأقذع النعوت، هذا دأبهم في القديم، وما زالوا على قديمهم لم يرجعوا عنه.. ومع ذلك فإن الودّ كلّ الودّ يكون لليهود،والعداوة كلّ العداوة منصبة على المسلمين.. فحال الأوروبيين والأمريكان ينطبق عليه قول المغني (بفكّر في اللي ناسيني، وأنسى اللي فاكرني) وحسبنا الله ونعم الوكيل.

جـ) القدس في العهد الروماني بعد المسيح:

بعد قصة صلب المسيح عُزل بيلاطس البنطي، وكانت فلسطين يومئذ تابعة لسورية، وكان في سورية والٍ روماني يدعى (ويتلوس) فأرسل هذا (مرشلوش) خلفًا لبيلاطس ويظهر أن (هيرودوس اغريبا) حفيد هيرودوس الكبير - وكان حاكمًا في الجليل، قد جاء إلى القدس وطمع في امتلاك زمام الأمور فيها ليسترجع مجد جدّه الأكبر، فنال مبتغاه وازدهرت القدس على عهده (37 - 44م) فبنيت فيها القصور الشاهقة والأروقة

الفخمة والمسارح الضخمة.. وشرع في تجديد بناء السور وأدخل فيه المكان المعروف بالجلجلة.. وتتابعت أحداث الفوضى التي كان يحدثها اليهود، وكانت لهم حروب مع الرومان ابتدأت عام 66م وانتهت 70م حيث تولى (طيطوس) قيادة الجيش الروماني، ودخل القدس، وأعمل فيها الحرق والقتل، وأحرق المعبد الذي بناه هيرودوس، ولم يبق منه حجر على حجر، وأصبحت المدينة قاعًا صفصفا، وحرم على اليهود دخول القدس..

وفي سنة 115م عاثت عصابات اليهود مرة أُخرى في القدس فسادًا وكرروا ذلك سنة 132م إلا أن الإمبراطور هدريان تمكّن سنة 135م من القضاء على فلول العصابات اليهودية ودمّر أورشليم وحرث موقعها، ومنع اليهود من دخول القدس والسكن فيها والدنوّ منها، وسمح للمسيحيين أن يقيموا بها على ألاّ يكونوا من أصل يهودي وسمى المدينة (إيليا كابيتولينا) مشتقة من اسم أسرة هدريان المدعوة (إيليا).

وهكذا فقد دمّر الرومان أورشليم مرتين،الأولى سنة 70م على يد طيطس، ومرة ثانية عام 135م على يد هدريان الذي حرثها ومسحها من عالم الوجود، وانقطعت صلة اليهود بها مدة تسعة عشر قرنًا متوالية، فلم يسكنها بعد عام 135م ولمدة ألف سنة يهوديّ واحد. كما لم يكن بها في القرون الخمسة التي تلت المدة المذكورة أكثر من خمسين يهوديًا.

د) القدس في العهد البيزنطي:

(البيزنطي) نسبة إلى (بيزنطة) أو (بيزانس) التي قامت على أنقاضها مدينة القسطنطينية عام 330م. وكانت الدولة الرومانية قد

انشقت إلى مملكتين المملكة الغربية وعاصمتها روما، والمملكة الشرقية وعاصمتها بيزنطة.. وكان قسطنطين قد وحّد المملكتين تحت زعامته. وفي سنة 326هـ نقل العاصمة من روما إلى بيزنطة، ليجعلها عاصمة للمسيحيّة حيث كانت روما غارقة في الوثنية.وكان الرومان يضطهدون المسيحيين، ولما تولى قسطنطين الملك، أعطى للرعية حرية الاعتقاد، ثم تنصّر قسطنطين، وجعل المسيحية الديانة الرسمية للدولة.. وتنصرت أُمُّه (هيلانة) وجاءَت إلى القدس للعثور على مواقع الحوادث المهمة في حياة المسيح، ولبناء الكنائس تذكارًا لها، وأمرت بهدم هيكل المشتري والتماثيل التي أقامها هدريان، وقامت ببناء كنيسة القيامة التي يعتقد المسيحيون أنها ضمت قبر المسيح قبل رفعه إلى السماء وتمَّ تدشينها سنة 335م.

وقد ذكر بعض المؤرخين أن هيلانة وجدت الخشبة التي صُلب عليها المسيح، أو مَنْ شُبِّه لهم أنه المسيح،ووجدت جبل الجلجلة (الصخرة التي صُلب عليها المسيح) والقبر الذي دُفن فيه. وآخر ملوك بيزنطة الإمبراطور هرقل (610 - 641م) وفي عهده زحفت جيوش كسري، ملك الفرس سنة 613م غربًا وبعد الاستيلاء على سوريا زحفت إلى فلسطين، وفي سنة 614م احتلّ الفرسُ القدس، وذبحوا 90.000 ألف مسيحيّ وأقدموا على هذه الغزوة بتحريض من اليهود الذين كانوا يتوقون للانتقام من المسيحيين، فهدموا كنيسة القيامة، كما هدموا معظم الكنائس والأديرة التي كانت في القدس..

ولكن هرقل عاد فجمع قواه وطرد الفرس، وأعاد القدس، ودخل هرقل المدينة في 629/9/14م.

وكان انتصار الروم على الفرس، وعْدًا من الله، بنصرة أهل الكتاب على أهل الشرك.. فقد جاء في السيرة النبويّة أن خبر هزيمة الروم سنة 614م وصل إلى أهل مكة، فقالوا للمسلمين: تزعمون أنكم أهل كتاب من عند الله، وأن النصر سيكون حليفكم، هاهم الروم أهل الكتاب قد هزموا أمام الفرس المجوس.. فقال الله تعالى:

﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الروم: 1-5) .

وقد تحقّق وعْد الله، وانتصر هرقل، وفرح المسلمون يومئذٍ بهذا النصر.. وهذه الآيات من سورة الروم، تدلُّ على أن القرآن من عند الله تعالى، لأنها نزلت قبل انتصار هرقل بأربع عشرة سنة، تخبر بما سيكون، وتحقق ذلك كما قال الله تعالى وأثبت تاريخ الروم هذه الواقعة، كما أخبر عنها القرآن.

هذا، وفي زمن احتلال الفرس لمدينة القدس، حدثت قصة الإسراء إلى المسجد الأقصى، والمعراج من القدس إلى السماء، وفيها تحدّ للفرس المجوس بأن دين الله سوف ينتصر، ويثبت أقدامه في القدس، وأنه ليس للوثنية مكان في بيت المقدس... وفي أثناء وجود هرقل في القدس للاحتفال بالنصر، صادف ذلك هدنة الحديبية التي توقف

القتال فيها بين المسلمين وقريش وفي هذه المدة كتب رسول الله الرسائل إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، فجاءَ كتاب النبيّ ﷺ ، إلى هرقل وهو في القدس، وروى البخاري في صحيحه قصة الكتاب في البابِ الأول من كتاب (الوحي). ولكن إقامة الروم في القدس لم تدم طويلاً، حيث استولى عليها العرب المسلمون عام 636م.

الفتح العربي الإسلامي للقدس

نزل القرآن باللسان العربي على نبيّ من العرب، ليدعو قومه العرب إلى الدين الجديد. فالخطاب موجّه إلى العرب أولاً، وإلى الأمم الأُخرى ثانيًا، وقال تعالى لنبيه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء: 214) ولذلك خاطب قريشًا أولاً، ثم اتسعت الدائرة لتشمل العرب جميعًا.. وكانت بلاد الحجاز ونجد واليمن، عربية صريحة ليس لغير العرب سلطان عليها وأما بلاد الشام فكانت عربية محكومة من الروم، فأراد الله أن ينبه المسلمين إلى أنها مشمولة بالخطاب الأول، وأن وجود الروم فيها لا ينفي عروبتها، فأسرى الله بنبيه محمد من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في القدس، وأشار إلى أن ما حول القدس هو كالقدس أيضًا في قوله ﴿ بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ (الإسراء: 1). وفُرضت الصلاة ليلة الإسراء إلى المسجد الأقصى، وتوجه المسلمون في صلاتهم إلى بيت المقدس.. ومنذ السنة السابعة من الهجرة أخذ رسول الله يحرر الطريق إلى القدس: ففتح خيبر في السنة السابعة وفي السنة

الثامنة كانت غزوة مؤتة في عُمْق بلاد الشام وفي السنة التاسعة كانت غزوة تبوك، وأعدّ الرسول جيشًا بقيادة أسامة بن زيد ليتوجه إلى الشام.. وفي السنة السادسة أرسل النبيُّ كتابًا إلى هرقل وهو بالقدس، يدعوه إلى الإسلام.. وفي الأحاديث النبويّة دعوة المسلمين إلى شدّ الرحال إلى المسجد الأقصى بالقدس (لا تُشدُّ الرحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد المدينة والمسجد الأقصى).

كل هذه الشواهد تدلُّ على أن القرآن، وأحاديث النبيّ وسيرته العملية. توجه المسلمين إلى أن يضعوا فتح القدس من أهدافهم.. لأن القدس بلد عربي وجل أهله من العرب، ذلك أن بلاد الشام قد سكنها العرب الصرحاء باسم (العرب) وأن اللهجة العربية الصريحة قد شاعت في بلاد الشام قبل الإسلام بقرون عديدة، بل قبل الميلاد بقرون متطاولة.. والدليل على عروبة أهل القدس وأهل الشام وأن اللسان العربيّ شائع فيها أن الشاعر الأعشى كان يقصد القدس وبلاد الشام ليمدح أهلها وينال المال منهم، فقال:

وطوّفــــتُ لــــلمال آفاقـــه عُمان فحمصَ فأوري شلم

كما أن حسان بن ثابت كان يقصد بلاد الشام ويمدح الغساسنة وينال عطاياهم.. ناهيك عن أن الشعوب والقبائل التي سبقت وعاصرت العربية الصريحة، كانوا من العرب، ويتكلمون لهجة عربية،وإن لم تكن العربية القرشية القرآنية.. من العرب نذكر الكنعانيين واليبوسيين، والآراميين، والأنباط.. ولهذا كانت بلاد الشام من أوائل البلاد التي أعدّ

لها أبو بكر الصديق الجيوش لفتحها بعد القضاء على فتنة الردّة.. وصلت الجيوش الإسلاميّة إلى الشام في عهد أبي بكر، ولكن الفتح قد اكتمل في عهد عمر بن الخطاب..

حاصر المسلمون القدس شهورًا.. ثم قرر أهل القدس الاستسلام ولكنهم اشترطوا أن لا يسلموا القدس إلا لشخص الخليفة عمر بن الخطاب فجاء عمر إلى القدس، وكتب لهم الأمان التالي سنة 15هـ / 636م: (بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى عمرُ أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان. أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم.. أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا مِنْ شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم ولا يُضارُ أحد منهم.

ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يُعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم..).

وبعد أن تم الفتحُ خطّ عمرُ للناس مسجدهم في جزء من موقع المسجد الأقصى القديم، سيرد مفصلاً في فصل خاص، وقبل عودة عُمر إلى الحجاز أقام عُمر على بيت المقدس يزيد بن أبي سفيان على أن يأتمر بأمر أبي عبيدة بن الجراح القائد العام لجيوش الشام، وانتدب للصلاة بالناس سلامة بن قيصر وأما من الناحية العسكرية فقد أمّر على فلسطين رجلين فجعل علقمة بن حكيم على نصفها الشمالي وأنزله الرملة وعلقمة بن مجزز على نصفها الجنوبي وأنزله إيلياء (القدس).

وأما قصة دخول عُمر كنيسة القيامة بصحبة البطرك، وأن البطرك أذن لعمر بالصلاة فيها، وأن عُمر رفض الصلاة فيها لئلا يضع المسلمون الأيدي عليها.. الخ.

فهذه قصة ليس لها سندٌ، ولا تصح روايتها عن عمر بن الخطاب، لما روى البخاري في كتاب الصلاة باب (الصلاة في البيعة) (وقال عمر: إنّا لا ندخل كنائسكم من أجل التماثيل التي فيها والصور) وفي كتاب (فتح الباري) جـ1 / 531 (لما قدم عمرُ الشام، صنع له رجل من النصارى طعامًا، وكان من عظمائهم، وقال: أُحبُّ أن تجيئني وتكرمني، فقال له عمر: إنا لا ندخل كنائسكم من أجل الصور التي فيها) فإذا كان دخول الكنيسة لما فيها من الصور غير جائز، فإنّ منْع الصلاة في الكنيسة من باب أوْلى.. وخصوصًا الكنائس التي فيها الصور. قال البخاري: وكان ابن عباس يصلي في البيعة (الكنيسة) إلا بيعة فيها تماثيل.

وليست التماثيل هي المانعة من الصلاة في الكنيسة،وإنما وجود القبر في المعبد، سواء أكان كنيسة أو مسجدًا، يمنع الصلاة. وفي كنيسة القيامة قبر، وليس أيّ قبر، وإنه قبر عيسى، المختلف في قصته بين النصارى والمسلمين: فالنصارى يقولون إنه صُلبَ ومات، وقبر، ثم رُفع إلى السماء، والمسلمون يقولون: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ (النساء: 157) ولكن رفعه الله إليه حيًا.. وقصة دخول عمر في كنيسة

القيامة، لم تروها كُتبُ التاريخ العربية القديمة، وما رأيتُها إلا في الكتب الحديثة، ويبدو أنهم أخذوها عن المصادر المسيحيّة. ويبدو أنها من اختراع المصادر الكنسية لتكون حجة في أيديهم يظهرونها، إذا فكر حاكم مسلم جاهل أن يستولي على الكنيسة، أو يجعل للمسلمين حصة فيها.. مع أن حقّ النصارى في كنائسهم، محفوظ بالنصوص الشرعية الصحيحة، وبالعهد الذي كتبه عمر لنصارى القدس. والله أعلم.

وقد وُضعت أخبار كثيرة ونسبت إلى عُمر بن الخطاب يوم زار القدس بعد فتحها، أخبارٌ وضعها المسلمون والنصارى، وهي أخبار ساقطة متنًا وسندًا.. من ذلك ما نقله العُليمي في كتاب (الأنس الجليل) جـ1 / 254، أن نصارى الشام كتبوا على أنفسهم شروطًا أقرها عمر بن الخطاب.. وفيها (ولا نعلم أولادنا القرآن.. وأن نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا إذا أرادوا الجلوس ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم.. ولا نتكلم بكلامهم، ولا نتكنى بكناهم ولا نركب السروج، ولا نتقلد السيوف، ولا ننقش على خواتمنا بالعربية.. وأن نجز مقادم رؤوسنا..الخ..).. وهو كتاب طويل لا تصحُّ روايته، ولا تصحُّ الأحكام التي وردت فيه، بل هي من اختراعات المتأخرين، يوم تخلف المسلمون عن اتباع الدين الصحيح واكتفوا بالعصبية الدينيّة القائمة على الجهل..

ونقل عارف العارف في كتاب (المفصل) نصّ كتاب، نشرته البطريركية الأرثوذكسية في القدس سنة 1953، وزعمت أنه كتاب عمر إلى نصارى القدس.. يوم الفتح، وكان المقصد منه إظهار ما للروم من

حقّ التقدم على الطوائف المسيحيّة الأخرى.. وهو نصٌّ يخالف نصّ العهدة العمرية التي روتها كتب التاريخ وعند تحليل نصه، تبيّن أنه موضوع في العصر التركي.. فانظره ص91 من كتاب المفصل.

القدس بَعْدَ الفتح العمري

وقَبْل الغزو الفرنجي الصليبي

ثلاثة أحداث أعطت القدس مكانة مرموقة في التاريخ العربي الإسلامي:

الحدث الأول: الإسراء بالنبي محمد ﷺ من مكة إلى القدس والعروج منها إلى السماء، وفرض الصلاة على المسلمين في هذه الليلة.. وتوجّه المسلمين في صلاتهم إلى بيت المقدس. فحادثة الإسراء والمعراج أعطت القدس قيمتها في نفوس الصحابة بعد رسول الله، فحرصوا على أن تكون المدينة وما حولها بيد العرب المسلمين، ليتيسر للمسلمين تنفيذ وصية رسول الله بأن يكون المسجد الأقصى أحد ثلاثة مساجد تُشدُّ إليها رحال المسلمين للصلاة فيها. والصلاة التي هي صلة بين العبد والربّ، توجب على المسلمين أن تكون قلوبهم موصولة بالقدس، وأن يتذكروا المسجد الأقصى كلما وقفوا بين يدي ربّهم..

والحدث الثاني: مجيء عمر بن الخطاب إلى القدس ودخولها سلمًا، وإعطاء الأمان لأهلها، والصلاة في مسجدها الأقصى وبهذا يكون

المسلمون قد نفذوا وصية رسول الله بفتحها، وجعل مسجدها ثالث الحرمين..

والحدث الثالث: تجديد بناء المسجد الأقصى بأمر من الوليد بن عبدالملك مما شجع المسلمين على شدّ الرحال إلى القدس وإعمارها والإقامة فيها.. ولعلّ هذا البناء هو الذي أعطى القدس مكانتها في نفوس الخلفاء والحكام فيما بعد، فزارها بعضهم للصلاة في المسجد، وإصلاح ما أصابه من العطب مع تقادم الزمان.

بقيت القدس بعد حادثة بناء المسجد، بعيدة عن سير الأحداث الكبرى التي تجري في الدولة الإسلاميّة.. لقد دام حكم الأمويين بعد حادثة البناء أكثر من أربعين سنة، ولا نعرف أن خليفةً أمويًا شدَّ الرحال إليها.. ولم يذكر التاريخ أن الوليد بن عبدالملك الذي أمر ببناء المسجد، قد زار القدس للاطلاع على ما أمر ببنائه.. ويذكرون أن سليمان بن عبدالملك جاءَته الخلافة وهو في (الرملة) عاصمة جُنْد فلسطين، فأتى بيت المقدس وأتته الوفود بالبيعة فكان يجلس في قبة في صحن مسجد بيت المقدس مما يلي الصخرة، ويبسط ويجلس الناس حوله على الكراسي والوسائد، وإلى جانبه الأموال، وكُتّاب الدواوين، وقيل: إنه هَمَّ أن يحوّل عاصمته من دمشق إلى الرملة أو القدس ثم عدل عن ذلك.

وليته فعل (وهل تنفعُ شيئًا ليت) فلو فعل ذلك لعُدَّ عندي من أعظم ملوك بني أُميّة وبني العباس. لو جعل القدس عاصمة، لكانت سنة لمن بعده، وإذا لم تكن عاصمة دولة، فإنها تكون عاصمة إقليم.. ولو

صارت عاصمة دولة، أو عاصمة إقليم لكثر فيها الناس، وما كانت تبقى محصورة بين الأسوار القديمة وما كانت تبقى ضواحيها ومرابضها خالية من العمران والسكان وما كان الغرباءُ يجدون أرضًا حولها يبنون فيها منشآتهم.. لقد بذلتْ الأمم والدول التي تقدس أرض القدس، أضعاف أضعاف ما بذله المسلمون من الأموال لإعمار القدس.. إن الوجود العربي الإسلامي في القدس كان بدافع ذاتي، وبذل فردي، وكان جلّ ما بذله الحكام المسلمون قاصرًا على بقعة المسجد الأقصى لقد أخطأ حكام المسلمين في حرمان القدس من أن تكون عاصمة دولة، أو عاصمة إقليم..

وتروي بعض كُتب التاريخ - ولستُ متأكدًا من صحة روايتها - أنه كان في المسجد الأقصى، بعد تجديد بنائه في زمن الوليد، عدد من اليهود، للخدمة في المسجد الأقصى، مقابل إسقاط الجزية عنهم.. فلما ولي عمر بن عبدالعزيز، أخرجهم، وجعل فيه من الخمس، يعني (العبيد) الذين يؤخذون غنيمة في الحرب. وأنا أشك في هذا الخبر لأنهم يذكرون أن الذي تولى الإشراف على البناء، والترتيبات الإدارية في المسجد، هو رجاء بن حيوة. وهو محدّث ثقة وفقيه كبير.. ولابُدَّ أنه اطلع على كتاب عمر لأهل القدس، وفيه (ألا يساكنهم بإيلياء أحد من اليهود).. ولم تذكر القدس بعد سنة 100هـ في تاريخ بني أُميّة.

القدس أيام الخلافة العباسية

بدأت الدولة العباسية سنة 132هـ، وانتهت في بغداد سنة 656هـ. ولكن سلطان الخلافة والخلفاء، لم يدم أكثر من مائة سنة، ثم أصبح للخليفة الاسم فقط، دون الحكم والرسم، حيث تقسمت البلاد إلى دويلات منها ما تقرّ للخليفة بالوجود وتطلب (مباركته) ومنها مالا تعيره اهتمامًا، بل إنَّ بعضها تلقب حكامها بلقب خليفة. كما كان للخلافة الأموية بالأندلس، والخلافة الفاطمية ويعنينا في هذا السياق، أن نذكر الخلفاء العباسيين الذين كان لهم آثار في القدس، وكذلك الدول المستقلة التي دخلت القدسُ في حوزتها..

1- القدس في عهد الخلفاء العباسيين:

تولّى الأمويون الحكم، بعد معارك قُتِل فيها من آلاف المسلمين وسوف يسأل الله القادة يومئذٍ، فيمَ كان القتالُ، وما الذي جناه المسلمون والإسلام من هذا القتال، وأظنُّ أنه ينطبق عليهم القول (القاتل والمقتول في النار) فكلاهما كان حريصًا على قتل صاحبه. وأما قول الفقهاء: إن الطرفين كانا مجتهدين فهو تبرير لقتل المسلم أخاه.. ربما كان لهما أن

يجتهدا فيما يملكان، ولم تكن البلاد والعباد ملكًا لأحد منهما، فالاثنان مذنبان. لأنهما سنّا سنة سيئة، في جواز اقتتال المسلمين وقتْل بعضهم بعضًا. ولو كان الأمر بيدي لوضعت قاعدة فقهية تقول: إن كلَّ مَنْ اشترك في فتنةٍ بين المسلمين أدت إلى قتْل فرد من المسلمين: لا تصحُّ شهادته، ولا تقبلُ روايته الحديث النبويّ، سواءٌ أكان صحابيًا أو تابعيًا، فليس هناك ذنب أكبر من ذنب القتل بعد ذنب الكفر، وبالتالي فإنه لا تصحُّ ولايته أمر المسلمين، والله أعلم.

وجاء العباسيون بعد الأمويين أثر فتنة وثورة واقتتال قُتِلَ فيها آلاف المسلمين..

إن القائد العباسي الذي احتل فلسطين في ذلك الحين، هو صالح بن علي، عمّ أبي العباس - أول خليفة عباسي - الملقب بالسفّاح، لكثرة ما سفح من الدماء في سبيل الحكم.. وعمُّه صالح بن علي كان سفّاحًا أيضًا، لأنه قتل 83 رجلًا من أبناء الأمويين بعد أن أعطاهم الأمان..

أول ذكْر للقدس في دولة بني العباس جاء في ترجمة أبي جعفر المنصور الذي تولى الخلافة ما بين 136 - 158هـ. والتراتيب التي حدثت في أيامه تتصل بالمسجد الأقصى وسوف نذكرها في باب (المسجد الأقصى) إن شاء الله.

وجاء الخليفة المهدي بن المنصور إلى القدس، وتتصل أعماله بالمسجد أيضًا..

وجاء ذكر القدس في ترجمة هارون الرشيد، ولكنه منقول عن المصادر الإفرنجية، وأظنها أخبارًا كاذبة.. فقيل إن هارون الرشيد سمح للإمبراطور شارلمان بترميم كنائس القدس وبناء كنيسة العذراء حيث تقوم اليوم كنيسة الدبّاغة.. وزعموا أن الرشيد أرسل إلى شارلمان مفاتيح كنيسة القيامة والقبر المقدس.. ومن الأكاذيب ما نقله عارف العارف في كتاب المفصل أن شارلمان كان يرسل في كلِّ سنة وفدًا إلى القدس يحمل الهدايا (والأموال لفقراء المسلمين). وفي سنة 216هـ زار المأمون القدس، وأمر بترميم عمارة المسجد الأقصى وقبة الصخرة..

وانقطعت أخبار القدس في ترجمة بقية الخلفاء العباسيين، لأن أمر المدينة انتقل إلى الدويلات الخارجة على الخلافة، وسوف نذكرها فيما يلي من الأخبار.

ولعل أقدم الجغرافيين الذين ذكروا القدس - أقصد الجغرافيين العرب - هو ابن خرداذبة، المتوفي سنة 280هـ في كتابه (المسالك والممالك) فقال: (كورة إيلياء، وهي بيت المقدس) بينها وبين الرملة ثمانية عشر ميلا، ومنها إلى مسجد إبراهيم (الخليل) ثلاثة عشر ميلا مما يلي القبلة، ومنها إلى البحيرة المنتنة (البحر الميت) أربعة أميال.

وزارها السائح الأوروبي برنارد الحكيم عام 870م وقال: إن المسلمين والمسيحيين فيها على تفاهم تام، والأمن العام مستتبّ.. وقال: إنه نزل في نُزُلٍ معد للحجاج الذين يتكلمون اللغة الرومانية، وبجانبه سوق يترتب على الشخص الذي يعمل فيه أن ينقد المحتسب الذي يناظره قطعتين من الذهب كلّ سنة..

دخلت القدس تحت إمرة الدولة الطولونية من سنة 870-905م.. وما كانت القدس ذات أهمية في عهد الدولة الطولونية، ولم تذكر إلا قليلاً.. وما كان الناسُ ليقصدوا القدس يومئذٍ إلا لغاية دينيّة.

ثم دخلت في حوزة الدولة الإخشيدية ما بين 930 - 966م فلم يترك هؤلاء أثرًا في القدس ولم تكن ذات أهمية في دولتهم.

ثم جاء الفاطميون 359هـ - 969م: فأخذوها من الإخشيديين ومن أشهر حكامهم الحاكم بأمر الله (386 - 996م) وحكم البلاد خمسًا وعشرين سنة. وفي عام 399هـ أمر بهدم عدد من الكنائس، ومنها كنيسة القيامة في القدس.

ثم سُمح بإعادة البناء لما تهدم منها في زمن ابن الحاكم بأمر الله، الظاهر لإعزاز دين الله. وفي زمن الحاكم زلزلت الأرض، فسقطت بعض أجزاء القبة الكبرى في مسجد الصخرة، وقسم من سور المسجد الأقصى. فرممت في زمن الظاهر. وعادت الزلازل، وخربت كثيرًا من مباني الحرم القدسي، وسوف نتحدث عن ذلك في باب (المسجد الأقصى).

السلاجقة في القدس:

السلاجقة أو السلجوقيّون نسبة إلى رجل اسمه (سلجوق) خلفوا بني بويه في السيطرة على البلاد التي كانت تحت ظل الخلافة العباسيّة، أو أكثرها. استولى طغرل بن سلجوق على بغداد سنة 447هـ - 1055م.

وفي سنة 463هـ استولوا على القدس بقيادة (آتسز بن أوق الخوارزمي). وفي سنة 471هـ تقلد أمر القدس أرتق بن أكسك التركماني، وفي سنة 484هـ. مات أرتق، فتقلد الأمر بعده ولداه، غازي وسقمان. وفي سنة 489هـ جاء أمير الجيوش الفاطمية، وأخذ القدس من السلاجقة، وبقيت بيد الفاطميين إلى أن جاء الفرنجة الصليبيون واستولوا على القدس سنة 1099م وكان حاكم المدينة الفاطمي اسمه أو لقبه (افتخار الدولة).

الرحّالة يصفون القدس

قبل الغزو الفرنجي الصليبي

زار القدس حوالي عام 670م - لعله في زمن معاوية بن أبي سفيان - مطران من بلاد الغال (فرنسا اليوم) يُدعى فرنك أركولف ومما كتبه في وصف القدس (كان على سور بيت المقدس يومئذ 84 برجًا وله ستة أبواب، ثلاثة فقط تستعمل للدخول والخروج، واحد منها غربي المدينة، والثاني شماليها، والثالث شرقيها..).

ووصف القدس الاصطخري (إبراهيم بن محمد الفارسي) المتوفى سنة 346هـ - 957م في كتابه (مسالك الممالك). فقال مما قال: (فلسطين أزكى بلدان الشام، ومدينتها العظيمة، الرملة، وبيت المقدس يليها في الكبر. وبيت المقدس مدينة مرتفعة على جبال، يُصعد إليها من كل مكان (يقصد من فلسطين). وبها مسجد ليس في الإسلام مسجد أكبر منه. والبناء في زاوية من غربي المسجد، يمتد على نحو نصف المسجد، والباقي من المسجد فارغ إلا موضع الصخرة، فإن عليه حجرًا مرتفعًا مثل الدكة، وفي وسط الحجر على الصخرة قبة عالية جدًا. وليس

ببيت المقدس ماء جار سوى عيون لا تتسع للزروع، وهو من أخصب بلدان فلسطين وفي مسجد بيت المقدس لكل واحد من عامة الأنبياء المعروفين محراب معروف).

وفي نصّ الاصطخري شاهد على أن اسم (الحرم القدسي) جاء متأخرًا ولم يكن معروفا،وأن اسم (المسجد) يشمل ما يسمونه اليوم (الحرم القدسي) ولذلك لم يسم البناء الموجود في القبلة (مسجدًا) وإنما قال (والبناءُ في زاوية من غربي المسجد).

ومن أ حسن وأصدق ما كُتب في وصف القدس - في القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي، ما كتبه محمد بن أحمد المقدسي، المتوفى سنة 380هـ - 990م في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم). وقد نبع صدق الكلام وصحته من المشاهدة والانتماء، فالمؤلف وُلد في القدس، وينتمي إلى أُسرة مقدسيّة، فأحبَّ القدس حُبَّيْن: حبّ الهوى والانتماء، وحُبًّا لأنها أهلٌ لهذا الحُبّ لما فيها من الخصائص الدينيّة والدنيويّة.

وجاءت صحة الكلام من المشاهدة والمعاينة، فهو يصف ما يرى، بخلاف كثير من الجغرافيين، فإنهم ينقلون عن صُحُفٍ، أو عن رواية سماع (وما راءٍ كمن سمع).

كانت فلسطين في عهده جزءًا من الشام، وكانت الشام مقسمة إلى ستة ألوية: منها (فلسطين) وعاصمتها الرملة، ومن أعمالها بيت المقدس، وبيت جبرين وغزة وأريحا.. وعمّان.

وصف المقدسي مدائن فلسطين، ولما جاء إلى ذكر بيت المقدس قال: بيت المقدس ليس في مدائن الكُوَر أكبر منها، لا شديدة البرد، وليس بها حرّ،وقلما يقع فيها الثلج - هذا يدل على أنه عاش الفصول كلها سنوات - قال: سألني ابن قاضي الحرمين عن الهواء، فقلت: سجسج، لا حرّ ولا برد شديد، قال: هذه صفة الجنة..

بنيانهم حجر، لا ترى أحسن منه، ولا أتقن من بنائها، ولا أعفّ من أهلها ولا أطيب من العيش بها، ولا أنظف من أسواقها،ولا أكبر من مسجدها ولا أكثر من مشاهدها.. فيها كلُّ حاذق وطبيب، ويميل إليها قلبُ كل لبيب، ولا تخلو كلَّ يوم من غريب.

قال: وكنتُ يومًا في مجلس القاضي المختار أبي يحيى بن بهرام بالبصرة، فجرى ذكرُ مصر إلى أن سئلت: أيُّ بلدٍ أجلّ، قلتُ: بلدنا - يريد القدس - قيل: فأيها أكبر؟ قلتُ: بلدنا، فتعجب أهل المجلس من ذلك. وقيل: أنت رجل مُحَصّل (الذي يخلص الفضة من حجارة المعدن) فقد ادعيت ما لا يُقبلُ منك.

وما مثلك إلا كصاحب الناقة مع الحجاج. قلتُ: أما قولي: أجلّ فلأنها بلدة جمعت الدنيا والآخرة. فمن كان من أبناء الدنيا وأراد الآخرة، وجد سوقها. ومن كان من أبناء الآخرة، فدعته نفسه إلى نعمة الدنيا، وجدها.. وأما كثرة الخيرات: فقد جمع الله فيها فواكه الأغوار والسهل والجبال، والأشياء المتضادة: كالأترجّة واللوز، والرطب والجوز، والتين والموز.

وأما الفضل فلأنها عرصة القيامة، وفيها المحشر وإليها المنتشر. وإنما فضلت مكة والمدينة بالكعبة والنبي محمد ﷺ ، ويوم القيامة يزفّان إليها، فأيُّ أرض أوسعُ منها.

قال: فاستحسنوا ذلك وأقرّوا به.

.. قال: وعلى المدينة حصن بعضه على جبل، وعلى بقيته خندق، ولها ثمانية أبواب حديد - وسمّى الأبواب كما كانت في زمانه وهي: باب صهيون، وباب التيه، وباب البلاط، وباب جب إرميا، وباب سلوان، وباب أريحا، وباب العمود وباب محراب داود.

والماءُ بها واسع، ويقال: ليس ببيت المقدس أحسنُ من الماء والأذان. قلّ دار ليس بها صهريج أو أكثر، وبالمدينة ثلاث برك عظيمة.. وفي المسجد عشرون جُبًا متبحرة، وقلّ حارة إلا وفيها جُبٌّ مُسَبّل، غير أن مياهها من الأزقة، وقد عُمِد إلى واد فجعل بركتان يجتمع إليهما السيول في الشتاء، وشقّ منهما قناةٌ إلى البلد، تدخل وقت الربيع فتملأ صهاريج الجامع وغيرها.. ووصف قبة الصخرة والمسجد الأقصى.. ثم ذكر (سلوان) فقال: هي محلة في ربض المدينة تحتها عين عذبة تسقي جنانًا عظيمة. أوقفها عثمان بن عفان على ضعفاء البلد، تحتها بئر أيوب، ويزعمون أن ماء زمزم يزور ماء هذه العين ليلة عرفة - هي خرافة - وادي جهنم على قرنة المسجد إلى آخره قبل الشرق. فيه بساتين وكروم وكنائس ومغاور وصوامع ومقابر.. في وسطه كنيسة على قبر مريم. ويشرف على الواد مقابر فيها شداد بن أوس الخزرجي، وعبادة بن

الصامت وجبل زينا مطل على المسجد شرقي هذا الوادي، على رأسه مسجد لعمر بن الخطاب نزله أيام فتح البلد، وكنيسة على الموضع الذي صعد منه عيسى، وموضع يسمونه (الساهرة).

وقال: سكان بيت المقدس كلهم شيعة، ولا ماءَ فيه للمعتزلة، وإنما هم في خفية. ولا ترى به مالكيًا ولا داوديًا، ولأصحاب أبي حنيفة بالمسجد الأقصى مجلس ذكرٍ يقرأون في دفتر، وكذلك الكرّامية في خوانقهم..

وفي سنة 438هـ - 1047م زار القدس ناصر خسرو الإيراني ووصفها في كتابه (سفرنامة) ومما قاله:

(إنَّ السوريين وسكان البلاد المجاورة، يسمون هذه المدينة (بيت المقدس) أو (البيت المقدس) ويسمونها أيضًا (القدس)... وكثيرًا ما يحج هؤلاء إليها عندما لا تتيسر لهم وسائط الحج إلى مكة، ويشبعون فيها رغباتهم الدينيّة، فيضحون فيها الضحايا ويتقربون إلى الله بالصلاة والعبادة، ويصل عدد الحجيج في بعض الأعوام إلى عشرين ألفًا، وكثيرًا ما يأتي معهم أطفالهم ليختتوهم بين جدرانها وبالقرب من مسجدها..

إن القرى والأرياف الكائنة حول بيت المقدس واقعة على سفوح الجبال والأراضي مزروعة زرعًا جيدًا، ينبتُ فيها القمح والتين والزيتون.. والأسعار معتدلة.. وكثير من الرؤساء يملك الواحد منهم 4200 تنكة زيت. والزيت يحفظ في الآبار والأحواض ويصدرونه إلى

البلاد الأخرى.. ويستعمل القار المجموع من مياه (البحر الميت) في طلاء الأجزاء السفلى من الأشجار لحفظها من الديدان.

والقدس مدينة قائمة على تلال تعيش على مياه الأمطار: ليس فيها ينابيع جارية، وإنما تكثر هذه في القرى المجاورة.. وللسور أبواب حديدية ليس فيها أشجار، إذ أنها مبنية على الصخر.

.. وفيها صناع كثيرون ولكل صنعة سوق خاصة بها.. والمسجد قائم في الحيّ الشرقي إلى الجنوب من المدينة، بحيث يؤلف القسم الشرقي لسور المدينة سور المسجد أيضًا..

وذكر حيَّ الساهرة، أو مقبرة الساهرة - إلى الشمال من سور المدينة - وذكر وادي جهنم، والخرافات المتصلة به،وذكر عين سلوان.. وقال: وفي المدينة بيمارستان (مستشفى) بديع جدًا.. يعالج فيه عدد كبير من المرضى، ويتقاضى الأطباء راتبًا مقطوعًا.

القدس في أثناء سيطرة الفرنجة الصليبيين

492 - 583هـ / 1099 - 1187م

(الفرنجة) و (الفرنج) هو الاسم الذي أطلقه المؤرخون العرب على الأوروبيين الذين احتلوا القدس وبلاد الشام. وأما (الصليبيّون) فهو اسم وافد من أوروبا إلى بلاد العرب واستعمله المؤرخون العرب في القرن العشرين الميلادي، ولا أسميه اقتباسًا، لأن القبس للنور والإضاءة، وإنما أسميه نعيق غراب ينذر بخراب..

ذلك أن مصطلح (الصليبيّة) فيه نوع من التحريض، ويحمل في طياته شيئًا من العداء. فالغربيّون يستعملونه لإذكاء روح العداوة في نفوس الناس للعرب أو للمسلمين. يريدون به الإبقاء على مجموعة من المفاهيم حيّة، للاستفادة منها في تحميس جيوشهم عندما يريدون احتلال بلد إسلامي. وهو صفة مدح عندهم لأن الصليبي هو الذي اتخذ الصليب شعارًا، والصليبُ شعار النصرانية، فأنت إذا قلت: فلان صليبيّ، يعني أنه مسيحيّ تقيّ صالح مواظب على أداء شعائر المسيحيّة.. وهذه صفة مدح عند كلّ أهل دين.. ولكلِّ أُمة أن تختار شعارها ولا نعيبها في ذلك..

ولكن العيب أن يستعمل المسلمون شعار الآخرين الذي ارتضوه لأنفسهم.. فإذا قال المسلمُ: هؤلاء صليبيون، يكون قد أقرَّ بأنهم أتقياء عابدون، وأن حربهم كانت موافقةِ لشريعة عيسى أو يوافقها الإنجيلُ على ذلك..

والعيب في استعمال مصطلح الصليبيّة في الوطن العربي يأتي من التحريض الذي يوحي به المصطلح.. لقد كان تحريضًا مفيدًا للأوروبيين لأن مجتمعاتهم موحدة في الدين.. فالجميع مسيحيون وإن اختلفت مذاهبهم، قد يختلفون فيما بينهم، ولكنهم يتفقون على عدوّهم.

أما التحريض الذي يحركه مصطلح الصليبيّة في الوطن العربي - خصوصًا بلاد الشام ومصر والعراق - فإنه يُحدث شيئًا من التفكك الاجتماعي.. ذلك أن (الصليبيّة) تجمع بين المسيحيّة والصليبيّة. والصليبيّة مقرونة بنوع من العداء للمسلمين،والتذكير بالصليبيّة، يؤرث العداوة بين المسلمين والمسيحيين في الوطن العربي، وهم جزء لا يستهان به في بلاد الشام ومصر والعراق، إن عاديتهم ونزعت منهم الثقة بوطنيتهم صاروا شوكة في خاصرة الأمة، وحركتَ فيهم نزعة الولاء لأعداء الوطن، وليس للعرب أعداء طامعون إلا الأوروبيون والأمريكان وكندا وأستراليا، وهؤلاء كلهم مسيحيّون... إننا نفضّل استعمال اسم (الفرنجة) في قصة ما سمي (الحروب الصليبية) لأن الاسم يدل على عرق أو قوميّة، وإن اتخذوا (الصليب) شعارًا وإن ادعوا الدفاع عن المسيحيّة، فليست كلّ دعوى صحيحة. ولستُ بسبيل بيان أسباب غزو

الفرنجة لفلسطين، فالأسبابُ كثيرة، ولا أستبعدُ أن يكون من الأسباب القويّة العصبيّة القوميّة.. فمن المعروف أن الذين نشروا الدين الإسلامي في البلاد التي كانت تحكمها بيزنطة المسيحيّة، هم من العرب والذين فتحوا الأندلس (الأوروبية) كانوا في معظمهم من العرب.. وكان، وما زال، اسم العربيّ، مرادفا للمسلم، والمسلم يرادف العربيّ.. فساء الأوروبيين أن يكون للعرب هذا السلطان.. ولا يخلو أن يكون للفكر التوراتي تأثير في هذا الباب.. فالتوراة تذمُّ العرب لأنهم أبناء إسماعيل بن إبراهيم، وازداد اليهود حقدًا على العرب عندما جاء منهم النبيُّ محمد، وهو حفيد إسماعيل وإبراهيم، وصار لقومه من السلطان ما لم يكن لنسل إسحاق، واليهود يزعمون - كذبوا - الانتماء إلى إسحاق بن إبراهيم.. والله أعلم. ومهما كان الأمر فإن الأوروبيين يعدّون أنفسهم ورثة الرومان والبيزنطيين.. وليس ببعيد أن تكون فكرة الوراثة القوميّة قد حركتهم، ولكن فكرة القوميّة لم تكن ناضجة، فبحثوا عن مهيج للمشاعر فوجدوه في (قبر المسيح) و(مهد المسيح) .

الحالة التي سهّلتْ وصول الفرنجة إلى القدس:

تُوصف الحياة السياسية في السنوات القليلة السابقة على الغزو الفرنجي لبلاد الشام - تُوصف بأنها كانت مضطربة اضطرابًا قاتلاً لفّ العالم الإسلاميّ كله. ففي بغداد خليفة عباسيّ، لا حول له ولا طول، محبوس في قصره يأتمر بأمر السلطان السلجوقي.. والدولة السلجوقية، كانت قوية في بدايتها،وهي التي هزمت دولة الروم في معركة (ملاذكرد)

سنة 463هـ/1071م.. ولكن هذه الدولة قد ضعفت وتفككت وانقسمت سنة 1097 إلى خمس دول سلجوقية متصارعة. مما أعجزها عن صدّ غارات الفرنجة على ممالكهم. وأمّا مصر، فكانت خاضعة للخلافة الفاطمية التي أخذ فيها الاضطراب مأخذه، وجعلت تسير في طريق النهاية لكثرة النزاع بين رجالها من خلفاء ووزراء وقوّاد.

وكانت بلاد الشام - وهي هدف الفرنجة - مجالاً للتنازع بين الفاطميين والسلاجقة، دون أن تستطيع هاتان القوتان تأمين الاستقرار لحياة البلاد وأهلها، بل أدى ذلك إلى الفقر والجوع والخوف والمرض وقُتل في الحروب التي دارت بينهم ألوف، وصار انتماءُ الناس إلى الرجال الحكام وليس إلى دين أو وطن: اليوم يُخطبُ على المنابر للسلطان السلجوقي والخليفة العباسي، وغداً للخليفة الفاطمي.. وقد نجم عن هذه الأحوال ظهور دولٍ صغيرة، قد لا تزيد رقعة الواحدة منها على قلعة وناحية من الأرض تحيط بها، وكان هؤلاء الحكام دائمي التنازع والعدوان على بعضهم البعض، ولم يكن لأحدهم هَمٌّ إلا في بطنه وفرجه، مما سهل على الفرنجة دخول البلاد. وفي خلال سنة واشهر استطاعوا أن يؤسسوا في هذه المنطقة ثلاث إمارات فرنجية. فإمارة (الرها) أسست سنة 1098 وإمارة أنطاكية أُسست في العام نفسه وأخذوا القدس وأسسوا فيها مملكة سنة 1099..

ولا نستغرب هذه السرعة في تأسيس الإمارات الفرنجية إذا أضفنا إلى الأسباب السابقة أن بعض أمراء القلاع والمدن كانوا يتعاونون مع

هؤلاء الغزاة ويقدمون لهم الأموال وهم في طريقهم إلى القدس، إبقاءً على إماراتهم..

أما حال القدس بخاصة قبل احتلال الفرنجة، فننقله عن كتاب الكامل لابن الأثير، حيث يقول:

كان (البيت المقدس) واقعًا تحت حكم الأمير سقمان (السلجوقي) فلما ظفر الفرنج بالأتراك السلاجقة على (أنطاكية)، وقتلوا فيهم، ضعفوا وتفرقوا. فلما رأى المصريون (الفاطميون) ضعف الأتراك السلاجقة ساروا إلى القدس، ومقدمهم الأفضل بن بدر الجمالي، فحاصروا (البيت المقدس)، وبه الأمير سقمان، وأيلغازي ابنا أرتق، ونصبوا عليه نيفًا وأربعين منجنيقًا، فهدموا مواضع من سوره، وقاتلهم أهل البلد، فدام القتال والحصار نيفًا وأربعين يومًا، وملكه المصريون بالأمان في شعبان سنة 489هـ.

واستناب المصريون فيه رجلاً يعرف بافتخار الدولة، فقصده الفرنج بعد أن حاصروا عكا، فلم يقدروا عليها، فلما وصلوا إلى القدس، حاصروه نيفًا وأربعين يومًا، ونصبوا عليه برجين، أحدهما من ناحية صهيون وأحرقه المسلمون وقتلوا كلَّ مَنْ به، فلما فرغوا من إحراقه، أتاهم المستغيث بأن المدينة قد ملكت من الجانب الآخر، وملكوها من جهة الشمال ضحوة نهار يوم الجمعة لسبع من شعبان 492هـ / 1099م. وركب الناسَ السيفُ، ولبث الفرنج في البلدة أسبوعًا يقتلون في المسلمين.. وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفًا.. وورد

المستنفرون من الشام في رمضان إلى بغداد، فأوردوا في الديوان كلامًا أبكى العيون وأوجع القلوب، وقاموا بالجامع يوم الجمعة فاستغاثوا وبكوا وأبكوا، وذُكر ما دهم المسلمين بذلك الشريف المعظم من قتْل الرجال وسبي الحريم والأولاد ونهب الأموال فلشدة ما أصابهم أفطروا..

عودة القدس إلى المسلمين على يد صلاح الدين الأيوبي

(583هـ / 1187م)

مقدمات فتح القدس، وهزيمة الفرنجة:

لم تطل إغفاءَة المسلمين بعد احتلال الصليبيين القدس، ولم تطل أيضًا فرحة الفرنجة باحتلال القدس في غفلة من أهلها..ففي هذه الأحوال الكئيبة التي رافقت ضياع القدس، هيأ الله رجلاً من مماليك السلاجقة اسمه (زنكي بن آق سنقر) وقد انتهت إليه ولاية الموصل سنة 521هـ، واستطاع أن يوسع إمارته الصغيرة، فضم إليها حلب وحماة وحمص، وكوّن جبهة إسلاميّة متحدة، واسترد (الرها) وأزال أول إمارة فرنجية في المنطقة سنة 539هـ / 114م، فتنفس المسلمون الصعداء واستعادوا ثقتهم بأنفسهم، وسموا الاستيلاء على (الرها) (فتح الفتوح) - والرها اليوم داخل الجمهورية التركية وتسمى (أورفا) وعندما توفي زنكي سنة 541هـ تسلم الراية من بعده ابنه نور الدين محمود، وجعل هدفه طرد الفرنجة وتحرير القدس، وأمر بعمل منبر للمسجد الأقصى، فتمَّ صنعه قبل تحرير القدس بأكثر من عشرين سنة.. وعمل على توسيع الجبهة الإسلامية المتحدة، فأبدل الله المسلمين على يديه بدول القلاع

وأرسل صلاح الدين إلى جميع أجزاء مملكته يستنفر الناس لقتال الفرنجة ويحببهم في الجهاد ويحثهم عليه،ويأمرهم بالتجهز له.. فأقبلت إليه الجيوش من كلِّ حدب.

انهزام الفرنجة بحطين: (معركة حطّين) 583هـ

(حطين) التي أُضيفت المعركة إليها، تقع في الجهة الغربية من بحيرة طبرية - فلسطين المحتلة سنة 1948 - وهي قرية خصيبة الأرض وفيرة المياه.. وعلى مقربة منها، وجّه صلاح الدين للفرنجة ضربةً قاتلة، كان لها تأثيرها في كلِّ المعارك التي تبعتها حيث أوقعت الرُّعبَ في قلوب الفرنجة، وأعطت المسلمين الثقة في قدراتهم القتالية، وفي قيادتهم.. وما فَتْحُ القدس بعدها إلا نتيجة من نتائجها.. وكانت هذه المعركة يوم السبت الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة 583هـ.

وكان لها أثرها فيما بَعْدها من الأحداث الكبرى: لقد كانت (حطين) بمنزلة غزوة بَدْر في العصر النبويّ، ومعركة اليرموك في فتح بلاد الشام أيام عمر بن الخطاب، ومعركة القادسيّة في العراق.. وكان فتح القدس فيما بعْد من ثمرات معركة حطين..

وتعود القدس إلى أحضان العروبة والإسلام، أو عاد العربُ المسلمون والعرب المسيحيون إلى القدس:

لقد أصبح الطريق إلى القدس - بعد معركة حطين - سهلاً، وكان من الممكن أن يقصدها صلاح الدين، فيملكها بأيسر سبب. ولكنه نظر نظرة

عسكرية تدلُّ على عبقرية، فرأى أن القدس تقع داخل البلاد، وأن الساحل مليء بالقلاع الفرنجية الصليبية التي تسمح لهم بالاتصال بالعالم الخارجي، وخصوصًا الأقطار الأوروبية التي تُعدُّ ينابيع الوجود الصليبي في فلسطين.

ولذلك قرر صلاح الدين إزالة هذه المراكز على الساحل، والاستيلاء على المعاقل الصليبيّة الداخلية، وبعد ذلك يعمد إلى القدس فيفتحها بَعْد أن يكون قد قطع عنها شرايين الحياة، يضاف إلى هذا أن استيلاءَه على المعاقل الصليبية الساحلية يسهل عليه أسباب الاتصال بين جناحي بلاده، مصر والشام..

وبعد شهور قليلة بعد معركة حطين، استولى صلاح الدين على عكا، ودخلها يومِ الجمعة مستهل جمادى الأولى، وصلى فيها الجمعة، وهي أول جمعة أُقيمت بالساحل الشامي بعد أن ملكه الإفرنج.. ثم فتح مجدل يابا، والناصرة، وقيسارية، وحيفا، وصفورية، ومعليا، والشقيف، والفولة، ويافا، وتبنين وصيدا وجبيل وبيروت، والرملة والداروم (دير البلح) وغزة والخليل، وبيت لحم وبيت جبريل وتوقف طويلا عند عسقلان، لأنها كانت حصينة، فحاصرها خمسة عشر يومًا، وأصر على فتحها، لأن الصليبيين طالما اتخذوها منطلقًا لتهديد مصر، وقطع الاتصال بينها وبين الشام، وكان صلاح الدين يختار أن تتصل الولايات ليسهل خروج العسكر منها ودخولهم إليها..

وإحكامًا لخطة الفتح، استدعى الأسطول الإسلامي من مصر بقيادة حسام الدين لؤلؤ، فجعل يصول ويجول في البحر المتوسط (بحر الشام) ويحول دون وصول الفرنجة إلى الساحل الفلسطيني.

والإمارات الهزيلة، دولاً مجاهدة ناهضة قوامها الجزيرة الفراتية وسورية والأردن ومصر والحجاز واليمن.

وتوفي نور الدين محمود سنة 569هـ .. فحمل اللواء بعده تلميذه الملك الناصر يوسف صلاح الدين الأيوبي.. وكان صلاح الدين يومها في مصر في جيش أرسله نور الدين بقيادة (شيركوه) - عم صلاح الدين - لنجدة أهل مصر في حربهم مع الفرنجة، بناءً على طلب الخليفة الفاطمي (العاضد). ولما تمَّ دحر الفرنجة عن مصر تولّى (شيركوه) الوزارة، ثم توفي عام 564هـ فتولى الوزارة بعده ابن أخيه صلاح الدين، ولقب بالملك الناصر. ووضع صلاح الدين نصب عينيه منذ تولى وزارة مصر، أن ينال ولاء الجيش، ويكسب وُدّ الناس، ليتخذهما العُدَّة - بعد الله - فيما يهدف إليه من كبار الآمال.. فقضى على الخلافة الفاطمية سنة 567هـ.. فلما توفي نور الدين، صار صلاح الدين الحاكم الحقيقي لمصر، وما ضمه من بلاد المغرب واليمن، وعزم على قصد الشام - وكانت موزعة بين أُسرة نور الدين - ذلك أن الفرنجة طمعوا في البلاد بعد وفاة نور الدين.. فدخل صلاح الدين دمشق سنة 570هـ، وظل يعمل على توحيد الشام وبلاد الجزيرة - الجزيرة الفراتية - وديار بكر حتى تم له ما أراد، ولم يَعُد في تلك الرقعة مَنْ هو غير خاضع لصلاح الدين، كما أن أخاه سيف الإسلام فتح له بلاد الحجاز.. فاتحدت مصرُ والشام والموصل وديار الجزيرة والحجاز واليمن، وجزء من بلاد المغرب، ووضعت ما تملكه من الإمكانات البشرية والمادية، ليحقق بها صلاح الدين ما كان يرنو المسلمون إلى تحقيقه يومئذ من تحرير فلسطين من يدي مغتصبيها.

وفي يوم الأحد الخامس عشر من شهر رجب سنة 583هـ نزل صلاح الدين إلى القدس، وأنفق خمسة أيام وهو يطوف بنفسه حول الأسوار يتفحصها ليتبين أضعف نقاطها وأصلحها للهجوم، وأخيرًا استقر رأيه على أن يهاجمها من جهة الشمال، فنقل الجيش إلى هذه الجهة في العشرين من رجب، ونصب المجانيق تلك الليلة، وأضحت جاهزة للعمل..

ونصب الفرنجة ما كان لديهم من مجانيق على الأسوار، ورموا بها، وكان بين الفريقين أشدّ قتال رآه أحد من الناس، كلٌّ فريق يرى هذا القتال دينًا، فكان الناسُ في غنىً عن ترغيبهم في الهجوم بل كانوا إذا زُجروا لا ينزجرون.. وحملوا حملة رجل واحد، فأزاحوا الفرنجة عن مواقعهم، ووصلوا إلى الخندق وجاوزوه إلى السور، فجعل النقابون ينقبون، والمجانيق ترمي السور بلا هوادة لدفع العدو عنه والرماة يمطرونهم بوابل من سهامهم لشغلهم عن الناقبين إلى أن حقق هؤلاء ما كانوا يريدون.

فلما عاين المدافعون شدة بأس المسلمين وصدق عزائمهم واستماتتهم في سبيل استنقاذ القدس، أيقنوا بالهلاك ومالوا إلى المفاوضة وطلبوا الأمان من صلاح الدين على أن يسلموا البيت المقدس إليه وأخيرًا وافق على ما طلبوا، ورضي أن يتسلمه منهم على أمانٍ قرره لهم. واستلم المسلمون المدينة يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب سنة 583هـ.. ولم يتمكن المسلمون من صلاة الجمعة في يوم الفتح.. فلما كانت

الجمعة الأخرى رابع شهر شعبان صلى المسلمون الجمعة في المسجد الأقصى ومعهم صلاح الدين، وصلى في قبة الصخرة، وكان الخطيب والإمام محجي الدين بن الزكي قاضي دمشق، ثم رتب فيه صلاح الدين خطيبًا وإمامًا.. وعمّر صلاح الدين القدس، فبنى المدارس والمستشفيات، وعمّر سور المدينة، وعندما قلّتْ الحجارة عند العمال كان يركب وينقل الحجارة بنفسه على دابته من الأمكنة البعيدة، فيقتدي به العسكر، فكان يجمع عنده من العمال في اليوم الواحد مَنْ يعملون قدْر عدة أيام.

ومن آثار صلاح الدين في القدس: البيمارستان - كلمة فارسية مؤلفة من بيمار، ومعناها المريض و(ستان) ومعناها المنزل. وقد أنشأه سنة 583هـ/1187م في الحيّ المعروف الآن بالدبّاغة.. والخانقاه الصلاحية: وهو جامع ورباط أوقفه للصوفية، وتاريخ الوقف سنة 585هـ/1189م وهو ملاصق لكنيسة القيامة. والمدرسة الصلاحيّة: جعلها مدرسة للشافعية، وقفها سنة 588هـ وكانت وظيفة مشيختها من الوظائف السنية في الإسلام وسور المدينة: حيث جدد ما تهدم منه، وجدد أبراجًا حربية من باب العمود إلى باب الخليل، وحفر حول السور الخنادق ومقبرة باب الساهرة، وكانوا يسمونها (مقبرة المجاهدين) وقبة يوسف: واقعة إلى الجنوب من فناء الصخرة - ويوسف: هو اسم صلاح الدين. وجامع الجبل: أي: جبل الطور الكائن شرقي بيت المقدس.

مات صلاح الدين في دمشق سنة 589هـ ودُفن في تربة بنيت له بجوار جامع بني أمية. وكان عمره لما مات نحوًا من سبع وخمسين سنة.

وترك من الأولاد سبعة عشر ذكرًا وبنتًا واحدة ولم يخلف في خزائنه إلا سبعة وأربعين درهمًا، ولم يترك دارًا ولا عقارًا..

القدس بعد صلاح الدين:

بعد وفاة صلاح الدين 589هـ انقسمت دولته إلى عدة ممالك؛ فتولى أولاده الثلاثة الأعمال الآتية:

عليّ، الملقب بالملك الأفضل: الشام وفلسطين، وفيها القدس.

وعثمان الملقب بالملك العزيز: مصر.

وغازي، الملقب بالملك الظاهر: حلب.

وتولى أخوه الملك العادل الكرك والشوبك، وقسمًا من الجزيرة.. ثم حدثت منازعات وحروب بين (الأفضل) وأخيه العزيز انتهت بإضافة القدس إلى العزيز صاحب مصر.

ثم مات العزيز عام 595هـ / 1198م وعهد إلى ولده محمد، وكان طفلاً فحضر العادلُ أخو صلاح الدين وعزل محمداً عام 596هـ/1200م وتولى هو ملك القدس، وكان قبل ذلك قد تغلب على الأفضل، وهكذا دانت للعادل معظم دولة أخيه صلاح الدين: مصر والشام.

عين الملك العادل ابنه محمداً الملقب بالكامل لولاية العهد، وعهد إليه بديار مصر.

وعين ابنه الملك المعظم عيسى بدمشق، وأعطاه من العريش إلى حمص، وأدخل في ولايته بلاد الساحل الإسلامية وبلاد الغور بأرض فلسطين والقدس والكرك والشوبك.

وتوفي العادل سنة 615هـ / 1218م ودفن بقلعة دمشق. ومن الحوادث المزعجة التي حدثت في القدس في عهد الملك المعظم، شروعه عام 610هـ في هدم سور القدس، بسبب الأخبار التي بلغته من أن الفرنج عازمون على الاستيلاء على بيت المقدس، وأنهم أعدوا حملة كبرى لهذا الغرض، مما اضطر الكثيرين من سكانها إلى النزوح إلى مصر والكرك ودمشق، إلا أن الأخبار لم تتحقق.

وفي عام 624هـ / 1226م مات الملك المعظم بدمشق ودُفن بقلعتها فتولى بعده ابنه الملك الناصر داود.. فاشتغل هذا باللهو وأعرض عن مصالح الدولة، مما جعل عمه الكامل يتدخل بشؤونه وأخذ منه المنطقة الواقعة بين فيق وغزة، ومن ضمنها القدس.

وفي سنة 624هـ كان قد وقع تنافر بين الملك الكامل صاحب مصر وأخيه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق، فكاتب الملك الكامل ملك الإفرنج في أن يقدم إلى عكا، ليشغل أخاه الملك المعظم عما هو فيه ووعد ملك الإفرنج بأن يعطيه القدس.. وفي سنة 626هـ / 1229م حقق الكامل للفرنج ما وعد به، وسلّم القدس للفرنجة، على أن تستمر أسواره خرابًا ولا يعمرها الإفرنج، ولا يتعرضوا إلى قبة الصخرة ولا إلى الجامع الأقصى، ويكون لهم من القرى ما هو على الطريق من عكا إلى القدس فقط.. وبقي القدس بيد الفرنجة عشر سنوات، وعاد إلى المسلمين سنة 1239م ثم جرى خلاف وحروب بين أحفاد صلاح الدين سنة 641هـ فاعتضد اثنان من الأمراء بالإفرنج وسلما إليهم، طبرية وعسقلان

والقدس. ولكن مدة ملك الإفرنج للقدس لم تطل هذه المرة، ففي سنة 642هـ حرره الملك الصالح نجم الدين أيوب.

قال مجير الدين الحنبلي المتوفى سنة 928هـ: وهذا الفتح الواقع في سنة 642هـ لبيت المقدس هو آخر فتوحاته، فإنه استمر بأيدي المسلمين إلى عصرنا - أي عصر مجير الدين - قال: والمرجو من كرم الله تعالى استمراره كذلك إلى يوم القيامة.

ولكن أمر القدس لم يكن على ما رجاه مجير الدين الحنبلي. فقد امتلكه الإنجليز فيما بعد من سنة 1917 - 1948. ثم امتلكه اليهود من سنة 1967 - 2004 وليس في الأفق بارقة تبشر بقرب وقوع الغيث..

هذا وقد دخلت القدس تحت سيطرة الأوروبيين الصليبيين مدة تسع وتسعين سنة، موزعة كما يلي:

من سنة 1099 إلى سنة 1187 مدة 88 سنة، مدة بقاء مملكة بيت المقدس الفرنجية.

من سنة 1229 إلى سنة 1239 مدة عشر سنوات، نتيجة اتفاق بين الملك الكامل الأيوبي والإمبراطور فريدريك.

من سنة 1242 إلى سنة 1243 مدة سنة واحدة نتيجة الاتفاق الذي تم بين الفرنج وأميرين من أُمراء الأيوبيين.

المجموع: 99 سنة.

نضيف إليها نحو ثلاثين سنة، حكمت فيها بريطانيا بيت المقدس من 1917/12/9 - 14 / 5 / 1948، يبلغ مجموع مدة سيطرة الأوروبيين الفرنجة على المدينة المقدسة نحو 129 سنة. ولم ينته احتلال الأوروبيين سنة 1948، ولكن انقسمت المدينة إلى قسمين: قسم غربيّ بقي الأوروبيون اليهود يحتلونه وقسم شرقي (القدس القديمة) وُضع تحت الحكم الأردني. أو الجيش الأردني، ومن سنة 1967 حتى اليوم سنة 2004 احتلَّ اليهودُ الأوروبيون القسم الشرقي من القدس، وفيه المسجد الأقصى..

مات الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة 647هـ / 1249م وتولّى بعده ابنه توران شاه، ولكن هذا الأخير قُتِلَ بعد سبعين يومًا من ملكه، وبقتله انقرضت دولة بني أيوب سنة 648هـ / 1250م ، وكانت مدة حكمهم القدس اثنين وخمسين سنة.

من سنة 1187 - 1229: 42 سنة.

من سنة 1239 - 1243: 4 سنوات

من سنة 1244 - 1250: 6 سنوات

.. ودخلت القدس بعد هذه الدولة في حوزة (دولة المماليك) وهم جنود محاربون تربوا في كنف بني أيوب.

الآثار العمرانية لملوك بني أيوب في القدس

بعد صلاح الدين

من آثار الملك الأفضل:

المدرسة الأفضلية بحارة المغاربة، وتعرف بالقبة، وقفها على فقهاء المالكية بالقدس. وهدمها اليهود بعد سنة 1967.

وحارة المغاربة: أوقفها الملك الأفضل عام 588هـ / 1193م وهي ما يحيط ويتصل بموضع البراق من أراض، أوقفها على طائفة المغاربة الذين أخذوا يتوافدون إليها من شمال أفريقيا فنسب الحيّ إليهم.

والمسجد العمري جنوب ساحة كنيسة القيامة.

ومن آثار العزيز عثمان، أنه أوقف دير أبي ثور، على الشيخ أحمد الثوري وعلى أولاده وذريته.

من آثار الملك العادل:

(قبة المعراج) غربيّ قبة الصخرة عمرت سنة 597هـ / 1200م. والزاوية الجراحية بنيت سنة 599هـ بظاهر القدس من جهة الشمال،

ونُسبت لواقفها حسام الدين الجراحي، أحد أمراء صلاح الدين توفي عام 598هـ.

من آثار الملك المعظم عيسى بن العادل:

المدرسة المعظمية، ويقال لها (الحنفية) أوقفها على فقهاء الحنفية.

عند باب المسجد الأقصى المعروف بباب الدوادارية (باب العتم)..

والمدرسة النحوية بنيت على آخر صحن الصخرة من جهة القبلة عام 604هـ تدرس فيها علوم العربية.

والمدرسة البدرية سنة 610هـ، موقوفة على فقهاء الشافعية في حي الواد.

وسبيل شعلان عام 613هـ في شمال الحرم.

والبرج القائم في وسط القلعة بباب الخليل.

وفي أيام الملك المعظم جددت عمارة القناطر التي على درج الصخرة القبلي عند قبة الطومار، وأكثر الأبواب الخشبية المركبة على أبواب المسجد عُملت في أيام الملك المعظم.

الأرجاء، وبنوا في الحرم القدسي (المسجد الأقصى) وحوله الأروقة والسُّبُل وصهاريج الماء واتخذوا من ساحته وأروقته مدارس يدرّسون فيها مختلف العلوم. وقد سجّل التاريخ العلمي عشرات المدارس التي حفلت جميعها بالعلماء والطلاب من مقادسة وغيرهم من القادمين عليها من مختلف الأقطار يعلمون ويتعلمون، وما زالت هذه المدارس قائمة حول المسجد الأقصى إلى يومنا هذا.

ومن الإنصاف لهذا العهد، وهو الذي يشمل القرون الثلاثة التي أعقبت عصر صلاح الدين (القرن الثالث عشر، والرابع عشر والخامس عشر الميلادي) أن نعترف بأنه امتاز بالعمران وبحركة بناء واسعة النطاق، وأن نصيب القدس من هذا العمران كان عظيمًا. وتدل المدارس الكثيرة التي أنشئت في القدس - خلال القرون المذكورة - على أن القدس كانت على عهدهم مزدهرة وأنها كانت مركزًا لثقافة إسلامية واسعة النطاق وأن رواد العلم والحكمة كانوا يفدون إليها من جميع الأنحاء.. ليس من أجل الصلاة في مساجدها وزيارة معالمها فحسب ولكن من أجل تحصيل العلوم في مدارسها وحضور حلقات الشيوخ في المسجد الأقصى.

فكم من أهل برّ وإحسان أنفقوا المال لمساجد القدس ومدارسها وأربطتها ومعاهدها، وربطوا أراضيهم وأملاكهم وقفًا ينفق من ريعه على إدارتها..

وإلى هؤلاء الملوك يرجع الفضل في إنقاذ الشام ومصر والمغرب العربي من موجة المغول، تلك الموجة التي قضت على الخلافة العباسية في بغداد.

بل لهم الفضل أيضًا في تنظيف البلاد الشامية من بقايا الصليبيين حيث دامت ممالكهم مائة سنة بعد فتح القدس على يد صلاح الدين ولا ننكر وجود ملوك في ذلك العصر، صغار في عقولهم وأعمالهم في ذلك الوقت الذي شهد نفس العصر ملوكا عظامًا جعلوا العصر في جملته عصر قوة وازدهار..

وإنا لذاكرون هنا أشهر هؤلاء الملوك ومآثرهم وآثارهم في القدس في دولة الملوك الأتراك (المماليك).

الظاهر بيبرس: 657 - 676هـ / 1260 - 1277م : من آثاره في بيت المقدس عمارة المسجد الأقصى (الحرم الشريف) ففي سنة 659هـ بعث الصناع والآلات لعمارة ما كان قد تداعى من قبة الصخرة وجدد قبة السلسلة وزخرفها.

وفي عام 661هـ نزل بيت المقدس لتفقد عمارتها، ونظر في الأوقاف وكتب بحمايتها وأمر ببناء (خانٍ) خارج البلدة ونقل إليه من القاهرة باب القصر المعروف بباب العيد.. ولما تمَّ بناء الخان أوقف عليه الأراضي والقرى يصرف ريع ذلك في خبز وفلوس، وإصلاح نعال مَنْ يرد عليه من المسافرين المشاة وبنى له طاحونة وفرنًا وفي سنة 666هـ بنيت دار الحديث بالقدس..

توفي الملك الظاهر بيبرس بدمشق، ومدفنه في المكتبة الظاهرية بجوار الجامع الأموي.

ومن آثار سيف الدين قلاوون (678 - 689هـ) 1279 - 1290م.

القدس في عهد ملوك مصر (المماليك) بعد الأيوبيين

في كتب التاريخ التي دونت في القرن العشرين الميلادي تسمى الدولة التي أتت بعد الأيوبيين، (دولة المماليك) جمع مملوك وهو (العبد) وهي تسمية خاطئة لم ترد في كتب التاريخ العربية القديمة.. وربما أخذ العربُ هذا الاسم من كتب الأوروبيين. صحيح أن هؤلاء الملوك كان بعضهم مملوكًا قبل توليه الملك ولكن لم يَعُد مملوكًا بعد توليه المُلك.. والأصل في هؤلاء أن (عبوديتهم) غير شرعية وغير قانونية، ولم يكن الأصل في وجودهم أن يكونوا عبيدًا.. (فالمماليك) الأتراك، و(المماليك) الشراكسة كانوا يؤخذون، أو يخطفون من بلادهم وهم أطفال، وينقلون إلى بلاد مصر، أو بلاد الشام ويباعون في سوق العبيد.. وكان ملوك بني أيوب يشترونهم ويربونهم ليكونوا جنودًا محاربين، وقوادًا في المعارك.. ومن الظلم لهؤلاء الملوك أن نصفهم بالمماليك وقد كان عصرهم من أزهي العصور الإسلامية في الجهاد والعلوم. فقد عُرف هؤلاء الملوك بجهادهم وكفاحهم لطرد المغيرين من الفرنجة والمغول، كما عُرفوا باهتمامهم بالعلم، حيث فتحوا المدارس وأقاموا المساجد، وبنوا عددًا كبيرًا من الزوايا والتكايا للحجاج القادمين من مختلف

الرباط المنصوري، أنشأه عام 681هـ بباب الناظر، وأوقفه على الفقراء وزوار بيت المقدس.. وقد استعمله العثمانيون الأتراك سجنًا، وكانوا يسمونه (حبس الرباط).

والرباط يُعدُّ مدرسة في تاريخ الإسلام، لأن طلاب العلم كانوا يسكنونه. وفي الأقوال المشهورة (افتح مدرسة تغلق سجنًا) وأما الأتراك فقد (أغلقوا مدرسة ليفتحوا سجنًا).

وفي زمن قلاوون عُمّر سقف المسجد الأقصى من جهة القبلة مما يلي الغرب عند جامع النساء.

وأقام المسجد القلندري سنة 680هـ نسبة إلى الطريقة القلندرية المنسوبة إلى قلندر يوسف.

وفي عهد السلطان كتبغا المنصوري (694 - 696هـ) جُددت فصوص قبة الصخرة، وجددت عمارة السور الشرقي المطل على مقبرة الرحمة. وفي سنة 695هـ بُنيتْ المدرسة الدوادارية، بناها علم الدين سنجر بن عبدالله الدوادار (رتبة وزارية) ويسمى باب المسجد بسببها باب الدوادارية، أو باب شرف الأنبياء وفي عهد سلطنة محمد بن قلاوون بُني (رباط كرد) مضاف إلى كرد، حاجب الديار المصرية، بباب الحديد بجوار السور، عام 693هـ.

والمدرسة الوجيهيّة عند باب الغوانمة، منسوبة إلى الشيخ وجيه الدين عام 701هـ. والمدرسة السلامية.. وزاوية المصمودي بأعلى حارة

المغاربة. وفي سنة 710هـ بُني الجامع الكائن بداخل القلعة. وفي سنة 720هـ/1320م أُنشئت زاوية أبي مَدْين في حيّ المغاربة حتى أصبح الوقف يُعرف بأوقاف أبي مَدْين..

وفي سنة 727هـ قلّ الماءُ بالقدس حتى بلغ شرب الفرس مرة واحدة نصف درهم فضة، فاهتم تنكز نائب الشام بالأمر فأمر بتعمير (قناة السبيل) وإيصالها إلى وسط المسجد الأقصى سنة 728هـ. وعمل البركة الرخام بين الصخرة والأقصى (بركة الكأس).. وله أعمال جليلة في المسجد الأقصى ما بين إنشاءات جديدة، أو تجديد قديم، وإصلاح خلل وفي أيام محمد بن قلاوون: أنشئت المدارس:

المدرسة الجاولية، واقفها الأمير علمٍ الدين سنقر الجاولي نائب غزة شمالي الحرم. اتخذها الأتراك قشلاقًا ودارًا للحكم..

والمدرسة الكريمية بباب حطة أوقفها سنة 718هـ كريم الدين عبدالكريم ناظر الخواص الشريفة بمصر.

والمدرسة التنكزية، أوقفها الأمير تنكز نائب الشام، عند باب السلسلة سنة 729هـ.

والمدرسة الأمينيّة بباب شرف الأنبياء واقفها أمين الدين عبدالله سنة 730هـ تقع شمال الحرم.

والمدرسة الملكية عمرها ملك الجوكندار سنة 741هـ.

والخانقاه الفخرية مجاورة لجامع المغاربة من جهة الغرب بداخل سور المسجد، واقفها القاضي محمد بن فضل الله الملقب بفخر الدين وهدمها اليهود سنة 1967.

وفي عهد حسن بن محمد بن قلاوون (755 - 762هـ / 1354 - 1361م) أنشئت المدرسة الفارسية في شمال الحرم واقفها الأمير فارس سنة 755هـ.

والمدرسة الأرغونية، أقامها الأمير أرغون نائب الشام عام 758هـ بباب الحديد.

والمدرسة الخاتونية: بباب الحديد غربي الحرم، واقفتها أوغل خاتون بنت محمد عام 755هـ.

والمدرسة القشتمرية، بباب الناظر واقفها الأمير قشتمر 759هـ.

ودار القرآن السلامية، واقفها سراج الدين السلامي 761هـ.

والمدرسة الحسنية: عند باب الأسباط، واقفها شاهين من موظفي السلطان حسن بن محمد.

والمدرسة الأسعردية: واقفها عبدالغني الأسعردي 760هـ.

وفي عهد المنصور صلاح الدين حاجي بن محمد (762 - 764هـ).

أنشئت المدرسة الطازية بالقرب من باب السلسلة نسبة إلى الأمير طاز.

والمدرسة المنجكية بباب الناظر، واقفها الأمير منجك نائب الشام.

والمدرسة المحدثية عند قبو باب الغوانمة، واقفها رجلٌ محدّث اسمه عبدالعزيز بن سليمان سنة 762هـ.

وفي عهد السلطان شعبان بن حسين حفيد محمد بن قلاوون 764 - 778هـ.

المدرسة الباوردية بباب الناظر واقفتها الحاجة سفري خاتون ابنة أبي بكر بن محمود المعروف بالباوردي سنة 768هـ.

والمدرسة الحنبلية عام 768هـ بباب الحديد.

والمدرسة اللولوية، واقفها الأمير لولو غازي

ثم جاءَت دولة ملوك مصر الثانية، وأصلهم من الشراكسة، فقيل الدولة الشركسية.

ومؤسس هذه السلسلة من السلاطين الملك الظاهر برقوق، وهو عندي عالي الجناب، رفيع العماد، لأنه مؤسس مدينة خان يونس مسقط رأسي، بناها الأمير يونس، كبير الوزراء في دولة برقوق وفي خان يونس قلعة الملك برقوق، ما زالت ماثلة. وفي عهده كان في القدس ما يلي:

المدرسة الجهاركسيّة: واقفها الأمير جهركس..

والبركة المعروفة ببركة السلطان بظاهر القدس عام 801هـ.

ودكة المؤذنين التي بجامع الصخرة تجاه المحراب إلى جانب باب المغارة.

وخان السلطان سنة 788هـ، وكان يعرف بالوكالة.

ودار الست: بنتها الست طنسق المظفرية 794هـ وتسمى (تربة خاصكي سلطان).

وفي سنة 785هـ وصل الماء إلى القدس من قناة العروب بعد عمارتها بأمر من برقوق.

والمدرسة الطولونية: أنشأها أحمد بن محمد الطولوني، تقع بداخل المسجد على الرواق الشمالي.. حوالي 795هـ.

والمدرسة الفنرية: نسبة إلى محمد شاه بن الفنري..

وفي عهد الملك الأشرف برسباي (825-841هـ / 1422-1437م) المدرسة الباسطية في شمالي الحرم، نسبة إلى عبدالباسط بن خليل ناظر الجيوش المنصورة. سنة 834هـ.

والمدرسة الغادرية: واقفها ناصر الدين محمد بن دلغادر سنة 836هـ.

والمدرسة الحسنية: بباب الناظر غربي الحرم واقفها الحسن بن ناصر الدين ناظر الحرمين ونائب السلطة سنة 837هـ.

والمدرسة العثمانية: عام 840هـ تقع بباب المتوضأ إلى الغرب من ساحة الحرم..

وإنشاء سبيلين: سبيل علاء الدين البصيري غربي الحرم عام 839هـ والثاني سبيل شعلان جدد عام 832هـ.

وفي عهد الملك الأشرف قايتباي: (873-902هـ / 1468-1496م) كان في القدس:

الرباط الزمني: عام 881هـ منسوب إلى محمد بن الزمن وجدد عمل الرصاص على ظاهر الجامع الأقصى.

والمدرسة المزهرية: عام 885هـ أنشأها أبو بكر بن مزهر صاحب ديوان الإنشاء بمصر.

ومن أهم الآثار في عهد قايتباي المدرسة الأشرفية التي كانت تُعدُ أُعجوبة في فن بنائها، ومستوى علمها وعلمائها سنة 885هـ.

انتهى حكم ملوك مصر في الشام سنة 922هـ / 1516م عندما تلاقى جيش ملوك مصر بقيادة قانصوه الغوري مع جيش الأتراك في مرج دابق بقيادة السلطان سليم..

وبدخول حكام الأتراك إلى القدس بُذرت بذور النكبة الكبرى حيث تمكن اليهود في أيامهم، وفتحوا لهم أبواب الهجرة، وملكوهم الأراضي.. بدأ العهد التركي واليهود يعدون بالمئات في فلسطين، ولم يكونوا يملكون شبرًا في أرض فلسطين، وانتهى عهدهم سنة 1917 واليهود حوالي مائة ألف، ولهم مدارس ومزارع منها ما هو هبة وعطية من حكام تركيا، ومنه ما اشتروه من تجار بيروت الذين اشتروا أراضي باعتها الدولة التركية لأن أهلها عجزوا عن دفع الضرائب.

القدس في العهد التركي (العثماني)

1- فتحت معركة (مرج دابق) للأتراك أبواب الشام.. ثم خرج السلطان سليم من الشام وقصد التوجه نحو الديار المصرية، فاستولى على طرابلس وصفد وغزة وبيت المقدس وجبل نابلس وعدة بلاد مما حولها.. وكان دخوله القدس سنة 922هـ / 1517م.

.. وقد خُطب للسلطان سليم على المنابر فقال الخطباء (وانصر اللهم السلطان ابن السلطان مالك البرَّيْن والبحرين، وكاسر الجيشين، وسلطان العراقَين، وخادم الحرمين الشريفين.. الملك المظفر سليم شاه..).

وسوف نؤرخ للقدس في العهد العثماني، ونذكر ما لهؤلاء السلاطين من آثار عمرانية، ونذكر أخطاءَهم الإداريّة والسياسية التي وضعت القدس في آخر أيامهم سنة 1917 على شفير الهاوية، إن لم تكن قد وُضِعَت في الهاوية..

2- يُقال: إن الخليفة العباسي الذي كان بالقاهرة، تنازل عن منصبه، أو أوصى بمنصبه (الخليفة) إلى السلطان العثماني.. ولذلك قيل (الخلافة العثمانية)..

قال أبو أحمد: وسواءٌ أصحَّ هذا الخبر أم لم يصحّ، فإنَّ لقب (الخلافة) الذي حمله، أو تلقب به الأتراك، باطل ولا يصح لأن الخليفة العباسي الذي كان سجين قصره في القاهرة، لم يكن خليفة شرعيًا، ولو كان خليفة شرعيًا ما صح له أن ينقله إلى غيره.. ذلك أن المسلمين ليسوا عبيدًا مملوكين ليتولى عليهم مَنْ يشاء وينقل الولاية عليهم إلى مَنْ يشاء، فاختيار الخليفة يكون بالشورى والانتخاب لمن كان أهلا لهذا المنصب حسب الشروط التي وضعها الفقهاء وارتضتها الأُمة.. والخليفة الذي كان في القاهرة كان يختاره السلطان (المملوكي) وليس في أحد من ملوك بني العباس صفات تؤهله أن يكون خليفة شرعيًا ولم يتصرف واحد منهم في أمور الرعية انطلاقًا من أحكام الشريعة. ولذلك نقول: إنَّ لقب (الخلافة) في بني عثمان، ليس شرعيًا، لأنهم أخذوه ممن لا يملكه.. هذا ولم تطل حياة السلطان سليم بعد الاستيلاء على القدس، حيث توفي سنة 1520 وتولى أمر السلطنة العثمانية ابنه سليمان الملقب بالقانوني..

3- وفي عهد سليمان القانوني جُدّدت عمارة سور القدس، ورمَّم القلعة وعمّر بركة السلطان وعددًا من السُّبُل .. وعمّر قبة الصخرة وأعاد تبليطها.. وعمّر جدران المسجد الأقصى (الحرم القدسي) وأبوابه وسدّ الباب المعروف بالباب الذهبي في الحرم..

وأنشأ مسجدًا فوق جبل الزيتون (الطور) وفي عهده أُنشئت التكية المعروفة بتكية خاصكي سلطان في عقبة المفتي، أنشأتها زوجته الروسيّة روكسيلانة.

والمدرسة الرصاصية.. وحوّل مقام النبي داود إلى مسجد وبُني محراب النبيّ غربي الصخرة إلى الشمال بين قبة الصخرة وقبة المعراج...

دام حكم السلطان سليمان حتى سنة 1566..

4- وفي عهد السلطان محمود الثاني (1808-1839).. قام سليمان باشا والي صيدا بترميم المسجد الأقصى على نفقته الخاصة..

5- وفي عام 1831 سقطت القدس في أيدي إبراهيم بن محمد على ملك مصر.. ورحل عن البلاد سنة 1840.

ولم يترك آثارًا ذات قيمة تاريخية.. لأن المدة التي أمضاها في الشام قصيرة، ولأنه جوبه بثورة داخلية، حرّكتها تركيا، والإنجليز. ومن الأحداث ذات الدلالة التي جرت في زمن إبراهيم باشا أن حاييم منتفيوري، وهو يهودي إنجليزي، جاء إلى فلسطين سنة 1836 وحاول أن يقنع إبراهيم باشا وأباه محمد علي، أن يؤجراه أرضًا مساحتها خمسون فدانًا، ومئتي قرية، مدة خمسين عامًا،بإيجار معين يسدده في أقساط سنوية. ولكن محمد علي باشا الذي استشار ولده إبراهيم في هذا المشروع رفض رفضًا باتًا...

وفي حدثٍ آخر أن اليهود أرادوا يومئذ أن يُسمح لهم بشراء الأراضي للزراعة وتعاطي الحرث والزرع وبيع الأغنام والأبقار وإنشاء المصابن والمعاصر..

وعُرض الأمر على مجلس القدس فرفضه، ثم رُفع إلى محمد علي بمصر فأيّد قرار مجلس شورى القدس.. وفي مبررات الرفض:

(أن أراضي تلك الديار بريّة ووقفيّة، والتماسهم ذلك لا يوافق حكم الشريعة..) وسمح لهم بتعاطي البيع والشراء بالتجارة التي يجلبونها من بلادهم.

ومن دلالات الخبرين السابقين: أن اليهود غرباءُ طارئون، وأنهم حتى ذلك التاريخ لم يكونوا يملكون الأراضي الزراعية، وإنما كانوا يأتون تجارًا ويجلبون معهم البضائع لبيعها.. وتمعن في قوله (التجارة التي يجلبونها من بلادهم) أي: البلاد التي جاءوا منها، وتمعن في قوله: (أراضي تلك الديار وقفيّة والوقف لا يجوز امتلاكه، ولا ينتفع به إلا أهله).

ومن أحداثِ هذا الزمن - زمن إبراهيم باشا - أن بريطانيا عينت لها قنصلاً في القدس سنة 1839، فكانت أول الدول التي أرسلت قناصلها إلى المدينة المقدسة (القدس).. ومن المعروف أن بريطانيا كانت تحمي اليهود في فلسطين حسب قرار سلطاني.. فحصل أن أحد الرعايا الإنجليز اليهود قد مرض، فنذر إن شُفي أن يبلّط زقاق البُراق الملاصق لحائط البراق في حارة المغاربة، وقد حمل هذا النذر القنصل البريطاني في القدس إلى السلطات الإدارية لأخذ الإذن بذلك، ولكن مجلس شورى القدس رفض الإذن، ورُفع الأمر إلى محمد علي باشا في مصر، فأمر بمنع اليهود من تبليط شارع البراق، كما أمر بألا يرفع اليهود أصواتهم عند الوقوف أمام حائط البراق.

6- انتهى عَهْدُ إبراهيم باشا بأمر من الدول الأجنبية، كما نصَّ عليه المرسوم الذي أصدره السلطان عبدالمجيد، بتعيين أحمد آغا الدزدار متسلمًا للقدس، وإلغاء حكم المصريين حيث يقول: (صدرتْ الإرادة الشاهنشاهية باتفاق آراء الدول المتحابة بإزالة الأحكام المصرية عن هذه البلاد).. وبانتهاء الحكم المصري في بلاد الشام قُتِلَ أول مشروع للوحدة العربية في العصر الحديث.

7- وفي عهد السلطان عبدالمجيد، امتلك اليهود أول أرض في المدن الفلسطينية وذلك عام 1854 وهي القطعة التي أُقيم عليها (حيّ منتفيوري) في القدس، نسبة إلى منتفيوري الثري اليهودي البريطاني الذي شجّع فكرة الاستيطان اليهودية.

وفي عهد السلطان عبدالمجيد قامت حرب القرم بين روسيا وتركيا فانتصرت فرنسا لتركيا، فأرادت الحكومة التركية أن تكافئ فرنسا، فلم تجد إلا أوقاف القدس المرصودة للعلم والعلماء. ففي سنة 1856 صدر أمر لمتصرف القدس بتسليم (المدرسة الصلاحية) - التي أوقفها صلاح الدين الأيوبي - لقنصل فرنسا فسلمت له وبنى لها سورًا وحصنها.. وصارت فيما بَعْدُ كنيسة..

8- ثم تولى السلطان عبدالعزيز 1861 - 1876.. وفي زمانه زار الأمير فريدريك - وليّ عهد بروسيا - القدس فأهداه السلطان عبدالعزيز بقعة كانت في الأصل تؤلف قسمًا من المستشفى الصلاحي، حيث بُني عليها فيما بَعْدُ كنيسة حملت اسم كنيسة الدباغة، أو كنيسة المخلص التي افتتحها الإمبراطور غليوم يوم زيارته القدس عام 1898.

وفي عهد السلطان عبدالعزيز منحت الحكومة التركية اليهود قطعة أرض أُقيمت عليها مدرسة (نيتر) الزراعية بالقرب من يافا، وذلك لأطفال (الملّة الموسويّة). وكان ذلك سنة 1870.

9- وجاء السلطان عبدالحميد الثاني سنة 1876 وانتهى سنة 1909.

وفي أيامه جاء الإمبراطور غليوم الألماني زائرًا إلى القدس سنة 1898 وقد جاء الإمبراطور من يافا إلى القدس في مركبة، ولكنه دخلها راكبًا جوادًا وهو متشح برداء أبيض حاسبًا نفسه حاجًا وصليبيًّا متمثلاً بأحد أجداده القدماء الذين غزوا القدس في الحروب الصليبيّة. ولم يدخل الإمبراطور المدينة من أحد أبوابها المعروفة بل فتحت له الحكومة ثغرة في السور بالقرب من باب الخليل. والغاية من ذلك أن لا يكون الإمبراطور تحت سقف أو سلطة أجنبيّة..

وأهداه السلطان عبدالحميد قطعة أرض تقع على جبل صهيون مساحتها نحو دونمين.. وبنى فيها الألمان كنيسة للكاثوليك، وتم افتتاحها عام 1910 وتسمى (كنيسة نياحة العذراء).

10- الآثار التركية في القدس:

أ) تجديد عمارة سور القدس، وبناء الجزء العلويّ منه، لأن أساساته كانت موجودة.. وكان متهدمًا في بعض أجزائه.. وبدأ التجديد سنة 1536 ودام العمل فيه خمسة أعوام في زمن سليمان القانوني وظلت

مدينة القدس محصورة بين الأسوار قرابة ثلاثة قرون.. وكانت بداية البناء خارج السور بعد سنة 1858 بعد بناء (المسكوبية).

ب) السكة الحديديّة التي تربط القدس بيافا، وقد بوشر بالتأسيس سنة 1889 وانتهى العمل 1892. وكانت المحطة واقعة في حيّ البقعة.

ج) المستشفى البلدي في عهد عبدالحميد الثاني 1891 في حي الشيخ بدْر.

د) إضافة أبنية جديدة إلى القلعة، وترميم ما تهدم منها.

هـ) مسجد الطور على جبل الزيتون سنة 1517.

و) تكية خاصكي سلطان أنشأتها زوجة سليمان القانوني سنة 1552، وهي روكسيلانة الروسية.

ز) المدرسة الرصاصية سنة 1564 بدأت رباطاً ثم صارت مدرسة، وبقيت مدرسة حتى أواخر العصر التركي.

ح) المدرسة الرشيديّة سنة 1906 بناها رشيد بك متصرف القدس.

اعطى حكام الأتراك وزعماءُ العرب فلسطين للإنجليز،

ومنحها الإنجليز لليهود

وكيف كان ذلك؟

تبدأ القصة مع بداية الحُكْم التركي، ونذكر النقاط التالية:

1- بدأ العصر التركي ولم يكن لليهود وجود في فلسطين والقدس.. ووجود عشرات أو مئات لا يمثل وجودًا له أُصول، وانتهى العصر التركي فأصبح عدد اليهود حوالي ثمانين ألفًا.

2- بداية الوجود اليهودي عندما سمح سليمان القانوني وابنه سليم لليهود الفارين من الأندلس بالهجرة إلى فلسطين.

3- السلطان عبدالمجيد أصدر فرمانًا يسمح للثري اليهودي الإنجليزي مونتفيوري بشراء أرض في غربي القدس، وكان أساسًا لنشوء القدس اليهودية.

4- أهدى السلطان عبدالعزيز أرضًا لليهود لبناء مدرسة زراعية لأبناء اليهود.

5- سجلنا أن اليهود طلبوا في عهد محمد علي باشا السماح لهم بمزاولة الزراعة وتربية الأغنام والأبقار وصناعة الصابون، فلم يسمح لهم وهذا يدل على أنهم حتى هذا التاريخ لم يكونوا يملكون الأراضي الزراعية وأنهم كانوا غرباء، لا يتمتعون بجنسية البلاد.

6- باع السلاطين أرض السلطان التي تسمى (الجفتلك) فاشتراها الصيارفة اللبنانيون، ثم نقلوها إلى اليهود... وأراضي السلطان هي الأرض التي لم يقم أهلها بتسجيلها في (الطابو).

7- غض الطرف عن الهجرة اليهودية، والسكوت على بقاء المهاجرين اليهود في فلسطين.

8- تولية الحكام والمتصرفين الذين كانوا يقبضون الرشوة من اليهود.

9- سمح سلاطين الأتراك لليهود بزيارة حائط البراق والبكاء أمامه،ولم يكن مسموحًا به من قبل.

10- دخلت الحكومة التركية في الحرب العالمية الأولى، وليس لها فيها ناقة ولا جمل..

11- كانت حصيلة العصر التركي وما قدمه الأتراك لليهود مئات الألوف من الدونمات، وحوالي مائة ألف يهودي، وكلّ ذلك بدأ من الصفر والعدم. وبناءً على هذه التسهيلات أو الفساد الإداري بنى الصهاينة مشروعهم، واعتمد عليه الإنجليز في وعدهم اليهود أن تكون فلسطين وطنًا قوميًّا لهم.

وكان يمكن إصلاح هذا الخلل، ورتق هذا الفتق، لو استمرت بواكير الصحوة الفلسطينيّة، وكان يمكن وضع السدود أمام هذا الطوفان.. ولكن زعماء العرب ضلّوا الطريق، ولم يعتمدوا على قدراتهم الذاتية، ولم يطلبوا العون من الله، وإنما طلبوه من أعداء الله وعدوّهم الإنجليز..

فكيف كان ذلك؟

1- قامت الحرب العالمية الأولى بين ألمانيا من جهة، وبريطانيا وفرنسا من جهة أُخرى.. فحرض الإنجليز عناصر من أهل الحكم في تركيا للانضمام إلى ألمانيا.. فأعلنت تركيا دخول الحرب بجانب ألمانيا.. فاتصلت بريطانيا بالشريف حسين في مكة، وزعماء من العرب في بلاد الشام ورغبتهم في إعلان الثورة على تركيا - والانضمام إلى الإنجليز، لطرد تركيا من الشام والعراق، ووعدهم الإنجليز بإعطائهم الاستقلال بعد أن تضع الحرب أوزارها،ويتمّ النصر، فكان لبريطانيا ما أرادت فصوّب العرب بنادقهم نحو الأتراك، وتمَّ النصر على الأتراك بسلاح العرب.. وقبل أن تضع الحربُ أوزارها اتفق الإنجليز والفرنسيون على تقسيم البلاد التي تؤخذ من تركيا بين فرنسا وإنجلترا (اتفاقية سايكس - بيكو) سنة 1916.. على أن تكون فلسطين من حصة بريطانيا.. وقبل نهاية الحرب، وقبل دخول الإنجليز إلى فلسطين أعطى الإنجليز وَعْد بلفور لليهود بأن تكون فلسطين وطنًا قوميًا لهم .. ووصل الخبر إلى مسامع الزعماء العرب.. فأرسلوا إلى بريطانيا يسألون عن حقيقة الوعد، فجاءَهم الجوابُ بالوعد بأن لا نظلم العرب وبقي الزعماءُ العرب على دعمهم لبريطانيا.. ثم انتهت الحرب فكان وعْد بريطانيا لليهود

وعدًا حقيقيًا بالوطن، وكان وعْد بريطانيا للعرب إيعادًا بالشر المستطير.. وبريطانيا لا تلامُ في سلوكها لأنها عملتْ بمذهبها،وكانت مخلصة لعقيدتها. وعقيدتها كراهية العرب والمسلمين إلى الأبد فاللوم والتقريع والتأنيب إنما يُوجّه للزعماء العرب الذين تنكروا لعقيدتهم.. وصدقوا وعود عدوّهم، وسدّدوا سهامهم إلى إخوانهم في العقيدة..

لا ننكر أن حكام الأتراك كانوا ظالمين، وكانوا فاسقين،وأنهم أهملوا عناصر العروبة والإسلام، وهجروا اللسان العربي، لسان الإسلام.. ولكن هذا الخطأ كان يمكن إصلاحه بثورة داخلية لا تستعين بأعداء العرب والأتراك..

2- ولتحقيق بريطانيا وَعْد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ندبت بريطانيا نفسها لإدارة شؤون فلسطين من سنة 1918 - 1948 وعندما أنهت انتدابها كانت قد هيأت الظروف كلها لإقامة كيان يهودي في فلسطين له مقومات الدولة الحديثة، وعملت على تقهقر حال العرب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعسكري بحيث لا يستطيع الصمود أمام العصابات اليهوديّة.

3- ثم انتقلت القضية إلى أيدي زعامة محليّة غير مؤهلة، أفرزهم مجتمع أنهكه الجهل والفقر في العصر التركي. وقادوا أحزابًا متناحرة، ومظاهرات غوغائية، وعقدوا مؤتمرات، لم ينتج عنها إلا مؤتمرات متوالية، ولقاءات مع المسئولين البريطانيين، والرجوع (بخفي حنين) بوعود تتلوها وعود حتى حلّت النكبة وهم لا يعلمون.

ودخل الإنجليزُ بيت المقدس

لم يهتم الأتراك الاهتمام المطلوب للدفاع عن القدس.. وكان ينبغي أن يكون من الواضح أن ضياع القدس سيكون ضربة قاصمة للدولة العثمانية وكسبًا معنويًا كبيرًا للحلفاء.. ولذا كان من الغريب إهمال إعداد خطة دفاعية رصينة للدفاع عنها واتخاذ ما يلزم لتنفيذها، مع مساعدة طبيعة الأرض المحيطة بالقدس وملاءمتها لأغراض الدفاع بصورة ممتازة.. إلا أن الأتراك انسحبوا أمام ضربات الإنجليز..

وفي اليوم الثامن من كانون الأول عام 1917 وفي ليلة الأحد بعث متصرف القدس عزت بك يطلب مفتي القدس كامل الحسيني ورئيس بلديتها حسين الحسيني، إلى داره، وفيها خاطبهما قائلاً.. قد أحاطت الجنود الإنجليزية بالقدس، ولابدَّ أن تسقط في أيديهم، وأنا سأترك المدينة بعد نصف ساعة وسألقي بين أيديكم هذا الحمل الأدبي العظيم يعني تسليم المدينة للإنجليز.

وفي نحو الساعة التاسعة من صباح يوم الأحد 1917/12/9 خرج رئيس البلدية بصحبة ابن أخيه توفيق الحسيني ومفتشا الشرطة

عبدالقادر العلمي وأحمد شريف وفريق من الشبان.. يحمل أحدهم العلم الأبيض إشارة التسليم.. وبعد وقت ورد الأمر من لندن بطلب الراية البيضاء لتحفظ في المتحف الحربي. وهذه أهم الأحداث التي جرت في العهد البريطاني:

1- استولى الإنجليز على القدس سنة 1917، واستولوا في مطلع 1918 على المناطق الجنوبية لفلسطين، ومع أن الإدارة كانت عسكرية فقد أخذت تعمل معها لجنة صهيونية أرسلت إلى فلسطين بموافقة الحكومة البريطانية لأجل تنظيم التدابير التي تضع السياسة التي انطوى عليها تصريح وعد بلفور موضع التنفيذ. ففي شهر نيسان 1918 حضر إلى القدس وفد يمثل اللجنة الصهيونية في لندن برئاسة الدكتور حاييم وايزمان وقام العسكريون القائمون على شؤون البلاد بعقد اجتماعات بين وجهاء البلاد وبين أعضاء اللجنة الصهيونية لشرح أهداف الزيارة ولإزالة مخاوف الفلسطينيين من إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

2- في أيار من عام 1918 طلب وايزمان من السلطة العسكرية التوسط لشراء الممر المؤدي إلى حائط البراق الذي يسمونه (حائط المبكى) وعرض ثمانين ألف جنيه ثمنًا، فرفض المسلمون هذا العرض وقال المفتي كامل الحسيني (لا يستطيع أيُّ إنسان أن يتصرف بأملاك الوقف وخصوصًا هذا المكان، بأي مبلغ مهما كثر، ولو كان البيع إلى مسلم، فكيف إذا كان الطالب يهوديًا ونحن نعرف أهدافهم لامتلاك الحائط وما في جوانبه).

الوسائل الابتدائية للمقاومة الفلسطينية:

1- بدأ الفلسطينيون منذ بداية الاحتلال، وإعلان وعْد بلفور، بإقامة المؤسسات الاجتماعية والثقافية والسياسية في القدس، لمقاومة الاحتلال، وتثقيف الجمهور بأخطار الحركة الصهيونية..

ووازن بين مؤسسات ابتدائية، تريد أن تقاوم مؤامرة دولية، وبين مخططات يهودية مدروسة مضى على إعدادها عشرات السنوات تدعمها بريطانيا العظمى، والمال اليهودي الوفير.

2- في 1920/2/20 دُعي (رؤساء الطوائف) وأعيان البلاد إلى اجتماع عُقِد في القدس وتلي عليهم قرار الحلفاء بانتداب بريطانيا لإدارة فلسطين ودمج (وعْد بلفور) القاضي بإنشاء وطن قومي لليهود، في صك الانتداب.. وقد أُدرج وعْد بلفور في مقدمة صك الانتداب الذي قررته عصبة الأمم في 1922/7/24..

3- بعد هذا التصريح بأسبوع قامت في القدس مظاهرة كبرى يتقدمها موسى كاظم الحسيني، عرجت على جميع دور القناصل الأجنبية وسلموها بيانات ترفض جعل فلسطين وطنًا قوميًا لليهود. فكانت أول مظاهرة سياسية كبرى حصلت في فلسطين بعد الاحتلال البريطاني.

4- دخل الإنجليز القدس سنة 1917 وفي سنة 1920 أعلنت بريطانيا أنها سوف تنتدب نفسها لإدارة فلسطين لتطبيق وعْد بلفور.. وبعد ذلك بأسبوع قامت مظاهرة تستنكرُ.. وتبلّغ الاستنكار إلى قناصل الدول الأجنبية..

وهذا يظهر مستوى الجهل الذي انحدر إليه أهل فلسطين، مع بداية تنفيذ الخطة لإنشاء وطن قومي يهودي. فسلاحهم الأكبر المظاهرات التي تأذن بها السلطات البريطانية، ويبلغون إنكارهم إلى أعدائهم.. فقناصل الدول الأجنبية، تمثل دولهم عصبة الأمم التي أقرت وعْد بلفور..

5- كان أول عمل عملته الحكومة البريطانية أن عهدت بإدارة البلاد إلى (مندوب سامٍ) هو هربرت صمويل، وهو يهودي وصهيوني مكث في البلاد خمس سنين (1920 - 1925) فسنَّ لها من الأنظمة والقوانين ما جعلها صالحة أو معدّة لإنشاء دولة يهودية.

6- ثورة عام 1920 في مناسبة موسم النبي موسى، وقُتل في هذه المناسبة خمسة من اليهود، واستشهد أربعة من العرب.

7- في شهر آذار عام 1921 أمر المندوب السامي بتشكيل مجلس إسلامي أعلى يشرف على إدارة الأوقاف الإسلامية وتعيين قضاة المحاكم الشرعية، وبهذا القرار صار المسلمون أقلية تدير شؤونها، إشارة إلى وجود طوائف أُخرى لها الحقُّ نفسه، وانتخب الحاج أمين الحسيني رئيسًا لهذا المجلس، وهو المفتي العام لفلسطين أيضًا بعد وفاة أخيه كامل الحسيني.

8- وفي آذار عام 1925 قام اللورد بلفور بزيارة فلسطين لافتتاح الجامعة العبرية في القدس.. وأعلن أهل فلسطين إضرابًا عامًا يوم وصول بلفور.

ثورة البُراق سنة 1929

(البُراق) مضاف إليه، المضاف محذوف هو (حائط) وهو حائط البراق... و(حائط البراق) هو الحائط الذي يحيط المسجد الأقصى (الحرم) من الناحية الغربية. وأُضيف الحائط إلى (البراق) والبراق هو الدابة التي أُسري بالنبي محمد عليها، ليلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى - وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن النبي عليه السلام ربط دابته بهذا الحائط عندما وصل إلى بيت المقدس.. أو ربط دابته بصخرة عند هذا الحائط وفي هذا المكان..

وقداسة هذا الحائط - عند المسلمين - لم تأت فقط من ربط البراق به أو عنده، فهذه صفة زائدة، تزيد في قدسيته، لاتصاله بآثار النبي محمد ﷺ.

ولكن القداسة الأصلية جاءَت من كون هذا الحائط جزءً من المسجد الأقصى (الحرم القدسي الشريف) الذي ذكره الله في القرآن في سورة الإسراء.. والمساجد كلها ذات حُرمة وقداسة فكيف إذا كان المسجد الأقصى أحد ثلاثة مساجد رفعها الإسلام مكانًا عليًا على غيرها من المساجد، وجعل ثواب الصلاة فيها مضاعفا؟!

والمسجد في الإسلام خاص بالمسلمين، ولا تجوز الشركة فيه مع أهل الديانات الأخرى، لأن المسلمين أصحاب عقيدة تختلف عن عقائد الأديان الأخرى ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون: 6).. ويدخل في تعريف المسجد وحدوده: الساحات التي تقع داخل سور المسجد، وسور المسجد ظاهره وباطنه، وأرض المسجد: سطحها، وسماؤها وباطنها..

هذا الجدار (حائط البراق) زعم اليهود أنه من بقايا بناءٍ أقامه الحاكم الروماني (هيرودوس) سنة 18 ق.م، ويطلقون على هذا البناء اسم (الهيكل).. لزعمهم أنه تجديد لهيكل بُني في عَهْد الفُرس، وأن هذا الأخير تجديد لهيكل بناه سليمان.. وصلة المسجد الأقصى بما يسمى الهيكل كذبة يهوديّة، اخترعها اليهود، عندما فكر اليهود، مدعومين من بريطانيا والصليبيّة الأوروبية، باتخاذ فلسطين مكانًا لتجميع اليهود المشتتين في العالم.. فكان لابُدَّ من كذبة دينيّة تشجع اليهود على الهجرة إلى فلسطين.. فسليمان لم يوجد في القدس، ولم يوجد في فلسطين.. وهيرودوس بنى قصرًا ليسكنه ولم يبن معبدًا، وبنى ما بنى بوصفه حاكمًا رومانيًا ليس له صلة باليهوديّة.. وقد هدم (طيطس) سنة 70م كل ما بناه هيرودوس. ولا يُعرف في تاريخ القدس والمسجد الأقصى، منذ فتحْ العرب المسلمين القدس، حتى بداية العصر التركي، أن اليهود كانوا يصلون إلى المسجد الأقصى أو يتعبدون أمام جزء من أجزائه. وقد فصّل مجير الدين الحنبلي في كتابه (الأُنس الجليل) تاريخ القدس والمسجد الأقصى، ولم يذكر أن اليهود كانوا يأتون

إلى (حائط البراق) وتوفي الحنبلي في بداية العصر التركي (1516) وفي سنة 1670 زار القدس الرحالة التركي (أوليا شلبي) وكتب عنها مفصلاً، ولم يذكر شيئًا عن صلة اليهود بالمسجد الأقصى. كما زارها سنة 1696 الرحالة (هنري هوندول) وكتب عن رحلته في كتابه (رحلة من حلب إلى القدس).. ولم يذكر شيئًا عن وجود يهوديّ في القدس..

وأول ذكْر جاء لصلة اليهود بحائط البراق في العصر التركي، وتحديدًا في سنوات ما بين 1830 - 1840 وهي سنوات حكم إبراهيم باشا، المصري. حيث سمح إبراهيم أو أبوه محمد علي، أن يقف اليهود أمام حائط البراق، للبكاء على مجد خياليّ اخترعه زعماؤهم، واختاروا له حائط البراق رمزًا، وسموه (حائط المبكى)..

وهذا السماح كان خطأً شرعيًا، لأنه أعطى اليهود حقًا في جزء من المسجد الأقصى.

.. وكان أصل هذه المنحة أن يقف اليهود أمام الحائط بدون إحداث أصوات، ودون إحضار أدوات..ولكنهم كانوا يزيدون في المباحات كلما رأوا عين الحاكم غافلة..

وعندما جاء الانتداب البريطاني أيّد الوضع الراهن لجميع الأماكن المقدسة في بيت المقدس، ومن جملتها (حائط البراق). ولهذا لم تسمح لليهود الذين يأتون للبكاء عند حائط البراق بأن يضيفوا شيئًا من الأدوات زيادة على ما كان عند بداية الانتداب فمنعتهم الإدارة الحكومية في عام 1925 أن يجلبوا إلى الحائط كراسي ومقاعد.

وفي يوم زيارة اليهود للحائط في أيلول سنة 1928 حملوا معهم ستارًا ليضعوه على الرصيف الكائن أمام الحائط الذي يقف عليه اليهود عند زيارتهم، ويبلغ عرضه أحد عشر قدمًا، ومساحته 120 قدمًا مربعًا.. والغرض من هذا الستار فصل النساء عن الرجال أثناء الزيارة.. فمنعتهم الحكومة من وضع الستار وعقد في القدس في تشرين الثاني 1928 مؤتمر إسلامي حضره مندوبون من سوريا ولبنان والأردن، وكان من قراراته الطلب من الحكومة أن تمنع اليهود منعًا باتًا مستمرًا من وضْع أدوات الجلوس والإنارة والعبادة والقراءَة، وضعًا مؤقتًا أو دائمًا في ذلك المكان، وأن تمنعهم من رفع الأصوات وإظهار المقالات، بحيث يكون المنع في كل هذا متكفلا بأن لا يضطر المسلمون إلى أن يباشروا منعه ورفعه بأنفسهم.. وفي 1929/8/14 أقام اليهود مظاهرة في تلّ أبيب ثم قام جمهور منهم - في اليوم التالي - بمسيرة إلى القدس ومشوا في شوارعها وعندما بلغوا حائط البراق نشروا علمهم وأنشدوا نشيدهم اليهودي، وعلت أصواتهم بالهتاف (الحائط حائطنا).

فأثار هذا الحادثُ العربَ فتظاهروا في اليوم التالي، وكان يوم جمعة ويوم ذكرى المولد النبوي.. واتجهوا نحو حائط البراق فحطموا وأزالوا كلّ أدوات اليهود..

وفي يوم الجمعة 1929/8/23 تدفق القرويون بأعداد كبيرة إلى الحرم الشريف لأداء صلاة الجمعة وهم مسلحون بالعصي والهراوات وبعد الصلاة شنوا هجومًا على اليهود.. وقامت مظاهرات شبيهة في الخليل، وصفد وغيرهما من المدن وهجموا على اليهود.

وكان صدام بين العرب واليهود.. وقُتل في هذه الحوادث 133 شخص من اليهود، واستشهد من العرب 116 نسمة.

وعلى أثر ذلك، ألَفت لجنة الانتداب في عصبة الأمم (الأمم المتحدة) لجنة دولية مؤلفة من سويدي، وسويسري، وهولندي، للتحقيق في أسباب الثورة، فوصلت إلى القدس صيف عام 1930 وقدمت تقريرها الذي يقول: للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي، ولهم وحدهم الحقّ العيني فيه، لكونه يؤلف جزءًا لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي من أملاك الوقف وللمسلمين أيضًا تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط، لكونه موقوفا حسب أحكام الشرع الإسلامي لجهات البرّ والخير..

المؤتمر الإسلامي الأول في القدس

سنة 1931

اتخذ عدة مقررات وتوصيات، لا تختلف عن مقررات أصدرها مؤتمر قمة إسلامي، أو مؤتمر قمة عربي سنة 2004.. وليس فيها قرار بدعوة المسلمين إلى حمل السلاح، أو جمع المال لشراء السلاح.. وقد جاء فيها (استنكار السياسة الإنجليزية الاستعمارية واليهودية واستنكار استمرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ومقاطعة جميع المصنوعات اليهودية في الأقطار الإسلامية)..

التاريخ يعيد نفسه

ما بين سنة 1936 وسنة 2004

وأنا أقصُّ عليك قصة قديمة جرت سنة 1936، وعليك أن تقيس عليها الأفعال المشابهة في العقود الأخيرة من القرن العشرين: في 25/4/1936 أعلن أهل فلسطين الإضراب العام، والثورة وفي أثر ذلك كوّن الزعماء العرب (اللجنة العربية العليا) لقيادة الثورة (الانتفاضة) وقد شملت هذه الثورة فلسطين كلها، وأبلى فيها المجاهدون بلاءً حسنًا، ودبّ الذعرُ والخوف في صفوف الإنجليز واليهود، حتى أخلى اليهود مستعمراتهم، وما كان اليهود يستطيعون السير والتنقل من مكان إلى مكان إلا في سيارات مصفحة بالفولاذ وتحت حراسة الجند.. وعجزت بريطانيا العظمى عن إخماد الثورة..

فكيف استطاع الإنجليز إخماد الثورة؟ لم يخمدوها بالحديد والنار والبطش والتدمير والدبابات والطائرات.. لأن هذه الوسائل لا تؤثر في المجاهدين، وإنما تزيدهم إقدامًا طلبًا للشهادة وطمعًا في الجنة..

لقد كانت (اللجنة العربية العليا) - وهي السلطة الوطنية الفلسطينية - على اتصال دائم مع ملوك العرب وأمرائهم - أملاً في

عونهم وطلبًا لمشورتهم.. لقد لجأت الحكومة البريطانية أولاً إلى الأمير عبدالله، أمير الأردن وإلى نوري السعيد - وزير خارجية العراق وإلى غيرهما من الرجال ذوي النفوذ، لعلهم يقنعون أهل فلسطين بالعدول عن الثورة، فلم يفلحوا في وساطتهم ثم انضم إلى هؤلاء ملوك العرب الآخرون: الملك عبدالعزيز - ملك السعودية - والملك غازي - ملك العراق - والإمام يحيى - إمام اليمن، وأكد الملوك لزعماء فلسطين أنهم حصلوا على تعهدات (؟) من الحليفة (؟) بريطانيا أن تنصف عرب فلسطين، ووعدوهم أيضًا (أي الملوك والأمراء) أن يأخذوا بيدهم فيدفعوا عنهم خطر اليهود..

وقبلت (اللجنة العربية العليا) وساطة الملوك والحكام العرب، فأعلنت إنهاء الإضراب والثورة ابتداء من يوم الاثنين 1936/10/12 بعد أن دام الإضراب 176 يوم.

وصدر البيان التالي الموقع من الملك عبدالعزيز، والملك غازي والإمام يحي، والأمير عبدالله:

(إلى أبنائنا عرب فلسطين بواسطة رئيس اللجنة العربية العليا (رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية)

لقد تألمنا كثيرًا للحالة السائدة في فلسطين، فنحن بالاتفاق مع إخواننا ملوك العرب والأمير عبدالله ندعوكم للإخلاد للسكينة حقنًا للدماء معتمدين على حُسْن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل. وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم)..

... فهل يختلف هذا البيان الصادر عن قمة ملوك العرب، عن البيانات التي صدرت فيما بَعْدُ حتى اليوم؟.. الاختلاف في بعض الألفاظ.. قالوا: (صديقتنا الحكومة البريطانية) ويقولون اليوم سنة 2004 (صديقتنا أمريكا)..

وقالوا: (لتحقيق العدل) ويقولون اليوم: (السلام العادل).

وقالوا: ندعوكم للإخلاد للسكينة. ويقولون اليوم: (إننا ننكر العنف).

وقالوا: (حقنًا للدماء) وقد قالها بعض الحكام العرب عندما دعوا إلى وقف انتفاضة الأقصى سنة 2001 - 2002 .

وأخيرًا كان إخماد الثورة بواسطة زعامة محلية فُرضتْ على الناس..

اتسعت مدينة القدس، وصار ما هو خارج الأسوار يساوي أضعاف ما بين الأسوار، وعندما حلت النكبة سنة 1948 وقع كل ما هو خارج أسوار القدس بيد اليهود، وبقي للعرب القدس القديمة، أو القدس الشرقية، ودخلت في عهدة الحكومة الأردنية..

وفي سنة 1967 صارت القدسُ كلها بيد اليهود، وأعلنوا توحيد القدس، وجعلها عاصمة أبدية لليهود.

القدس تحت الاحتلال اليهوديّ

أتبع اليهود سياسة متكاملة لتهويد القدس وفرض الأمر الواقع. وتم استعمال جملة من الأساليب لتنفيذ سياسة التهويد. أبرزها: الحكم العسكري والاستملاك والمصادرة وإبعاد المناضلين، والاستيلاء على الأرض بحجة أنها أملاك الغائبين، وإعداد الخرائط الهيكلية القاضية بتنازل العربي عن 40٪ من أراضيه للشؤون البلدية، إذا كانت تزيد على دونم (ألف متر) وهدم المنازل العربية وإنشاء المتنزهات والحدائق، وشقّ الطرق في العقارات العربية وحظر انتفاع العربي بأرضه في مناطق معينة.. وقانون تعويض الملاك العرب رمزيًا من أملاكهم، وعدم السماح بترميم الأبنية العربية في القدس القديمة، وإجراء الحفريات على طول الأسوار، وضمن الأحياء وحول الحرم القدسي وتحت جدرانه، واعتداءات على المقابر والأماكن الدينية وقانون استرجاع اليهود لعقارات مزعومة في البلدة القديمة، بالإضافة إلى قانون ضم القدس إداريًا وسياسيًا إلى القدس الغربية.. ويضاف إلى هذه السلسلة من الإجراءات سعْيُ اليهود المستمر إلى التوسع في سياسة تجنيس العرب من أبناء القدس الشرقية لجعل مصير هذه المدينة ومواطنيها العرب كمصير المدن والتجمعات العربية في فلسطين المحتلة سنة 1948.

وكانت جميع الإجراءات الإسرائيلية المتصلة بالقدس، وما تزال، ترمي لإنجاز هدف رئيس هو طمس عروبة القدس واجتثاث العوامل التي تتيح إمكانية تحويل القسم الشرقي من المدينة إلى عاصمة للدولة الفلسطينية.. وقد تمكنت إسرائيل من إيصال القدس إلى وضْع يصعب إزاءَه تصوّر كيفية تغييره أو تقليص أضراره: ومن أهم أساليبهم الاستيطان وبناء المستوطنات، والتسلل إلى التجمعات العربية لتمزيقها وفصلها عن بعضها البعض.. ومنها التضييق على العرب لحملهم على الهجرة من القدس، أو منعهم من العودة إليها.

فقد تمَّ تهجير عشرات الآلاف من أبناء القدس العربية خلال حرب سنة 1967 وتعرض العرب المقيمون في المدينة إلى ضغوط مستمرة خلال السنوات اللاحقة لحملهم على الهجرة، وفي إحصاء، بلغت أعداد العرب المقدسيين الذين هاجروا أو هُجّروا مع عائلاتهم منذ عام 1967 حتى العام 1993 أكثر من 94 ألف شخص.. منهم مَنْ هاجر خارج البلاد، ومنهم مَنْ انتقل خارج حدود البلدية، ومنهم من كان خارج البلاد قبل سنة 1967، فلم يحصلوا على هويات القدس.. هذا وكاد أن يصبح العربُ في القدس الشرقية نقطة في بحر من اليهود.

ويكفي أن نذكر مثالاً للتخريب اليهودي، بعد أيام قليلة من احتلال القدس الشرقية.

فقد ألغوا بلدية القدس العربية، كما ألغوا المحكمة الشرعية فيها وجعلوا المسلمين في القدس وتوابعها تابعين في قضاياهم إلى المحكمة الشرعية في يافا.

واستولوا على مفاتيح باب المغاربة من أبواب الحرم كما استولوا على مساحات واسعة من أراضي المسلمين في القدس وتوابعها بعد أن هدموا 135 منزل من بيوت حارة المغاربة كما استولوا على بقعة من الأرض الإسلامية داخل السور في (حارة الشرف) وهذه البقعة تشتمل على 1034 مسكن و425 متجر، وخمسة مساجد إسلامية، وأربع مدارس قديمة، معظمها وقف ذري..

وقد مضى على احتلال القدس العتيقة 35 عامًا، جرت فيها تغيرات فهُدمتْ بيوت وأُزيلت معالم،وأحدث اليهود تغيرات في المجتمع المقدسي العربي، وفي جغرافية بيت المقدس، لا يحصرها إلا مجلد كبير.. ومع ذلك نقول: كلُّ شيء فوق الأرض يمكن أن يدمروه،ولكن الأرضٍ سوف تبقى ناطقة باللغة العربية الفصيحة (لن أرضى بغير العرب أهلا وسكانًا) ولا ندري في أيّ قرن يكون هذا.

صورة تراثية لمدينة القدس

سنة 900هـ حوالي 1500م

وكانت هذه الصورة في آخر عَهْد حكام مصر (المماليك) وأوائل العصر التركي العثماني: كتبها معاصر وشاهد عصر مجير الدين الحنبلي، في كتابه (الأُنس الجليل بتاريخ القدس والخليل)، فقال:

(وأما مدينة القدس الشريف - هذا يؤرخ لبدايات وصف القدس بالشريف - فهي مدينة عظيمة محكمة البناء بين جبال وأودية، وبعض بناء المدينة مرتفع على علوّ وبعضه منخفض في واد. وغالب الأبنية التي في الأماكن العالية مشرفة على ما دونها من الأماكن المنخفضة. وشوارع المدينة بعضها سهل وبعضها وعْر، وفي غالب الأماكن يوجد أسفله أبنية قديمة وقد بُني فوقها بناءٌ مستجدٌ على بناءٍ قديم. والبناءُ مشحون بحيث لو تفرّق على حكم غالب مدن مملكة الإسلام، لكان حجم المدينة، ضعف ما هو الآن. وهي كثيرة الآبار المعدّة لخزن الماء، لأن ماءَها يُجمع من الأمطار.

أسواقها:

وأما ما في القدس الشريف من الأماكن المحكمة البناء، فمن ذلك:

سوق القطانين المجاور لباب المسجد من جهة الغرب، وهو سوق في غاية الارتفاع والإتقان لم يوجد مثله في كثير من البلاد. وأيضًا الأسواق الثلاثة المجاورة بالقرب من باب المحراب المعروف بباب الخليل (من أبواب سور القدس) وهي من بناء الروم ممتدة قبلة بشام (شمال) ومن بعضها إلى بعض منافذ:

فالأول منها وهو الغربي (سوق العطارين) وقْف الملك صلاح الدين على مدرسته الصلاحية.

والذي يليه وهو الأوسط: لبيع الخضراوات.

والذي يليه لجهة الشرق، لبيع القماش.

وهما وقف على مصالح المسجد الأقصى الشريف.

وقد ذكر المسافرون أنهم لم يروا مثل الأسواق الثلاثة في الترتيب والبناء في بلدة من البلدان وأن ذلك من المحاسن التي لبيت المقدس.

كنائس القدس القديمة:

وفي القدس الشريف عدد من الكنائس والأديرة من زمن الروم نحو عشرين مكانًا. منها: كنيسة (قمامة) فإنها عندهم بمكان عظيم وبناؤها في غاية الإحكام والإتقان، ويقصدونها في كلِّ سنة في عدة أوقات من بلاد الروم والإفرنج ومن بلاد الأرمن ومن الديار المصرية، والمملكة الشامية وسائر الأقطار ويسمونها (القيامة) ويزعمون أن حجهم إليها.

وتليها كنيسة صهيون المختصة بالإفرنج وهي في آخر مدينة القدس من جهة القبلة.

ثم كنيسة مار يعقوب، وتعرف بدير الأرمن، وهي بالقرب من باب صهيون (من أبواب سور القدس).

وكنيسة المصلبية المختصة بطائفة الكرج (جمهورية جورجيا) وهي بظاهر القدس الشريف من جهة الغرب.

فهذه الكنائس الأربعة هي عمدة النصارى، والنهاية عندهم كنيسة (قمامة).

قال: ولو شرعنا نذكر ما في بيت المقدس من الأبنية والأماكن لطال الكلام وخرجنا عن حدّ الاختصار..

حارات القدس:

وأما ما في القدس الشريف من الحارات المشهورة:

فمنها حارة المغاربة: وهي بجوار سور المسجد من جهة الغرب ونسبتها إلى المغاربة لكونها موقوفة عليهم ومسكنهم بها. وحارة الشرف: وهي بجوار حارة المغاربة من جهة الغرب، ونسبتها لرجل من أكابر البلد اسمه شرف الدين موسى، وله ذرية معروفون يُقال لهم بنو الشرف. وكانت تُعرف قديمًا بحارة الأكراد. وحارة العلم: نسبة لرجل اسمه علم الدين سليمان، وكان يُعرف بابن المهذب ووفاته في حدود 770هـ وله ذرية مشهورون منهم ولده عمر الذي كان ناظر الحرمين الشريفين.

قال أبو أحمد: ولعل عائلة العلمي في القدس تنتسب إليها. وحارة الحيادرة: نسبة لزاوية بها، لطائفة الحيادرة.

وحارة الصلتيين: بجوار حارة الشرف من جهة القبلة إلى الغرب.

وحارة الريشة.

وحارة صهيون الجوانية.

وحارة الضويّة، وهي بجوار حارة صهيون من الشمال.

وحارة بني الحارث وهي خارج البلد عند القلعة.

قال أبو أحمد: وبقية الحارات يذكرها عند حديثه عن شوارع القدس ويسمي كل شارع كبير خُطًّا.

خطط القدس وشوارعها:

وهذه خطط القدس في زمان مجير الدين الحنبلي سنة 900هـ:

خط داود: هو الشارع الأعظم، وابتداؤه من باب المسجد الأقصى المعروف بباب السلسلة، إلى باب المحراب، وهو باب المدينة المعروف الآن - في أيامه - بباب الخليل. وهذا الخط على أقسام معروفة. فمن باب المسجد إلى (دار القرآن السلامية) يُعرف بسوق الصاغة. ومن (السلامية) إلى باب حارة الشرف يعرف بسوق القشاش. ومنه إلى خان الفحم: يُعرف بسوق المبيضين.

ومن باب الخان إلى قنطرة الجبيلي يُعرف بسوق (خان الفحم) ومن قنطرة الجبيلي إلى درج الخرافيش يُعرف بسوق الطباخين.

وخط الوكالة: وهو خان عظيم، وقف على مصالح المسجد الأقصى يؤجر في السنة بنحو أربعمائة دينار يباع فيه أصناف البضائع. ومن خان

المصرف إلى باب المدينة يُعرف بخط عرصة الغلال. فهذا كله داخل في عموم خط داود. والسبب في تسميته بخط داود (ذكر قصة خرافية).

وخط مرزبان: وصار على أقسام:

فمن سويقة باب القطانين إلى آخر العقبة، يُعرف بعقبة القطانين.

ومن رأس العقبة إلى خان الجبيلي يُعرف بحارة حمام علاء الدين ويليه من جهة الغرب شارع يُعرف بحارة الشيخ محمد القرمي. ويليه من جهة الشمال شارع يعرف بحارة الحصرية. ويليه من جهة الشرق شارع يعرف بحارة ابن الشنتير لسكنه بها.

قال: ولم أدر نسَبته لماذا، ولكنه يُكتب في المستندات الشرعية هكذا. وبجوار حارة مرزبان من الغرب: خط المربعة وسوق القماش ويليه سوق الخضر ويليه سوق العطارين.

ويليه خط الدركاه، وبه البيمارستان الصلاحي، وكنيسة قمامة، ويليه حارة النصارى من جهة الغرب ممتدة قبلة بشام (شمال) من باب الخليل إلى باب السرب.

وضمن حارة النصارى حارة الرحبة. وحارة الجوالقة تلي حارة النصارى من جهة الغرب، وهي خارج المدينة.

خط وادي الطواحين: وهو الشارع الأعظم الممتد قبلة بشام من درج العين إلى باب العمود أحد أبواب المدينة. وفي هذا الخط عدة شوارع معروفة، فمنها:

حارة باب القطانين، وهو باب المسجد، ونسبته لبيع القطن بالسوق الذي عنده.

وحارة باب الحديد: أحد أبواب المسجد الأقصى، وهو بجوار باب القطانين من جهة الشمال.

وحارة باب الناظر: أحد أبواب المسجد. ويقابلها من جهة الغرب عقبة السوق المعروفة الآن (في أيامه) بعقبة الستّ. ونسبتها لعمارة عظيمة عمرتها الست طنشق المظفرية. وكانت (الست) طنشق موجودة في سنة 794هـ.

ويليه من جهة الغرب سوق الزيت، وبه زقاق من جهة الشرق يعرف بأبي شامة.

وبخط وادي الطواحين من جهة الشرق: حارة الغوانمة المجاورة للمسجد من جهة الغرب، نسبتها لسكن بني غانم.

ويقابلها من جهة الغرب: عقبة الظاهرية، نسبتها لزاوية قديمة تسمى (الظاهرية).

وبعقبة الظاهرية من جهة القبلة عقبة تسمى السودان، وفيها من جهة الشمال زقاق يعرف بقناطر خضير.

وبآخر العقبة من جهة الغرب: سوق الفخر، نسبة لفخر الدين صاحب المدرسة الفخرية، وبه المصابن التي يُعمل فيها الصابون. ويلي سوق الفخر من جهة الغرب إلى الشمال. حارة بني مرة ويليها من جهة

الغرب: حارة الزراعنة، وحارة الملاط وهي بظاهر البلد بلصق حارة النصارى من جهة الغرب. وحارة باب العمود، وهي انتهاء خط وادي الطواحين، وهي آخر المدينة من جهة الشمال إلى الغرب.

وضمنها حارة (بني سعد) و(حارة القصيلة) وهي شرقي وادي الطواحين.

ويليها من جهة الشمال: حارة عقبة الشيوخ.

ويليها من جهة الشمال حارة بني زيد. وضمنها زقاق يعرف بالسعديين.

وحارة باب الزاهرة وهي آخر المدينة من الشمال.

وحارة درج المولوية، وهي بجوار حارة القصيلة من الشرق ويليها من القبلة: حارة شرف الأنبياء، وتعرف الآن بحارة باب الدويدارية. وضمنها عقبة المهمازية وتنتهي عند باب الساهرة.

وحارة باب حطة، وهي شمال المسجد، ويليها من الشمال حارة المشارقة، وانتهاؤها عند سور المدينة الشمالي.

وحارة الغورية: من باب الأسباط، وتنتهي عند سور المدينة الشمالي، وإلى حوش هناك يُعرف بالصامت.

قال: وفي القدس الشريف عدة شوارع وخطط، لا فائدة لذكرها فإن غالبها يدخل في عموم ما ذكرته، وإنما ذكرتُ ما هو مشهور.

ومن أعظم الحارات؛ وأكبرها: حارة باب حطة. وهذه الحارات محيطة بالمسجد من جهة الغرب والشمال. وأما من جهة القبلة والشرق من المسجد، فهما مشرفان على البرية.

وذكر الحنبلي في كتاب (الأُنس الجليل) من معالم مدينة القدس.

القلعة: وهي حصن عظيم البناء، بظاهر بيت المقدس من جهة الغرب وهي من بناء هيرودوس الوالي الروماني - قبل ميلاد المسيح.

قال: وللقلعة نائب غير نائب القدس وكانت تُدقُّ فيه الطبلخانة في كل ليلة بين المغرب والعشاء على عادة القلاع بالبلاد.

قال: وقد تلاشت أحوالها في عصرنا وتشعثت وبطل منها دقّ الطبلخانة، وصار نائبها كآحاد الناس لتلاشي الأحوال وعدم إقامة النظام، وكان الوالي بالقدس الشريف يقيم بالقلعة.

قال: وأما بناء بيت المقدس: فهو في غاية الإحكام والإتقان، جميعه بالأحجار البيض النحت، وسقفه معقود، وليس في بنائه لبن ولا في سقفه خشب. وقد ذكر المسافرون أنه لم يكن في جميع المملكة أتقن عمارة ولا أحسن رؤية من بناء البيت المقدس وفي معناه بناء بلد سيدنا الخليل، لكن بناء القدس أمكن وأتقن، ويقرب منه بناء مدينة نابلس، فهذه المدن الثلاث بناؤها متقن لكونها في الجبل والحجارة فيها كثيرة متيسرة.

قال: وأما رؤية بيت المقدس من بُعْد، فمن العجائب المشهورة في نورانيتها وحُسنْ منظرها من جهة الشرق، إذا كان الإنسان على جبل الطور (طور زيتا) وكذلك من جهة القبلة.

وأما من جهة الغرب والشمال، فلا يرى منها مِنْ بُعْد إلا القليل لموارة الجبال لها. فإن بيت المقدس ويليه سيدنا الخليل في جبال كثيرة الأوعار والأحجار والسير فيها مشقّ، والمسافة فيها بعيدة، فإن الجبال المحيطة بالبلدتين مسافتها تقريبًا ثلاثة أيام طولاً ومثلها عرضًا بسير الأثقال (الجمال المحملة) ولكن إذا مَنَّ الله على قاصد الزيارة بالوصول إلى المسجد الأقصى وإلى المقام الشريف الخليلي، فمن حين رؤيته لتلك الأماكن المشرفة يحصل له من الأُنس والبهجة ما لا يكاد يوصف، ويسلو ما حصل له من المشقة والتعب. وقد أنشد الحافظ ابن حجر عند قدومه لزيارة بيت المقدس في معنى ذلك:

إلى البيت المقدس جئتُ أرجو جنانَ الخُلد نُزْلاً من كريم
قطعنا في محبته عقابًا ومَا بَعْد العقاب سوى النعيم

قوله (عقابًا) في الشطر الأول: جمع عَقَبة. وفي الشطر الثاني بمعنى العذاب، وفي الكلام تورية.

أبواب القدس:

وأما الأبواب التي للمدينة: فأولها من جهة القبلة: باب حارة المغاربة، وباب صهيون.

ومن جهة الغرب: باب سرّ صغير بلصق دير الأرمن.

وباب (المحراب) المسمى الآن بباب الخليل.

وباب يُعرف بباب الرحبة.

ومن جهة الشمال باب دير السرب. وباب العامود، وباب الداعية والذي يفضي إلى حارة بني زيد، وباب الساهرة.

ومن جهة الشرق باب الأسباط.

فهذه عشرة أبواب لمدينة القدس الشريف. وكان قبل ذلك باب عند الزاوية تجاه باب القلعة، وباب بحارة الطورية ينتهي إلى ميدان العبيد خارج باب الأسباط وقد سُدَّ.

عيون المدينة وآبارها:

أما عين سُلوان: فهي بظاهر القدس الشريف من جهة القبلة بالوادي يشرف عليها سور المسجد القبلي.

وبئر أيوب، وهو بالقرب من عين سلوان.

الزراعة والكروم في القدس وحولها:

وبظاهر مدينة القدس من كلِّ جهة كروم بها من أنواع الفواكه من العنب والتين والتفاح وغيره.

وأحسن الأماكن أرض تُعرف بالبقعة ظاهر القدس من جهة الغرب إلى جهة القبلة. وفي هذه البقعة وغيرها قصور مبنية بالبناء المحكم وملاكها في كل سنة يقيمون بها في زمن الصيف مدة أشهر إقامة استيطان وينفقون أموالا كثيرة.

ولم يكن في الزمن السالف ببيت المقدس من شجر النخيل إلا نخلة واحدة، ويُقال: إنها المذكورة في القرآن في شأن مريم وأما في

عصرنا - عصر المؤلف سنة 900هـ - فكان في المسجد الأقصى - ساحة الحرم، ثلاث نخلات..

وإلى جانب البقعة من جهة الشمال قرية تعرف بدير أبي ثور، وهي قرية صغيرة بها دير من بناء الروم يعرف قديمًا بدير مارقوس، ثم عُرف بدير أبي ثور نسبة للشيخ أحمد الشهير بأبي ثور، وكان صالحا، وقد وُقف الدير عليه، وعلى ذريته.

وطور زيتا وهو الجبل الشرقي عند بيت المقدس، وهو جبل عظيم مشرف على المسجد الأقصى.

وقبر مريم، وهو في كنيسة في داخل جبل الطور، تسمى الجيسمانية..

والساهرة: وهو البقيع (المقبرة) الذي إلى جانب الطور من جهة الغرب.

والأدهمية: وأسفل هذا الجبل كهف من العجائب، وهو زاوية للفقراء الأدهمية.

ومغارة الكتان: مقابل باب الساهرة تحت سور المدينة الشمالي.

ومقبرة باب الرحمة، وهي بجوار سور المسجد الشرقي فوق وادي جهنم.

ومقبرة الشهداء بالقرب من مقبرة الساهرة.

ومقبرة ماملا، وهي بظاهر القدس من جهة الغرب وهي من أكبر مقابر البلد. وبوسط هذه المقبرة زاوية القلندرية..

صورة للقدس سنة 1670

وهذه صورة، أو جزء من صورة كانت سنة 1670 في العصر التركي. مما كتبه السائح التركي أوليا جلبي.

القدس بلد عظيمة كائنة على هضبة مرتفعة.. إنها مهوى أفئدة كثير من الناس، ليس من حيث قدسيتها فحسب، بل من حيث اقتصادياتها ووفرة حاصلاتها أيضًا.

ثم مدح مأكولاتها ومشروباتها، فوصف خبزها وعنبها المتنوع الأشكال والطعم والألوان،وصابونها المسك وعطرها وبخورها ومباخرها النحاسية، ومحاجرها الكثيرة، وجبالها المليئة - هنا يصف منطقة القدس وليس القدس المسوّرة - بأشجار الزيتون وأراضيها المغطاة بالكروم والبساتين.. إلى أن قال: إنه كان فيها يومئذ ثلاثة وأربعون ألف كرم. وأنه رأى ألفا وخمسمائة منطرة (مكان الناطور أي الحارس) قائمة في وسط هذه الكروم وذكر أن الأراضي الكائنة بين باب الخليل و(البقعة) خالية من الدور والمنازل، ومليئة بالكروم والبساتين. وأنه ما من أحد من سكان القدس إلا ويعيش في كرم من هذه الكروم شهرين أو

ثلاثة شهور في السنة. ووصف البقعة من هذه الناحية فأسماها لهذا السبب (باغستان) أي جنة الدنيا.

إلى أن قال: وفيها عدد كبير من الأعيان والعلماء والأشراف والفضلاء والرجال الذين ينتمون إلى الطريقة المولوية، ويتقاضى الواحد منهم - أي: رجال المولوية - خمسمائة آقجة (عملة تركية) كما أن بها عددًا كبيرًا من التجار وأرباب الحرف وهؤلاء يعملون بالقول المأثور (الكاسب حبيب الله).

قال: عدَّ جاويش زاده محمد باشا (متصرف القدس) سكان المدينة فوجد أنهم 46.000 نسمة ينتسبون إلى مختلف الأمم والطوائف، بيد أن أكثرهم عرب مسلمون. بينهم عدد من أهل الوظائف في الحرم لا يقلون عن الألف، ويتناولون راتبهم من الذهب الذي يأتي به (أمين الصرّة) من الآستانة كل سنة. أغنياؤهم يلبسون (السمور) والقنباز المصنوع من الجوخ الممتاز وفقراؤهم يلبسون العباءَة والقنباز المصنوع من الجوخ العادي. ونساؤهم متأدبات يلبسن على رؤوسهن طاقيات مصنوعة من الذهب أو الفضة ويلتففن بالملاءات البيض، ويحتذين الأحذية المقفلة المعروفة بالجزم.

وفي القدس ستة حمامات، وهي: حمام ستنا مريم، وحمام السلطان وحمام الشفا، وحمام العين، وحمام حمزة، وحمام البطرك وهذا الأخير في الغالب للنصارى.

وفيها ثمانية عشر سبيلاً يشرب منها المارّ والعطشان.. وفيها كنيستان للأرمن، وثلاث كنائس للروم.. وفيها مئتان وأربعون محرابًا (مصلى)..

وسبع دور للحديث، وعشر دور للقرآن، وأربعون مدرسة للبنين وتكايا لسبعين طريقة منها: الكيلانية، والبدوية، والسعدية والرفاعية، والمولوية..

وفي القدس 2500 دكان، كلها مبنية بالحجارة والعقود المقنطرة وفيها ستة خانات عظيمة، وأسواق كثيرة: منها سوق السلطان وهو أشهرها. والمسؤول عن إدارة السوق هو (المحتسب) ويلقب بالآغا. ومن واجباته أن يحفظ سجلا يدون فيه أسماء التجار وأصحاب الدكاكين.

ومن أسواق القدس. السوق الطويل: تباع فيه الأدوات المنزلية. وسوق الحلاجين يعمل فيه تجار القطن. وسوق الغلال - الحبوب - وسوق الحرير. وسوق البزازين..

صورة تراثية للقدس

سنة 1947

1- السور وأبوابه:

يُحاط القدس العتيق بسور جدّد بناءَه السلطان سليمان القانوني ما بين أعوام 1536 - 1540. محيط السور ميلان ونصف الميل (4023م) وارتفاعه يتراوح ما بين 38 و40 قدمًا. طوله من الشمال 3930 قدم ومن الشرق 2754 قدم ومن الجنوب 3245 قدم ومن الغرب 2086 قدم وله 34 برجًا وأحد عشر بابًا.

سبعة منها مفتوحة يرتادها السكان متى يشاؤون. وأربعة أبواب مسدودة.

أما الأبواب المفتوحة: فهي باب الساهرة، وباب العمود من الشمال. وباب الأسباط من الشرق. وباب المغاربة وباب الخليل من الغرب. والباب الجديد من الشمال الغربي. وباب النبي داود في الحائط الجنوبي.

وأما الأبواب المسدودة فهي: باب الرحمة وباب التوبة.. وهما باب واحد في وسطه عمود ضخم يرتكز عليه قوسان من صنع بيزنطي ويسميه الفرنجة (الباب الذهبي)، ويقع على الحائط الشرقي للسور، والباب المزدوج في الجانب الجنوبي من سور الحرم والقدس. والباب الثلاثي على

الجانب الجنوبي لسور الحرم والمدينة. والباب الأحادي المنفرد على جانب الحائط الجنوبي لسور الحرم والمدينة.

2- حارات أو أحياء القدس:

هناك القدس العتيقة داخل السور والقدس الجديدة خارج السور.

ومن الحارات المعروفة داخل السور في القدس القديمة: حارة باب حطة. حارة باب السلسلة. حارة باب العمود. حارة الشرف. حارة الواد. حارة السعدية. حارة النصارى.

ومن الحارات العربية خارج السور: باب الساهرة، والشيخ جراح، وادي الجوز، المصرارة، النبي داود، ماملاً، دير أبي ثور، وادي النباح، البقعة الفوقا، البقعة التحتا، الطالبية، النمرية، القطمون، الشيخ بدر، الراتزبون، كولونية اليونان.

وفي القدس القديمة - داخل السور - كان يوجد سنة 1947 ما يسمّى بالحيّ اليهودي - لأن يهودًا كانوا يسكنون فيه، ولكن حقيقة هذا الحيّ أنه حيّ عربيّ إسلامي، بل هو وقف إسلامي، كان يسمّى (حارة الشرف) ثم استأجر اليهودُ بيوته في غفلة من المسلمين، لأن اليهود لم يكن لهم وجود تاريخيّ في القدس يوم فتح العرب المسلمون القدس سنة 15هـ. ولم يكن يسمح لهم بالعيش في القدس حسب الاتفاق الذي تمَّ بين أهل القدس، وبين المسلمين وقد شهد بذلك المؤرخون الأجانب والعرب فقد ذكر الهر كارل تر، الألماني في كتابه (جغرافية فلسطين) المطبوع في

نيويورك سنة 1866: أن قسمًا كبيرًا من مساكن اليهود الكائنة في هذا الحيّ، هو وقف للحرم الإسلامي في القدس.

وقال عارف العارف في (المفصل): والذي أعرفه أن 90٪ من منازل الحيّ اليهودي من الأوقاف الذريّة التي يتصرف بريعها مسلمون، وذكر العائلات التي يعود إليها هذا الوقف، ص432.

وفي القدس الجديدة خارج السور عدد من الأحياء - سنة 1947 وأقدمها حي منتفيوري الذي أُنشئ بفرمان من السلطان العثماني سنة 1862..

3- مساحة مدينة القدس سنة 1947:

مساحتها 19.331 دونم: منها داخل السور 868 دونم. و18463 خارج السور. والباقي وهو 3305 دونم للطرق والميادين العامة. يدخل في هذه الأرقامِ أراض كانت في الأصل من ممتلكات قرى لفتا، والمالحة، وبيت صفافا وصور باهر وعين كارم، وضمت إلى القدس.

4- السكان سنة 1947:

كان في البلدة القديمة: 33.600 من العرب و2400 من اليهود.

5- المياه في القدس:

سنة 1947، كانت تشرب مدينة القدس من عيون سلوان، وهي: عين أم الدرج، وبركة سلوان، والبركة التحتانية (البركة الحمراء) وبئر أيوب، وعين اللوزة.

وتشرب من برك تتجمع فيها مياه الأمطار، ومنها: بركة ماملاّ، وبركة السلطان. وتشرب من آبار الجمع المحفورة في المنازل داخل السور، حيث تتجمع فيها مياه الأمطار.

وتشرب من عيون وينابيع واقعة في (وادي العروب) على بُعْد 32 كم من القدس..

وهذه الينابيع الكائنة في وادي العروب تصب ماءَها فيما سُمّيَ (برك سليمان) ومن هذه البرك يخرج الماء إلى أن يصل إلى بيت لحم فالقدس.. والقناة التي تسيل منها قبل وصولها إلى القدس، قناة رومانية، وعُمرت في العهود الإسلامية مرارًا وكانوا يسمونها (قناة السبيل).

وفي سنة 1926 سُحب الماء من عين فارة 14 كم عن القدس وفي سنة 1931 تزودت من عينِ الفوار وفي سنة 1935 تمَّ مشروع رأس العين، وتبعد عن القدس 37 ميلا.

6- جبال القدس:

تقوم القدس سنة 1947 على عدد من الجبال: جبل الطور، أو جبل الزيتون شرقي القدس. وجبل سكوبس: في شمال المدينة. وقد يسمى (المشهد) ورأس المشارف. وجبل المكبر: قبلي المدينة، وجبل صهيون، وجبل القطمون، غربي المدينة إلى الجنوب، ووعر الضبع: في الشمال الغربي من المدينة.

7- مدارس القدس سنة 1947:

كان في القدس 205 مدرسة موزعة كما يلي:

سبع مدارس إسلامية خصوصية: دار الأيتام الإسلامية، مدرسة البنات الإسلامية، كلية روضة المعارف الوطنية، الكلية الإبراهيمية، المدرسة المحمدية، مدرسة الفلاح، مدرسة الحكمة.

وفيها إحدى عشرة مدرسة حكومية، وهي:

الكلية العربية، دار المعلمات، المدرسة البكرية، مدرسة المصرارة، المدرسة العمرية، الكلية الرشيدية، مدرسة الشيخ جراح، المدرسة العلوية، مدرسة البقعة، المأمونية القديمة، المأمونية الجديدة.

وفيها أربعون مدرسة مسيحيّة خصوصية. وكان في القدس 27 مدرسة يهوديّة تشرف عليها الوكالة اليهودية وعشر مدارس يهودية خصوصية.

و19 مدرسة ابتدائية خصوصية تملكها مؤسسات يهودية مختلفة و 33 دارًا لتعليم التلمود. و35 روضة للأطفال. وكان في القدس (الجامعة العبريّة). في سنة 1913 اشترى اليهود أرضها وفي سنة 1918 وضع وايزمان حجر الأساس. وفي سنة 1925 تم افتتاح الجامعة.

8- المكتبات في بيت المقدس سنة 1947:

كان في القدس عدد كبير من المكتبات العامة، وكان أكثرها يتبع الأديرة والكنائس والإرساليات، ومحتويات أكثرها كتب بلغات أجنبية، تؤسس لثقافة أجنبية وانتماء أجنبي وأما المكتبات العربية فأشهرها:

مكتبة الخليلي، وكان بها 7000 كتاب، والمكتبة الخالدية أنشأها راغب الخالدي 12.000 كتاب، مكتبة المسجد الأقصى 1800 كتاب، المكتبة الفخرية، في الزاوية الفخرية، ملك آل أبي السعود، وكان بها عشرة آلاف كتاب، ومكتبة الشيخ خليل الخالدي: 5000 كتاب (مخطوط)، ومكتبة آل البديري، ومكتبة آل قطينة، ومكتبة آل الموقت: أسسها الشيخ أحمد بن محمد، كان مفتي القدس ومكتبة عبدالله مخلص.

9- جمعيات البحث عن الآثار..

وكلها أجنبية.

10- أسواق مدينة القدس سنة 1947، في داخل السور وخارجه:

سويقة علون، سوق البازار، سوق الحصر، سوق اللحامين، سوق النحاسين، سوق العطارين، سوق الباشورة، سوق التجار، السوق الكبير، سوق باب السلسلة، سوق باب القطانين، سوق باب خان الزيت، سوق باب العمود، وسوق باب حطة، سوق الباب الجديدة، سوق حارة النصارى، سوق باب الخليل، سوق طريق ماملا، سوق الشماعة، سوق الجمعة، سوق النمامرة، سوق باب العمود، سوق المصرارة.

11- مساجد القدس سنة 1947:

مساجد القدس موزعة على ثلاث مناطق:

أ) مساجد ما يُسمّى (الحرم القدسي): وقلتُ: ما يُسمّى لأن مصطلح (الحرم) مصطلح مُولّد مُحدث.. والحقيقة أن ما سموه الحرم

هو (المسجد الأقصى) وإطلاق المسجد الأقصى على البناء المسقوف في القبلة، هو من باب إطلاق الجزء على الكلّ وسوف يأتي تفصيل ذلك عند الحديث على المسجد الأقصى في الباب الثالث من هذا الكتاب، ويشمل المسجد الأقصى (الحرم) على عدد من المساجد أكبرها وأوسعها المسجد المعروش في القبلة الذي يؤدي فيه الناس الجمع والجماعات.

ثم يأتي (مسجد قبة الصخرة).. وهو في ساحة المسجد الأقصى (الحرم) وهناك مساجد أُخرى نذكرها من باب التأريخ الأثري، منها:

جامع قبة موسى.. والإضافة إلى موسى إضافة بركة، وليست إضافة تاريخية، لأن موسى لم يدخل القدس، ولم يدخل فلسطين، وجامع باب حطة.. وجامع كرسي سليمان، وهي أيضًا إضافة لا تحمل دلالة تاريخية، وجامع المغاربة، عند باب المغاربة، وجامع باب الغوانمة داخل ساحة المسجد الأقصى عند باب الغوانمة، وجامع دار الإمام.

ب) وهذه مساجد القدس العتيقة داخل السور: جامع خان الزيت في سوق خان الزيت، جامع حارة الشرف (اليهود) الكبير، وجامع حارة الشرف (اليهود) الصغير، وجامع سويقة علون، وجامع القلعة داخل القلعة بباب الخليل، وجامع الخانقاه، في الشمال الشرقي من كنيسة القيامة، وجامع قمبر بالقرب من الباب الجديد، الجامع العمري مقابل كنيسة القيامة، الجامع اليعقوبي تجاه القلعة بباب الخليل، جامع بني حسن تجاه القلعة بباب الخليل، جامع حارة الأرمن بالقرب من دير الأرمن، جامع طريق النبي داود على طريق ما يسمى النبي داود، جامع

حارة الجوالدية أمام دير الإفرنج، جامع الشيخ لولو بباب العمود، الجامع الصغير بباب العمود، جامع البراق الشريف في محلة المغاربة، بلصق حائط البراق، جامع خان السلطان في سوق باب السلسلة، جامع القرمي في حارة القرمي، جامع حارة النصارى على طريق باب خان الزيت، جامع البازار في سوق البازار، جامع الزاوية النقشبنديّة على طريق باب خطة.

جـ) المساجد خارج سور المدينة سنة 1947: الجامع المسعودي في حيّ سعد وسعيد، جامع الشيخ جراح في حي الشيخ جراح، جامع وادي الجوز في حيّ وادي الجوز، جامع حجازي في حيّ باب الساهرة، جامع النبي داود في حيّ النبي داود، جامع عكاشة في حي زكرون، جامع المطحنة بالقرب من المطحنة القديمة.

الآثار المسيحيّة في القدس

لكل طائفة من الطوائف المسيحية في القدس، كنائس وأديرة.. وهناك إرساليات مسيحية جاءَت من الغرب، ونزلت القدس في تواريخ مختلفة، ولهذه الإرساليات كنائس وأديرة.. وسوف أذكر أشهر الآثار المسيحية العامة والخاصة.

1- كنيسة القيامة، وهي كنيسة يقدسها جميع المسيحيين بنتها الملكة هيلانة أم الملك قسطنطين عام 335 وقد بنيت على المكان الذي يزعمون أن المسيح صلب فيه. وعندما نقول: بنتها فلانة.. لا يعني أنها بقيت على حالها مع مرور الزمن.. فقد مرت عليها أحوال عبر التاريخ.. وثبت مكانها الأول. وتقدر مساحة الكنيسة بنحو 80 مترًا في 66 مترًا وهي في الحقيقة مجموعة من الكنائس يُطلق عليها كنيسة القيامة، هذا ويقوم على حراسة أبوابها عائلتان مسلمتان، هما آل جودة، وآل نسيبة.

2- دَرْب الآلام: وهي الطريق التي سلكها المسيح حاملاً صليبه يوم ساقه جند الرومان للصلب، بعد أن حكم عليه الوالي الروماني بالموت.

وهي أربع عشرة مرحلة، تسع منها خارج الكنيسة، وخمس منها داخلها.

3- دير أبينا إبراهيم للروم الأرثوذوكس في ساحة كنيسة القيامة.

4- دير مار يوحنا المعمدان.

5- كنيسة ستنا مريم في وادي قدرون، وهي للروم الأرثوذوكس.

6- دير مارسابا، على مقربة من سلوان.

7- دير العذراء، جنوب كنيسة القيامة.

8- دير المصلبة في ظاهر القدس إلى الغرب.

9- دير الجليل فوق جبل الطور.

10- دير القطمون.

11- كنيسة القديسة حنة للروم الكاثوليك.. وكانت هي المدرسة الصلاحية التي جعلها صلاح الدين لفقهاء الشافعية.. فأهدى السلطان عبدالمجيد مكانها لفرنسا، لأنها وقفت معه في حرب القرم سنة 1855..

مدارس القدس القديمة

القديمة: صفة لمدارس، بالرفع وصفة للقدس، بالجرّ، والقراءتان تؤديانِ إلى معنى واحد: فإذا جعلناها صفة للمدارس، نريد بها المدارس التي أُنشئت قبل العصر الحديث، وأكثر ما تنطبق هذه الصفة على المدارس التي أُنشئت قبل العصر التركي، أي في العصرين الأيوبي، وعصر ملوك مصر بعد الأيوبيين (المماليك) فلم توجد قبل العصر الأيوبي مدرسة، ولم يعبأ الأتراك ببناء المدارس،وكثيرًا ما حوّلوا المدارس القديمة إلى سجون، أو مراكز شرطة.. ولا يعني هذا خلوّ القدس من العلم والعلماء قبل العصر الأيوبي، ولكن مجالس العلم كانت في المسجد الأقصى.

إذا جعلنا (القديمة) صفة للقدس، فذلك لأن مدينة القدس بقيت محصورة بين أسوارها حتى القرن الثامن عشر الميلادي، ولم تنشأ القدس الجديدة إلا في القرن التاسع عشر..

هذا، وتدل إحصائية المدارس القديمة على أن المستوى العلمي في العصرين الأيوبي و(المملوكي) كان مزدهرًا، وأن القدس كانت محجًا لطلاب العلم، في زمن وصفه المؤرخون بأنه عصر انحطاط.

وهذه مدارس القدس القديمة:

1- المدرسة الصلاحية: أوقفها صلاح الدين لفقهاء الشافعية وكانت عبر قرون تُعدُّ جامعة، لا يتولى مشيختها، ولا يدرّس فيها إلا فحول العلماء.. هذه المدرسة بقيت عامرة حتى نهاية عصر المماليك وبداية العصر التركي، ثم تنازل الأتراك عنها في القرن التاسع عشر للفرنسيين اعترافا لهم بالفضل لأنهم وقفوا إلى جانب الأتراك، وخاصموا الروس في حرب القرم، وحوّلت إلى كنيسة.

2- المدرسة الأفضلية: بحارة المغاربة، وقفها الملك الأفضل الأيوبي ابن صلاح الدين.

3- المدرسة الميمونية: عند باب الساهرة، وقفها ميمون بن عبدالله خازندار صلاح الدين سنة 593 / 1196م.

4- المدرسة الجراحية: في حيّ الشيخ جراح.

5- المدرسة النحوية: بناها الملك المعظم عيسى سنة 604هـ. كان يُدرّس فيها كتاب سيبويه في النحو.

6- المدرسة الناصرية على برج باب الرحمة، وسكنها الإمام الغزالي فقيل (الغزالية).

7- المدرسة البدرية.. وقفها سنة 610هـ/1213م، على فقهاء الشافعية.

8- المدرسة المعظميّة: منسوبة إلى الملك المعظم عيسى الأيوبي مقابل باب شرف الأنبياء.

9- دار الحديث: وقفها سنة 666هـ / 1267م.

10- الرباط المنصوري: أنشأه الملك المنصور قلاوون 681هـ / 1282م، وكان الرباط مدرسة ونُزُلاً.

11- رباط الكرد: بباب الحديد، أنشأه كُرد صاحب الديار المصرية سنة 693هـ / 1293م.

12- المدرسة الأباصيريّة: بجوار باب الناظر. وقفها سنة 666هـ/1267م.. جعلها الأتراك سجناً اسمه (سجن الدمّ).

13- المدرسة الدواداريّة: شمالي الحرم القدسي.

14- المدرسة السلامية: بباب شرف الأنبياء. وقفها سنة 700هـ.

15- المدرسة الوجيهية: عند باب الغوانمة، وقفها وجيه الدين محمد ابن عثمان المتوفى 701هـ / 1301م.

16- المدرسة الموصلية، بباب شرف الأنبياء بجوار المسجد الأقصى منسوبة للخواجا فخر الدين الموصلي.

17- المدرسة الجالقية: أنشأها بيبرس الجالقي 707هـ / 1307م.

18- المدرسة الجاولية: عند زاوية المسجد الأقصى (الحرم) الشمالية وقفها علم الدين سنجر الجاولي نائب غزة والقدس 683هـ - 745هـ وجعلها مدرسة 715هـ / 1315م.

19- المدرسة الكريميّة: بباب حطة، ملاصقة للباب من الشرق وقفها كريم الدين عبدالكريم، ناظر الخواص الشريفة 718هـ / 1319م.

20- المدرسة التنكزية: أنشأها الأمير تنكز الناصري سنة 729هـ/1328م. عند باب السلسلة.

21- المدرسة الأمينيّة: شمالي المسجد الأقصى (الحرم) أنشأها الصاحب أمين الدين سنة 730هـ / 1329م.

22- الخانقاه الفخرية: مجاورة لجامع المغاربة. وقفها القاضي فخر الدين ناظر الجيوش الإسلامية المتوفى سنة 732هـ / 1331م.

23- المدرسة الملكية: في شمالي المسجد الأقصى (الحرم) عمَّرها الحاج ملك الجوكندار 741هـ / 1340م.

24- المدرسة الفارسية: واقفها الأمير فارس البكي، نائب غزة 755هـ / 1354م.

25- المدرسة الأرغونية. أنشأها الأمير أرغون الكاملي 758هـ / 1357م.

26- المدرسة التشتمرية بباب الناظر واقفها الأمير تشتمر 759هـ/1357م.

27- المدرسة الحنفية.. وهي المدرسة المعظمية السابقة، وإنما قيل الحنفية لاختصاصها بالمذهب الحنفي.

28- المدرسة الحكمية: كانت موجودة سنة 971هـ / 1563م.

29- المدرسة الأسعردية: بنيت سنة 760هـ/1358م واقفها الخواجا مجدالدين الأسعردي.

30- دار السلام القرآنية: واقفها سراج الدين عمر بن أبي بكر السلامي 761هـ / 1359م.

31- المدرسة المنجكية: أنشأها سيف الدين منجك سنة 762هـ / 1360م.

32- المدرسة المحدثية: عند باب الغوانمة واقفها عز الدين عبدالعزيز الأردبيلي 762هـ / 1360م.

33- المدرسة الحسنية: على باب الأسباط: وقف شاهين الحسني الطاشي سنة 762هـ / 1360م.

34- المدرسة الطازجية: في طريق باب السلسلة من الشمال أو (الطازية) مؤسسها الأمير طاز 763هـ / 1362م.

35- المدرسة البارودية: بباب الناظر. وقفتها السيدة (الست) سفري خاتون بنت شرف الدين أبي بكر بن محمود المعروف بالبارودي 768هـ / 1366م.

36- المدرسة الحنبلية: بباب الحديد، واقفها الأمير بيدمر نائب الشام 781هـ / 1379م.

37- المدرسة اللؤلؤية: بجوار حمام علاء الدين البصير، واقفها الأمير لؤلؤ.. كانت موجودة سنة 781هـ / 1379م.

38- المدرسة الخاتونية: بباب الحديد غربي الحرم. واقفتها أغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازاني 755هـ / 1354م.

39- المدرسة البلدية، شمال باب السلام.

40- المدرسة الطشتمرية، مؤسسها طشتمر العلائي 784هـ / 1382م.

41- المدرسة الجهاركسية: واقفها الأمير جهاركس الخليلي المتوفى سنة 790هـ / 1388م.

42- المدرسة الطولونية: بداخل المسجد، فوق الرواق الشمالي أنشأها أحمد بن محمد الطولوني سنة 811هـ / 1397م.

43- المدرسة النصيبيّة: في الجهة الشمالية من الحرم. واقفها الأمير علاء الدين علي بن ناصر الدين محمد نائب قلعة نصيبين، المتوفى سنة 809هـ / 1406م.

44- المدرسة الصبيبيّة: واقفها الأمير علاء الدين علي نائب القلعة النصيبية، صاحب المدرسة السابقة.

45- المدرسة الكاملية: موقوفة بتاريخ 816هـ / 1413م.

46- المدرسة الباسطية: شمالي الحرم، قريبة من الباب العتم. عمرها زين الدين عبدالباسط بن خليل ناظر الجيوش المنصورة 834هـ / 1430م.

47- المدرسة القادرية: موقوفة سنة 836هـ / 1432م وهي بداخل المسجد.

48- المدرسة الحسنية، بباب الناظر غربي الحرم، واقفها الأمير حسن الكشكيلي ناظر الحرمين 837هـ / 1433م.

49- المدرسة العثمانية، موقوفة سنة 840هـ / 1437م.

50- المدرسة الجوهرية بباب الحديد، سنة 844هـ.

51- المدرسة المزهرية: واقفها الأمير مزهر الأنصاري صاحب ديوان الإنشاء سنة 885هـ / 1480م.

52- المدرسة الزمينيّة: سنة 886هـ.

53- المدرسة الأشرفية، أو السلطانية: مؤسسها قايتباي 887هـ / 1482م.

تاريخ مُنْتَحل ليس له في القدس عنوان

يُقال: انتحل فلان شعر فلان، أو قول فلان: إذا ادعى أنه قائله. وتنحّله: ادعاه لنفسه وهو لغيره. ونحله القول ينحله نحلاً: نسبه إليه. ونحلته القول إذا أضفت إليه قولاً قاله غيره، وادعيته عليه.

وقياسًا على الشعر: قلنا (تاريخ مُنْتحل)، وتاريخ منحول: نريد تاريخ القدس الذي انتحله اليهود لأنفسهم. فادعوا أن لهم في القدس تاريخا ووجودًا ينكره التاريخ الحقيقي للقدس، وتنكره شواهد الحال والآثار..

ولستُ بسبيل التفصيل في هذه الفقرة، ولكنني أذكر وأُثبت الوثائق التالية:

1- يزعم اليهود أن وجودهم في القدس مؤرخ بوجود داود وسليمان وبناء الأخير هيكلا، وهذا الزعم باطل من وجوه.

ذلك أن (اليهود واليهوديّة) لم تُعرف إلا في القرن الثالث قبل الميلاد، أي بعد زمن داود المفترض بـ: سبع مائة سنة. والفرس هم الذين أطلقوا عليهم اسم (اليهود) عندما جمعوا أشتاتًا من المرتزقة،

وأرسلوهم ليكونوا لهم أعوانًا وخدمًا، ثم اخترعوا النسبة إلى داود لإثبات النسبة إلى أنبياء.

وداود وسليمان لم يوجدا في القدس، ولم يوجدا في فلسطين، ولا يعرف أحد مكان وجودهما على وجه الأرض، إن كانا النبيين المذكورين في القرآن. والهيكل لم يُبنَ على وجه الأرض، ولم يوجد في القدس، وإنما وُجد في خيال اليهود فقط.

وفي عهد الانتداب البريطاني 1917 - 1948 جمع الإنجليز واليهود كلّ علماء الآثار في أوروبا وأمريكا، ووضعوا بين أيديهم كل الإمكانات للبحث عن آثار يهودية في فلسطين، لتبرير (وعد بلفور) بإعطاء اليهود وطنًا قوميًا لليهود في فلسطين.. وانتهى الانتداب سنة 1948 فلم يجدوا أثرًا واحدًا يدل على وجود تاريخيّ، فأقاموا الكيان اليهوديّ بقوة السلاح.

وفي سنة 1967 استولى اليهود على القدس القديمة، وكونوا عددًا من اللجان التخصصية للبحث عن الآثار، ونقبوا تحت المسجد الأقصى (الحرم) وتحت الأحياء المقدسية القديمة، وقد مضى عليهم اليوم سنة 2004 سبع وثلاثون سنة، وهم ينقبون ويدرسون فلم يجدوا حجرًا أو معدنًا يدلُّ على وجود الهيكل، أو يدل على وجود داود وسليمان في القدس.

2- إن الأخبار التي تتحدث عن وجود صراع بين الرومان - في فلسطين - وبين اليهود، لا يدلُّ على وجود شعبي كبير في فلسطين.. وقياس الماضي على الحاضر المشاهد، يدلُّ على ذلك. فكم من عصابة تضمُّ العشرات، تقضّ مضاجع الدول الحديثة سنوات، وتستنفر قواتها لمحاربتها..

3- وكذلك الأحداث التي جرت في عهد المسيح عليه السلام، وأن اليهود همّوا بصلب المسيح وقتله كما يعتقد المسلمون، أو أنهم صلبوه وقتلوه كما يرى النصارى. وتفسير ذلك: أن الدول - في أيام ضعفها - قد تهادن العصابات التي تخلّ بالأمن. وتفسير آخر يقول: إن الرومان كانوا من الوثنيين، ولم يكونوا راضين عن دعوة المسيح.. فاتفق هواهم مع هوى اليهود الذين كرهوا المسيح لأنه يدعو إلى الإصلاح والسلام بين البشر، وكان عيش اليهود يقوم على الإفساد في الأرض.

4- لقد تعرض اليهود، أو العصابة اليهودية، إلى ضربتين قاصمتين بعد عهد المسيح، قضت عليهم: الأولى سنة 70 ميلادي على يد طيطس الروماني. والثانية سنة 135م على يد أدريانس. ولم نعد نسمع عن اليهود في القدس شيئًا قرونًا.

5- وجاء الفتح العربي الإسلامي للقدس، ولم يكن لليهود في القدس وجود.. والدليل على ذلك: أن العهد العمري الذي أعطي لأهل القدس لم يرد فيه ذكر للوجود اليهودي، وجاء فيه شرط (ألاّ يساكنهم في القدس أحد من اليهود) في الأيام التالية، ويضمن هذا الشرط الحكومة الإسلامية. ولو كان لليهود وجود في القدس لدخلوا في العهد العام، وما كان قد رضي عمر بإخراجهم من القدس، لأنها فتحت صلحًا، والبلد التي تفتح صلحًا، يبقى فيه قديم أهل الكتاب على قدمه،وتحميه الشريعة الإسلامية. ولو كان في القدس يهود لزادوا مع الزمن وتكاثروا، لأن أهل الكتاب كانوا آمنين في ظل الدولة الإسلامية،

ولم تكن الجزية عبئًا على فقرائهم، لأن الإسلام يُسقط الجزية عن فقراء أهل الكتاب. بل إن اليهود كانوا يصلون إلى مناصب إداريّة رفيعة عند كثير من حكام المسلمين.

وقد روى صاحب (الأنس الجليل) خبرًا غير مسند يقول: إنه كان للمسجد - في العصر الأموي - عشرة من رجال اليهود لكنس أوساخ المسجد في المواسم والشتاء.. فإن صحّ هذا الخبر، فإنهم يكونون مستأجرين من غير أهل القدس، لأنه يروي أيضًا جـ1 / 282 أنه كانت اليهود تسرج بيت المقدس، فلما ولي عمر بن عبدالعزيز أخرجهم وجعل فيه من الخمس. فقوله: أخرجهم، يعني: أخرجهم من القدس وأنهم كانوا قد أُبيح لهم دخول القدس مع تحريمه عليهم، للضرورة كما يُباح دخول أهل الكتاب إلى حرمي مكة والمدينة للضرورة. ولو كانوا من أهل بيت المقدس لقال: (منعهم من العمل) أو ألغى وظيفتهم.

فلو كان لليهود وجودٌ في القدس بعد الفتح الإسلامي، ما كان هناك سبب لخروجهم منه، وخلاء القدس منهم..

6- لقد زار السائح اليهودي (بتاحيا) القدس خلال القرن الثاني عشر للميلاد فلم يجد فيها سوى يهوديّ واحد. وزارها السائح اليهودي موسى بن نحمان بعد ذلك بقرن واحد (القرن الثالث عشر) فلم يجد فيها سوى عائلتين يهوديتين.

7- وأحصي يهود القدس سنة 1652 فثبت لمجلس الشرع الشريف أنه كان يعيش في القدس يومئذ (115) نفرًا.. قال عارف العارف راوي

الخبر: وقرأت أسماءَهم في السجل (55) الصفحة 207 من سجلات المحكمة الشرعية في القدس. وفي سنة 1668 بلغ عدد اليهود في القدس 150 نفرًا.

وهؤلاء اليهود الموجودون في القدس تسللوا إلى القدس في زمن ضعف من الإدارة الإسلاميّة، وكانوا يعيشون من التسول والاستعطاء لأنهم لم يكونوا يملكون شيئًا ولا يحقّ لهم العمل في تجارة أو زراعة، وفي سنة 1837 - عهد إبراهيم باشا المصري - طلب اليهود السماح لهم بالعمل في الزراعة وتربية المواشي، وصناعة الصابون.. وعرض الأمر على مجلس شورى القدس، فرفضه، ورفع الأمر إلى محمد علي باشا، فأقرَّ منعهم.. وسمح لهم بالاتجار ببيع البضائع التي يجلبونها من بلادهم. وهذا دليل على أنهم كانوا غرباء يدخلون القدس بوصفهم تجارًا، وليسوا مقيمين.

العائلات الإسلامية المقدسية التي تملك الوقف الذري الذي تقوم عليه حارة اليهود:

8- يشهد لذلك كله أن ما كان يُسّمى (حارة اليهود) في القدس القديمة المسوّرة، وقف للمسجد الأقصى، وأن 90٪ من منازله من الأوقاف الذرية التي يتصرف بريعها مسلمون من العائلات التالية المقدسية العتيقة: كما ذكرها عارف العارف في المفصل ص432 آل النمري، والجاعوني، والخالدي، والحسيني، والنشاشيبي، والعلمي والقطب، والعسلي، والبديري، والإمام، والدقاق، وقطينة، والشهابي، والأنصاري، ونسيبة، والداودي، والدجاني، والموسوس، والديسي، وأبو

السعود، والطبجي، والرصاصي، والموقت، والزحيمان، وغنيم، وأبو مدين، والبشاشتة، والحريري.

قال عارف العارف وكان المقدسيون فيما مضى يطلقون على هذا الحيّ (حارة الشرف).

أما كيف وصلت هذه البيوت الوقفية إلى اليهود، فذلك بحث آخر عنوانه الغفلة التي حلّت بالمسلمين، والعيش في بلهنية عيش الحيوان الذي لا يحسّ إلا بلحظة جوعه، لا يدري ما الماضي، وما المستقبل. فهاهو الدكتور إسحاق موسى الحسيني المقدسي يذكر في كتابه (عروبة القدس) أن والده كان يرسله لتفقد نجار يهودي كان يسكن أحد بيوتهم في القدس القديمة، وكان الرجل يسأل عن والده (ويدعو له بالخير) ونضع أمام الخبر ألف علامة تعجب واستفهام تعجبيّ إنكاري: كيف يكون حُسينيًا منسوبًا إلى النبيّ محمدٍ، ويقرُّ أن دعاء اليهوديّ للمسلم مقبول؟ وكيف يسكنون اليهود في بيوتهم وهم يعرفون أن العهدة العمرية تمنعهم من سكنى القدس؟ وكيف يحنون على اليهود، وكانت نياتهم الخبيثة قد ظهرت منذ منتصف القرن التاسع عشر؟!

9- ومن الأدلة على غربة اليهود في القدس أن المقبرة التي كان يدفن اليهود فيها موتاهم حتى سنة 1947 أرضها من الأوقاف الإسلامية وقد أذن لهم المسلمون باستعمالها لقاء جُعل معين يدفعونه في كل سنة لمتولي الوقف.

مقبرة اليهود في القدس أوقاف إسلامية:

قال عارف العارف: فقد اطلعتُ في سجلات المحكمة الشرعية بالقدس على سجل وقعه قاضي الشرع، وقد جاء فيه أن ممثل الطائفة اليهودية أنقد أصحاب الوقف بحضوره، مائتي دينار ذهبًا لقاء استعمال الطائفة أرض الوقف لدفن موتاها وذلك عن سنتي 1560، 1561. وذلك في عهد سلاطين الأتراك العثمانيين.

وهذه المقبرة واقعة على طريق القدس - أريحا بين سلوان والطور، وتمتد بين وادي قدرون حتى رأس العمود والسفح القبلي لجبل الزيتون ولم يكن استئجارهم هذه الأرضٍ واختيارهم لها، لهدف الدفن فقط، وإنما أرادوا أن يثبتوا لهم تاريخا في القدس، وأن هذه المقبرة امتداد لمقبرة قديمة، حيث كانت فيها أربعة قبور خيالية كاذبة: قبر (أبشالوم) الابن الثالث لداود، كما يزعمون. وقبر: (يهوشافاط) أحد ملوك اليهود الخرافيين. وقبر يعقوب وقبر زكريا.

ويدلك على حداثة عهد اليهود في القدس أن كُنُسَهم كلها حديثة العهد ليس بينها ما يرجع إلى عهد يسبق القرن الثامن عشر.

من أعلام القدس في العصر الحديث

1- يوسف ضياء الخالدي (1842 - 1906) كان من زعماء المعارضة في مجلس المبعوثان العثماني. عمل أستاذًا للأدب في جامعة فينّا 1880.

2- روحي الخالدي (1864 - 1913) صار عضوًا في البرلمان التركي وهو من الأدباء وله آثار مطبوعة.

3- علي بن محمود الريماوي (1860 - 1919) نسبته إلى بيت ريما وهو شاعر وأديب.

4- موسى كاظم بن سليم الحسيني (1853 - 1934) أول رئيس بلدية في العهد البريطاني.. وعزل سنة 1920 لمناوأته الحكم البريطاني.. ضربه الإنجليز حتى أُغشي عليه.. وتتابعت الروح الجهادية في الابن والحفيد.

5- الابن: عبدالقادر بن موسى الحسيني، القائد الشهيد، استشهد وهو يدافع عن القسطل سنة 1948.

6- والحفيد: فيصل بن عبدالقادر، بن موسى الحسيني: توفي سنة 2001 وكان له نشاط سياسي واجتماعي للمحافظة على هوية القدس العربية. وتوفي بالكويت حيث دُعي لحضور مؤتمر مقاومة التطبيع مع اليهود.. وكان في موته قصة تدل على أنه اعتدي عليه بأيّ صورة من الصور.. والله أعلم.

7- الحاج محمد أمين الحسيني 1897 - 1974. مفتي فلسطين، ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى فيها. ورئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين، وزعيم الحركة السياسية في فلسطين..

8- خليل السكاكيني 1878 - 1953 أديب ومربّ.

9- عارف العارف (1892 - 1973) مؤرخ أحداث فلسطين، له آثار جيدة في تاريخ القدس وأحداث (النكبة).

10- محمد إسعاف النشاشيبي 1885 - 1948 أديب العربية، له آثار حسنة في الأدب واللغة.

الباب الثالث

المسجد الأقصى

متى تأسس المسجد الأقصى، ومن الذي أسَّسه؟

روى البخاري، ومسلم وأحمد عن أبي ذرٍّ الغفاري قال: قلتُ: يا رسول الله، أيُّ المساجد وُضِعَ في الأرض أولاً؟ قال: المسجد الحرام. قال: قلتُ: ثم أيّ؟ قال: المسجد الأقصى. قلتُ: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة.

هذا الحديث يجيب عن السؤال: متى أُسس المسجدُ الأقصى؟ لقد أُسس المسجد الأقصى، بعْد تأسيس المسجد الحرام في مكة، بأربعين سنةً. ومتى أُسس المسجد الحرام في مكة؟

الجواب: لقد أُسس المسجد الحرام في مكة، قبل زمن إبراهيم عليه السلام أو قبل زمن هجرته إلى أرض الشام، وقبل إسكان ابنه إسماعيل في مكة. وقدّر المؤرخون زمن مجيء إبراهيم إلى الشام حوالي سنة 2000 ق.م وبناءً عليه يكون بناء المسجد الحرام قبل سنة 2000 ق.م وهذه (القبليّة) مفتوحة على الزمن السابق.. ولستُ بسبيل تحديد الزمن، ولكن الذي نجزم به أنه كان قبل إبراهيم.. والشواهد أنه كان قبل إبراهيم من القرآن والحديث النبويّ الصحيح فقد روى البخاري في (كتاب الأنبياء) من الصحيح، قصة إسماعيل وهاجر، عندما وضعهما

في مكة، بوادٍ ليس فيه إنس، ودعَا ربّه قائلاً: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾ (إبراهيم: 37). وفي الآية شاهد على أن البيت الحرام كان موجودًا، وقد اختار الله له هذا المكان لحكمة تظهر في مستقبل الأيام، وهي تجديد البناء، أو رفع قواعده القديمة. وفي سياق القصة: فقال الملك لهاجر: لا تخافوا الضيعة، فإنَّ هاهنا بيت الله، يبني هذا الغلامُ وأبوه.. وفي القرآن ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ ﴾ (البقرة: 127) وكان هذا التعاون بين الأب وابنه في تجديد البناء ورفع القواعد عندما شبَّ إسماعيل وكبر وتزوج. ففي رواية البخاري (قال إبراهيمُ، يا إسماعيلُ إنَّ الله أمرني بأمرٍ، قال: فاصنع ما أمرك ربُّك. قال: وتعينني؟ قال: وأعينك قال: فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتًا، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها. فعند ذلك رفعا القواعد من البيت.. وكان البيتُ مرتفعًا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ من يمينه وشماله)..

فالقواعد التي رفعها إبراهيم، كان أساسها موجودًا من قَبْلُ.. فقيل إنَّ البناء الأول كان في زمن آدم، وقيل: إنَّ الملائكة قد بنتْه وقيل غير ذلك.. ولكن سياق القصة يدلُّ على أنه وُضع في زمن كانت مكة آهلة بالناس، وكانت بوادٍ فيه زرع، ثم حصل تغيّر مناخيّ أدّى إلى الجفاف وهجر المكان.. والتغيرات المناخية التي تحوّل الأرض الخضراء إلى أرض

مجدبة صحراء، تُحدث أثرها بعد أُلوف السنين.. فإذا قُلنا: إن بناء البيت الحرام في مكة كان قبل بأربعة آلاف سنة، أو ستة آلاف سنة أو عشرة آلاف سنة، فكلها احتمالات ممكنة، ويمكن أن يكون قبل ذلك أيضًا.

وبناءً على هذا التقدير لبناء مسجد مكة، نقدّر زمن بناء المسجد الأقصى فكلاهما في زمن واحد، لأن الأربعين سنة الفارقة بين البناءَين، لا تُعدُّ شيئًا في حساب التاريخ وعصوره. ويشهد لهذه المعاصرة، وأن البناء وحيٌ من الله لمن بنى المسجدين هذا التشابه القريب في الوظيفة والاسم:

ففي مكة: البيت الحرام، والبلد الحرام، والحرام: يعني الأمان لكلِّ مَنْ سكن المكان أو حلَّ به من إنسان، أو وحش أو نبات، أو طير..

وفي القدس: أورشليم، وبيت المقدس، والقدس: وكلها أسماء تدلّ على الحرمة والقداسة والأمن..

فقد ترجح عندي أن (أور + شليم) مركب من لفظين الأول (أور) بمعنى بلد. وشليم، أو سليم: بمعنى السلام والسلام هو الأمن والأمان، والأمان يعني حُرْمة المكان. و(بيت المقدس) إن كان اسمًا للمدينة، أو اسمًا للمسجد تعني المكان المطهّر الخالص لخلوة العبادة..

وقد جاء الإسلام: وكانت القدس قبلة العابدين، ولاشكّ أنها كانت كذلك من قَبْلُ قبلة للديانتين السابقتين، وربما كانت قبلة قبل موسى، وقبل إبراهيم.. وأظن أن القدس تناوبت مع مكة في اتجاه العابدين

إليها.. فقد ذكرنا أن أرض البيت الحرام مكة كانت في أزمان سحيقة عامرة بالسكان، لأنها كانت عامرة بالخيرات وفي هذه المُدَّة كانت مكة قبلة العابدين، ولما هجر الناسُ مكة للظروف المناخية لم يُعد البيت الحرام مقصدًا، وتطاول عليه الزمن، وهو كذلك وبقي مكان القدس عامرًا بالناس والرزق، فتحوّل الناسُ إليه.. ثم كان إحياء مكان البيت الحرام بمكة من زمن إبراهيم فكان لابُدَّ من التحول إلى أول بيت وُضِعَ للناس، وكان لابُدَّ من مناسبة كبرى، وكانت هذه المناسبة الرسالة الإسلاميّة الخاتمة والخالدة.

المسجد الأقصى أولاً، ومدينة القدس ثانيًا

أرى أن الأصل في وجود القدس، هو (المسجد الأقصى) لأن أسماء المدينة تدلُّ على القداسة والطهارة، والأصل في القداسة لمكان العبادة: ثم أطلق اسم المسجد أو صفته على المدينة عندما أصبحت مدينة وكثر فيها الناس. والدليل على ذلك، أن اسم (بيت المقدس) يُطلق على المدينة، وعلى المسجد الأقصى، تقول: صليتُ في بيت المقدس، يعني المسجد. وسكنتُ بيت المقدس أي: المدينة. وفتح العرب المسلمون بيت المقدس.. والشاهد الحاضر يدل على الماضي القديم؛ بلِ ما وصلنا من شواهد التاريخ الثابتة يدلُّ على الماضي السحيق. وأقصد ما وصلنا من شواهد أماكن العبادة.. والذي وصلنا أسماء مدن وقرى حملت أسماءً لأماكن عبادة: وأخصّ بالذكر اسم (الدير) وانظر معجم البلدان لياقوت الحموي، فقد ذكر عشرات الأديرة مضافة إلى أماكنها.. وقال في تعريفه (الدير) بيت يتعبد فيه الرهبان. ولا يكاد يكون في المصر (البلدة العامرة) الأعظم، إنما يكون في الصحارى، ورؤوس الجبال، فإن كان في المصر، كانت كنيسة أو بيعة..

وأكثر هذه الأديرة صارت فيما بَعْدُ قرى ومدنًا، نذكر منها (دير الزور) و(دير البخت).. (انظر: المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري) فيه عشرات القرى والمدن باسم (الدير) مضافا.

وفي فلسطين (دير البلح) و(دير دبوان) ودير أبي ثور ... الخ.. (انظر معجم بلدان فلسطين) حرف الدال.

ولكن هذه الأديرة لم تكن طارئة بعد بعثة عيسى عليه السلام وإنما كانت موجودة من قَبْلُ.. فقد كانت عادة الخلوة للعبادة في مكان بعيد عن الناس، قديمة قبل عهد عيسى..

فالسيدة مريم أم عيسى، ذكر القرآن أنها كانت قد اتخذت محرابًا للعبادة بعيدًا عن أهلها،وذلك قبل أن توجد المسيحيّة وكان النبيُّ محمد ﷺ يتعبد قبل البعثة في غار في رأس جبل بعيدًا عن الناس..

والحال الدينيّة التي سادت الدنيا قبل الإسلام، أن يرسل الله النبيّ إلى قوم ومكان معينين، فيخبرهم بدعوة التوحيد، ويدعوهم إليها.. فإذا مات النبيُّ المرسل، لم يكلف المؤمنون به بإبلاغ الرسالة إلى الأجيال التالية، ومع مرور الزمن ينقص عدد المؤمنين ويعود أكثر الناس إلى الوثنية، وتبقى قلة قليلة، هداها فكرها إلى نبذ عبادة الأوثان.. هذه القلة القليلة تجد نفسها غريبة بين قومها، فتلجأ إلى الكهوف، ورؤوس الجبال لعبادة الله الواحد الأحد، وقصة أهل الكهف في القرآن مثال لذلك..

ومن ذلك أيضًا، نشأة القدس، أو نشأة المسجد الأقصى.. فالمسجد الأقصى نشأ فوق جبل وعْر المسالك.. والجبال منذ القديم ملجأ

العابدين.. وقد أَرّخ ابن خفاجة الأندلسي لهذه الظاهرة فقال يخاطب الجبل ويستنطقه: في قصيدة يقول فيها:

وأرعنَ طماح الذؤابة باذخ ... يُطاولُ أعنان السماءِ بغارب
أصختُ إليه وهو أخرس صامتٌ ... فحدّثني ليل السُّرى بالعجائب
وقال ألا كم كنتُ ملجأ قاتلٍ ... وموطن أوّاه تبتّل تائب

.. والشاهد في الشطر الثاني من البيت الأخير في قوله (موطن أوّاه تبتّل تائب) فالمتبتّلُ: هو الذي تنسّك وانقطع إلى العبادة.

وفي قصة إبراهيم - عليه السلام - أنَّ الله نجاه ولوطًا إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين، وهي أرض الشام بعامة، وأرض فلسطين بخاصة، ومنطقة بيتِ المقدس على الوجه الأخصّ.. وجاءَ في القصص أن إبراهيم التقى رجلاً اسمه (ملكي صادق) - بمعنى ملك البرّ، أو رجل البرّ - في وادي الجوز بجوار مدينة القدس.. وأن ملكي صادق قدَّمٍ لإبراهيم زادًا (خبزًا) وتذكر كُتُبُ التاريخ أن ملكي صادق كان (ملكًا) في منطقة القدس.. وليس هذا بدقيق.. والمرجح أنه كانت له مكانة دينيّة روحيّة.. وأنه كان محافظًا على سنة الله القديمة - التوحيد - بين شعب وثني..

والشاهد في القصة أن بقعة القدس كانت موطنًا للأوّاهين المتبتلين المنقطعين إلى عبادة الله، وذلك قبل هجرة إبراهيم إلى أرض فلسطين، وأن الأصل في سُكنى بقعة القدس، هو العبادة، ثم اتخذت بقعة القدس موطنًا للناس بعامة وصارت مدينة، حول المعبد القديم الذي هو المسجد

الأقصى كما حصل عبر التاريخ في بناء المدن والقرى حول أماكن العبادة، التي كانت بعيدة عن الناس، في رؤوس الجبال أو في الصحارى..

ولهذا عنونّا لهذه الفقرة: (المسجد الأقصى أولاً) ومدينة القدس ثانيًا. وفيه شاهد على أن مكان المسجد الأقصى كان مكانًا للعبادة قبل إبراهيم، لأن إبراهيم جاء إلى فلسطين فوجده عامرًا بالعُبّاد.. وقد كان المسجد الأقصى مكانًا للعابدين الموحدين منذ خلق الله الخلق في أرض الشام، وأمرهم بعبادة الله وحده ومنذ كان الصراع بين التوحيد والشرك، وأرسل الله الرُّسل لهداية مَنْ ضلَّ عن طريق التوحيد.

كيف كانت صورة المسجد الأقصى في بنائه الأول؟

لقد عرفنا أن بيت مكة كان بناءً له قواعد وجدران.. لأن القرآن قال: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ (البقرة: 127) أما المسجد الأقصى فلم يخبرنا القرآنُ عن بنائه، وإنما ذكر أنه (مسجد) بارك الله حوله.. وفي حديث أبي ذر الغفاري (أيُّ مسجد وُضع في الأرض أول..) وفي القرآن ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾ (آل عمران: 96) وعرفنا أن مسجد مكة كان بناءً. فهل كان المسجد الأقصى بناءً. وهل الوضْعُ، أو البناءُ يقتضي أن يكون هناك بناء مرتفع ذو جدران؟

الجواب يحتمل وجهين، الأول: البناء ذو الجدران..

والثاني: قد يعني الوضعُ والبناءُ اتخاذ المكانِ للعبادة دون رفع جدران..

والاحتمالان جائزان: وأقدّر أنه كان الآتي:

بدأ العابدون أولاً باللجوء إلى جبل القدس، يسكنون في المغاور والكهوف.. ثم بنوا مسجدًا (معبدًا) بما تيسر لهم من القدرات والآلات،

ثم هُدم هذا البناء وبقي كذلك إلى ما شاء الله ولكن الموقع لم يُهجر بوصفه مكانًا باركه العابدون السابقون وبقي مسجدًا ومعبدًا، فليس من شرط المسجد - في ديانة التوحيد - أن يكون محاطًا بالأسوار.. فقد قال النبي محمد ﷺ (وجُعلتْ لي الأرض مسجدًا وطهورا) فكل مكان يتخذه المصلون للصلاة، فهو مسجد)، بمعنى اسم مكان السجود والعبادة. ويُقال في الفقه (مسجد المرأة بيتها)..

هل بنى احدٌ، بعد البناء الأول الذي تهدم، معبدًا في موقع المسجد الأقصى، قبل الإسلام؟

الحقيقة التاريخيّة تقول: إنه لم يبن أحدٌ معبدًا فوق أرض المسجد الأقصى قبل الإسلام، وبقي المسجد على بنائه الأول.. أو على حاله الأول.. لم يُبن فيه لليهود بناء، ولم يُبنَ للنصارى فيه بناء.. فسليمان (اليهودي) الذي ينسب إليه اليهود بناء هيكل، لم يثبت التاريخ وجوده في القدس، وينفي التاريخ وجود هيكل سليماني في القدس. وإذا ثبت أن نبوخذ نصر جاء إلى القدس، فإنه لم يجد هيكلا ولم يهدم هيكلا، وإنما هدم مدينة..

ولم يكن لعيسى - عليه السلام - أثر في أرض المسجد الأقصى، ولو كان لعيسى أثر في أرض المسجد الأقصى، ما تركته هيلانة أم قسطنطين عندما جاءَت إلى القدس وبحثت عن آثار عيسى، وبنت عليها المشاهد.. وقد مضى على تنصّر الرومان حوالي ثلاثمائة سنة عندما جاء الفتح العربي الإسلامي، ومع ذلك لم يبن فيه أحدٌ بناءً دينيًا للنصارى..

ولو جاء المسلمون وفي موقع المسجد الأقصى بناء دينيّ للنصارى ما استطاع أحد أن يهدمه أو يستولي عليه، لأن القدس قد فتحت صلحًا، وكلّ بقعة فتحت صلحًا يبقى كلٌّ ما بناه أهل الكتاب من أماكن العبادة بأيديهم، ولا يحقُّ للمسلمين الاستيلاء عليه.

رحلة الإسراء والمعراج

بداية تجديد بناء المسجد الأقصى

في سنة 614م هاجمت جيوش الفرس بلاد الشام ودخلت القدس، وانضم إليهم اليهود يخرّبون ويفسدون في الأرض ويقتلون النصارى: وكان الفرسُ من المشركين - عبدة النار - فقال أهل مكة للنبي ﷺ : ها قد انتصر الفرس المشركون عل الروم أهل الكتاب.. وسوف يكون لنا النصر عليهم..

فأنزل الله ﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾ (الروم: 1-3) وفي هذه المدة التي دخل فيها الفرس القدس، أرجح أن يكون قد حدث الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وكان الذي ذكرته الأحاديث أنَّ النبي ﷺ اجتمع بأنبياء الله جميعًا في المسجد الأقصى، وصلى بهم إمامًا، وكان هذا الإسراءُ تحدّيًا للشرك، وإرهاصًا لانتصار التوحيد،وسيطرته على الأرض المباركة بلاد الشام وبؤرتها القدس.

وقد اختلف أهل العلم حول صفة الإسراء: هل كان بالجسد والروح، أم كان بالروح فقط. ولسنا بسبيل ترجيح رأي على رأي.. ولكننا نقول: إن الحادثة قد وقعت، وأخبر عنها القرآن في أول سورة الإسراء. ويكفي أن يكون قد نزل في قصة الإسراء قرآن، فوجّه أنظار المسلمين إلى المسجد الأقصى قبل الهجرة إلى المدينة وفي هذا التنزيل إشارة إلى أن تحرير أرض المسجد الأقصى واجب شرعي، كوجوب تحرير البيت العتيق في مكة من الشرك والمشركين. وجاءَت الالتفاتة الكبرى والتوكيد على معنى التحرير من الشرك عندما فرضت الصلاة ليلة الإسراء، وأُمر المسلمون أن يتوجهوا في صلاتهم إلى المسجد الأقصى خمس مرات في اليوم خلا النوافل.

.. وانتصر الروم على الفُرس سنة 627م كما ذكر القرآنُ ووعد وجاءَ هرقلُ إلى القدس للاحتفال بالنصر، وصادف هذا الوقت هُدنة (هدنة الحديبية) بين المشركين في مكة والمسلمين في المدينة فالتفت النبيُّ ﷺ إلى حكام الأرض في زمانه، فأرسل لهم الرُّسل تحمل الكُتُب.. وأرسل رسوله إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، فاستلم هرقلُ الرسالة وهو في القدس.. وهذا توجيه آخر - بعد الإسراء - إلى أن المسجد الأقصى يجب أن يعود إلى العرب المسلمين..

وكان هذا التوجّه إلى تحرير المسجد الأقصى - في السنة السادسة من الهجرة - وكانت القبلة قد حُوِّلتْ إلى مكة في السنة الثانية من الهجرة.. وفيه إشارة إلى أنَّ تحويل القبلة عن المسجد الأقصى إلى مكة لم يلغ المكانة الدينيّة الكبرى التي يحتلها المسجد الأقصى، فهو أُولى القبلتين، وثاني المسجدين بناءً، وثالث الحرمين مكانة وثواب عبادة.

فضائل المسجد الأقصى

نزلت سورة الإسراء في العهد المكّي، لأنها أخبرت عن الإسراء بالنبي محمد من مكة إلى المسجد الأقصى وكان ذلك حوالي السنة الخامسة من البعثة.. ولو لم يكن للمسجد الأقصى من الفضيلة غير هذه الآية لكانت كافية فيه، لأنه إذا بورك حوله، فالبركة فيه مضاعفة..

ورويت أحاديث صحيحة في فضل المسجد الأقصى، وفيها حث المسلمين على فتحه، بل فيها بشارة بفتحه، لأن الأحاديث النبويّة مبشرة، والبشارات النبوية واقعة لا محالة، لأنها وحي من الله.. والبشارة بفتح القدس أمر للمسلمين بفتحه وقد كان كما قال رسول الله.

ومن الأحاديث المبشرة بفتحه، والداعية إلى قصده: الحديث الذي يجعل ثواب الصلاة في مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة فيما سواه. (رواه الإمام أحمد في المسند).

والحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم (لا تُشدُّ الرحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجد المدينة النبوية).

وفي فضيلة السكن ببيت المقدس روى الإمام أحمد قال رسول الله (لا تزال طائفة من أُمتي على الحقّ ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرّهم مَنْ خالفهم ولا ما أصابهم من الأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا: يا رسول الله! وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس).

المسجد الأقصى يوم الفتح العربي الإسلامي

تمَّ فتح القدس، ودخول عمر بن الخطاب سنة 15هـ / 636م. وكان لابُدَّ من تعيين مكان مسجد للمسلمين عند فتح مدينة من المدائن. وفي حال القدس، فإن المكان معيَّن قبل الفتح، وهو مكان المسجد الأقصى الذي أُسري بالنبيِّ محمد إليه، وصلى بالأنبياء فيه وكان المكان مهجورًا، صرف الله عنه نصارى القدس فلم يتخذوا منه كنيسة،وبقي ينتظر العرب المسلمين أتباع محمد عليه السلام لإحيائه، وعمرانه بالبناء والمصلين.

لم يكن في المكان إلا الطلل الباقي من عهد الرومان، ولم يكن على الصخرة أيّ نوع من أنواع البناء.. وقيل: إن الصخرةٍ كانت مغطاة بالقمامة، إذ كان سكان المدينة قد اتخذوها مزبلة جهلاً منهم بقداسة أرض المسجد الأقصى، حيث كانوا من أهل الفترة، وقد مضى على بعثة عيسى - عليه السلام، أكثر من ستمائة عام، وهي مدّة كفيلة بنسيان ما نزل به الوحي.. على عيسى، إذا عرفنا أن الدعوة إلى الدين في اليهوديّة والنصرانية بل - فيما أُنزل على موسى وعيسى - ليست فرضًا واجبًا على الأجيال التي تأتي بعد النبيّ المرسل، لأنهما ديانتان محددتان

بزمان ومكان، ويُعدُّ الناسُ بين النبيين من أهل الفترة الذين قال الله فيهم ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (الإسراء: 15). هذا وتبقى قلّة قليلة، متمسكة بالسنة التي بشّر بها النبي وهي (التوحيد) وعبادة الله الواحد الأحد.

والمرجح أن عمر خط المسجد للمسلمين عندما دخل القدس، بمعنى أنه حدد مكانه، ولم يتمّ البناء برفع الجدران والسقف في الأيام القليلة التي أمضاها بعد الفتح، وإنما تمَّ البناءُ فيما بَعْدُ فقيل: تم بناء المسجد في السنة الثامنة عشرة، وقيل: في السنة الحادية والعشرين من الهجرة.والمرجح أنه بُني من الخشب يتسع لحوالي ثلاثة آلاف من المصلين. وفي سنة 670م (حوالي خمسين هجرية) وصف شاهد عيان المسجد فقال: (إن المسجد كان مبنيًا من ألواح الخشب وجذوع الأشجار، وكان بناؤه بسيطًا مربع الشكل ويتسع لثلاثة آلاف من المصلين) ووافق هذا زمن خلافة معاوية، وهو امتداد للمسجد الذي بُني في عهد عمر بن الخطاب.

وفي هذا الوصف شاهد على أنه لم يعتمد على بناء قديم، فلم يكن للمسجد الأقصى يوم الفتح سورٌ يحيط به،وسور الجهة الشرقية منه هو سور المدينة.

رَفعُ القواعد من المسجد الأقصى

في عهد الوليد بن عبدالملك

عنونت بـ (رفع القواعد) كما قال الله تعالى في قصة بناء مسجد مكة ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ (البقرة: 127) فإبراهيم لم يؤسس البيت الحرام في مكة وإنما جدد بناءه ورفع قواعده بعد هجران دام آلاف السنين.

والوليد بن عبدالملك لم يؤسس المسجد الأقصى، وإنما رفع قواعده القديمة التي وُضع أساسها قبل الميلاد بعشرات الآلاف من السنين.. لقد وضع أساسه المؤمنون الموحّدون بوحي من الله.. ولا يمنع هذا التأسيس على التوحيد أن يتناوب عليه الموحدون والمشركون، كما كان شأن البيت العتيق في مكة..

وقلتُ: في عهد الوليد بن عبدالملك: لأن عمر بن الخطاب جدد صلاة المسلمين (أهل التوحيد) في المسجد الأقصى بعْد صلاة النبي

محمد ﷺ ليلة الإسراء. ولم يرفع عمر قواعد البيت المقدّس، وإنما خط في المكان مسجدًا، وبناه المسلمون بالصورة التي كانت تبنى فيه المساجد في العهد النبويّ وفي عهد أبي بكر وعمر (عريش كعريش موسى، يكنّ الناس من الشمس والمطر).

ونصصت على اسم الوليد بن عبدالملك، لأنه هو الذي أمر برفع قواعد المسجد الأقصى، وبنى في جزئه مسجدًا، وقبة الصخرة وأحاط بقية ساحاته بجدار.. وبقيت هذه الساحات حرمًا للمسجد، ثم أطلق الحرم على المسجد.. وسوف نبين هذه الفكرة بعد قليل.

ولا تلتفتنَّ إلى ما ينقله بعض المؤرخين، أن الذي بنى القبة والمسجد عبدالملك بن مروان.. فعبدالملك لم يتفرغ للعمران، وكانت سنوات خلافته تعج بالفتن والحروب الداخلية.. وعندما استلم الوليد الخلافة كان عهد استقرار، وكان رجلاً يحبُّ عمران المآثر والمساجد: فهو الذي وسَّع المسجد النبوي، وهو الذي بنى جامع بني أمية في دمشق، وهو الذي بنى المسجد الأقصى أو جدد بناءَه، ورفع قواعده.. (وانظر كتابنا: بيت المقدس والمسجد الأقصى) ففيه الشرح والشواهد.

صفة المسجد الأقصى وما كان عليه في زمن الوليد بن عبدالملك:

وضع هذا العنوان مجير الدين الحنبلي المتوفى سنة 927هـ / 1520م في كتابه (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل). ونقل عن الحافظ بهاء الدين بن عساكر المتوفى سنة 600هـ / 1203م. من كتابه

(الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى). أنه كان في المسجد الأقصى في ذلك الوقت من الخشب المسقف سوى أعمدة خشب، ستة آلاف خشبة، وفيه من الأبواب خمسون بابًا.

وقال: قال القرطبي: (ولم أعرف أيَّ قرطبيّ يريد) منها: باب داود، وباب سليمان، وباب حطة، وباب محمد (عليه السلام) وباب التوبة، وباب الرحمة، وأبواب الأسباط ستة أبواب وباب الوليد، وباب الهاشمي، وباب الخضر، وباب السكينة، وكان فيه من العُمُد ستمائة عمود من رخام، وفيه من المحاريب سبعة. ومن السلاسل للقناديل أربعمائة سلسلة إلا خمسٍ عشرة منها مائتا سلسلة وثلاثون سلسلة في (المسجد الأقصى) والباقي في قبة الصخرة الشريفة. وأذرع السلاسل أربعة آلاف ذراع، ووزنها ثلاثة وأربعون ألف رطل بالشامي وفيه من القناديل خمسة آلاف قنديل. وكان يسرج مع القناديل ألفا شمعة في ليلة الجمعة وفي ليلة النصف من رجب وشعبان ورمضان وفي ليلتي العيدين.

وفيه من القباب خمس عشرة قبة سوى قبة الصخرة. وعلى سطح المسجد من شقف الرصاص سبعة آلاف شقفة وسبعمائة ووزن الشقفة سبعون رطلاً بالرطل الشامي غير الذي على قبة الصخرة.

قال الحنبلي: وكلُّ ذلك عُمل في أيام الوليد بن عبدالملك (عبدالملك بن مروان؟).

قال أبو أحمد: هذا الوصف لما كان عليه أيام الوليد مشكوك فيه لأمور:

1- ابن عساكر من المتأخرين، يفصله عن زمن الوليد نصف قرن والقرطبيّ لم يُعيّن، فالقرطبيون كثيرون وكلهم من المتأخرين.

2- قوله: كان يسرج ألفا شمعة في ليلة النصف من رجب والنصف من شعبان: فيه نظر، لأنه يدلُّ على الاحتفال بمنتصف شعبان.. وهذا الاحتفال بدعة متأخرة حصلت في العصر العباسي ولم يُعرف أن الصحابة والتابعين كانوا يخصون هذه الليلة بشيء من الاحتفال. وقوله: وفيه من القباب خمس عشرة قبة.. فيه نظر: ذلك أن أكثر قباب المسجد الأقصى بنيت في العهدين الأيوبي والمملوكي.

3- نقل الحنبليّ نفسه في كتابه (الأنس) أن شرقي المسجد وغربيه قد وقعا بسبب زلزال قوي، حدث في أوائل عهد بني العباس.. وكذلك نقل المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم)، والمقدسي متوفى سنة 380هـ.

4- إن أقدم وصف للمسجد الأقصى نقله ابن الفقيه في كتاب (مختصر كتاب البلدان)، وهو مؤلف سنة 290هـ والأرقام التي ذكرها بعيدة عما نقله الحنبلي.

5- لم يهتم المؤرخون الذين ذكروا المسجد الأقصى بوصفه، ولم يكن من شأنهم وصف المشاهد والبلدان، ولم تظهر كتب الرحالة الجغرافيين الوصافين إلا في القرن الثالث الهجري، فكان بينهم وبين البناء أمد طويل.. يضاف إلى هذا الفقرة التالية.

6- إن الصورة الواقعية الحقيقية للبناء الذي أحدثه الوليد بن عبدالملك غير متاحة.. لقد ثبت بالدليل القاطع أن البناء قد تمَّ زمن الوليد،

ولكن ما بُني لم يبق على حاله، فقد تناوبت عليه الزلازل والأحداث الحربية، والزيادات والترميمات مما يصعب معه إعطاء صورة كاملة لما بناه الوليد بن عبدالملك. ففي سنة 130هـ حصلت رجفة (زلزلة) وقع بسببها شرقي المسجد وغربيه. وفي عهد أبي جعفر المنصور المتوفى سنة 158هـ قلعت صفائح الذهب والفضة(؟) التي كانت على الأبواب وضربت دنانير ودراهم وأُنفقت على إعادة البناء أو الإصلاح ثم حدثت رجفة ثانية فوقع البناء الذي أمر به أبو جعفر وتولى المهدي الخلافة 158 — 169هـ وجاء لزيارة القدس وقال: رث هذا المسجد وطال وخلا من الرجال، أنقصوا من طوله وزيدوا في عرضه، فتمَّ البناءُ في خلافته.. وفي العهد الفاطمي زيدت في الجامع مبان لم تكن من قبلُ، وجاء الفرنجة الصليبيون، فأحدثوا في الجامع تغييرات، وجاء صلاح الدين فأرجع إلى المسجد صورته الإسلاميّة.. وفي العهد المملوكي زيدت مدارس وزوايا، وقباب، وسُبُل.

المسجد الأقصى: حدوده، ومساحته

يذكر بعض المؤلفين ثلاثة مصطلحات: المسجد الأقصى. وقبة الصخرة، والحرم القدسي: ويريدون بالمسجد الأقصى الجامع المعروش الذي تؤدى فيه الجمعة والصلوات. وقبة الصخرة: البناء الذي وُضع فوق الصخرة على هيئة قبة. والحرم: لعلهم يريدون به ساحات ليس فيها بناء تقع داخل السور. وتظنُّ العامة أنها ثلاثة أشياء منفصلة..

والحقيقة التاريخية أن (المسجد الأقصى) هو كلُّ ما دار عليه السور ويدخل فيه الجامع المسقوف، وقبة الصخرة، والساحات الخالية من البناء.

وإطلاق اسم (المسجد الأقصى) على القسم المسقوف في القبلة، إطلاق مجازيّ، من باب إطلاق الجزء على الكلّ.. وقبة الصخرة هي قبة للمسجد الأقصى، أو إحدى قبابه..

وأما كلمة (الحرم) فربما أُحدثت في العصر المملوكي، حيث وجدت وظيفة (ناظر الحرمين) حرم القدس، وحرم الخليل. وذلك تعظيمًا لمكانة المسجد الأقصى، ومسجد إبراهيم الخليل، وقياسًا على حرمي مكة والمدينة.

ولكن الحرم في مكة والمدينة، ليس مقصورًا على المسجدين وساحات المسجدين، وإنما يشمل الحرمُ المسجد، ومحيطًا واسعًا يشمل مكة والمدينة ويزيد عليهما. فالحرم: من الحرمة، بمعنى الأمان والسلام لكلّ حيّ في هذه البقعة. والحيوان والشجر والإنسان.

وعلى هذا المعنى، فإن الحرم القدسيّ،هو القدس كلها، وما طاف بها من الأرضين. ولذلك أخذت مدينة القدس اسم (أورشليم) و(بيت المقدس) و(القدس) لأن أرضها كلها حرم آمن مقدس.

ويشهد لما قلتُه أن ما يسمونه (الحرم) جزء من المسجد الأقصى وأن قبة الصخرة جزء من المسجد الأقصى، يشهد لذلك، كلام الرحالة الذين وصفوا المسجد الأقصى. من ذلك ما ذكره الاصطخري في كتابه (المسالك والممالك) حيث قال: (وببيت المقدس مسجد ليس في الإسلام مسجد أكبر منه. وله بناءٌ في قبليه مسقف في زاوية من غربي المسجد، ويمتد هذا المسقف على نصف عرض المسجد، والباقي من المسجد خال، لا بناءَ فيه إلا موضع الصخرة..) وقال المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم):

(وأما المسجد الأقصى فهو على قرنة البلد الشرقية نحو القبلة.. وكان أحسن من جامع دمشق لكن جاءت زلزلة في زمن بني العباس فطرحت المغطّى إلا ما حول المحراب.. وللمغطى ستة وعشرون بابًا. وقال الحنبلي في كتاب (الأنس الجليل).. قد تقدم عند ابتداء ذكر صفة المسجد الأقصى أن المتعارف عند الناس أن الأقصى من جهة القبلة

الجامع المبني في صدر المسجد الذي به المنبر والمحراب الكبير، وحقيقة الحال: أن الأقصى اسم لجميع المسجد مما دار عليه السور.. فإن هذا البناء الموجود في صدر المسجد وغيره من قبة الصخرة والأروقة وغيرها محدث، والمراد بالمسجد الأقصى هو جميع ما دار عليه السور).

ويقع المسجد الأقصى على مساحة مربعة:

طول الجهة الغربية 490 مترًا.

وطول الجهة الشرقية 474 مترًا.

وطول الجهة الشمالية 321 مترًا.

وطول الجهة الجنوبية 283 مترًا

يحيط بها سور يختلف ارتفاعه بين 30م و40م أما القسم المغطى المسقوف في القبلة:

فيبلغ طوله: 80 مترًا.

وعرضه 55 مترًا.

فالمسجد الأقصى هو الجامع المسقوف وقبة الصخرة والساحات الخالية وما أُحدث فيها من قباب ومدارس، ويدخل في المسجد جدران السور لأن جدار المسجد من المسجد.. بل يدخل فيه السور ظاهره وباطنه خارجه وداخله.. ويدخل فيه وجه الأرض، وتحت وجه الأرض، ويدخل فيه سماء المسجد أيضًا.. وأينما صليت فيما حددناه، فأنت تصلي في المسجد الأقصى، والصلاة فيه مضاعفة، وإذا زيد فيه مما حوله فهو داخل فيه أيضًا.

وصْف المسجد الأقصى

وما استقرّ عليه بعد آخر عمران

إنَّ حدود منطقة المسجد الأقصى (الحرم) لم يطرأ عليها تغيير منذ أيام الخليفة الوليد بن عبدالملك أي منذ نهاية القرن السابع الميلادي. وأما الاختلاف في الأرقام التي تدل على المساحة فمردّه إلى أخطاء الكُتّاب، وإلى الخطأ في القياس، وإلى اختلاف الذراع الذي يتراوح طوله بين الذراع الملكي الهاشمي الذي يساوي 1.5 قدم والذراع الملكي المتأخر الذي يقرب طوله من قدمين. والذراع المعماري الذي استعمل في القرن الخامس عشر الميلادي، الذي يقرب طوله من 2.25 قدم. وكانت البناءات والإصلاحات تحصل داخل سور المسجد الأقصى. وكتبنا قبل قليل، أن الإصلاحات والزيادات على منشآت المسجد الأقصى كانت مستمرة عَبْر القرون..ونرى أن صورة المسجد الأقصى (جامعه، وقبابه، وسبُله وقناطره وأروقته.. الخ) التي وصلتنا قد استقرّت في أواخر العصر المملوكي، لأن الأتراك لم يحدثوا بنايات جديدة في ساحات المسجد الأقصى، وكلّ ما فعلوه هو الترميم والتزيين والإصلاح.

ولذلك سوف أنقل الصورة التي نقلها شاهد من أهل القدس عاش أواخر العصر المملوكي، هو مجير الدين الحنبلي في كتابه (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل) الذي انتهى من تأليفه سنة 900هـ حوالي سنة 1494. وعنون لوصفه (ذكر صفة المسجد الأقصى وما هو عليه في عصرنا) أي: عصر المؤلف، الذي توفي سنة 927هـ / 1520م وذلك بعد دخول الأتراك القدس بخمس سنوات. وقبره موجود بالقدس القديمة بين باب الأسباط وجبل الطور.

وقبل أن ننقل النصّ، ننبّه القارئ إلى أننا نأخذ من هذا الوصف ما صوّرته عين المؤلف المشاهدة - يعني: الوصف المادي الواقعي. وأما ما يتخلل ذلك من إضافة بعض الأماكن إلى أسماء أنبياء سابقين على نبينا محمد ﷺ ، فليس لهذه الإضافة حقيقة تاريخيّة، وإنما تكون الإضافة للتمييز فقط كما نسمي شارعًا في مدينة باسم زعيم أو أديب، تيمنًا باسمه وليس لأنه سكن هذا الشارع.. وإضافة بعض الأماكن إلى داود وسليمان وموسى والخضر.. هي إضافة من هذا القبيل، أو أنها مبنيّة على خرافة مأخوذة من كتاب اليهود المسمّى (التوراة).. أو من قصص خرافية ليس لها حقيقة تاريخيّة.. والله أعلم.

قال مجير الدين الحنبليّ: في كتابه (الأُنس الجليل بتاريخ القدس والخليل) جـ2/11 (في وصف المسجد الأقصى، الجامع المسقوف، وقبة الصخرة وما بينهما وحولهما من منشآت، سنة 900هـ / 1494م).

اعلم وفقك الله أن المسجد الأقصى، ليس له نظير تحت أديم السماء، ولا بُني في المساجد صفته ولا سعته.. وأما صفته في هذا العصر، فهي أيضًا من الصفات العجيبة، لحسن بنائه وإتقانه.

أ) وصف الجامع الذي هو في صدره عند القبلة:

فالجامع الذي هو في صدره عند القبلة الذي تقام فيه الجمعة - وهو المتعارف عند الناس أنه المسجد الأقصى، وإنما المسجد الأقصى هو كلّ ما بين الأسوار:

يشتمل على بناء عظيم، به قبة مرتفعة مزينة بالفصوص الملونة، وتحت القبة المنبر والمحراب.

وهذا الجامع ممتد من جهة القبلة إلى جهة الشمال. وهو سبعة أكوار متجاورة مرتفعة على العُمُد الرخام، والسواري. فعدة ما فيه من العُمُد خمسة وأربعون عمودًا منها ثلاثة وثلاثون من الرخام. ومنها اثنا عشر مبنيّة بالأحجار، وهي التي تحت الجملون. وعمود ثالث عشر مبني عند الباب الشرقي تجاه محراب (زكريا).

وعدة ما فيه من السواري المبنية بالأحجار، أربعون سارية. وسقفه في غاية العلوّ والارتفاع. فالسقف مما يلي القبلة من جهتي المشرق والمغرب مسقف بالخشب. ومما يلي القبة من جهة الشمال ثلاثة أكوار، مسقفة بالخشب: الأوسط منها هو الجملون وهو أعلاها، واثنان وهما إلى جانب الجملون من المشرق والمغرب دونه. وبقية الأكوار وهي أربع:

اثنان من جهة المشرق واثنان من جهة المغرب. معقود ذلك بالحجر والشيد. وعلى القبة والجملون والسقف الخشب، رصاص من ظاهرها. وصدر الجامع القبلي، وبعض الشرقي مبنيان بالرخام الملوّن والمحراب الكبير الذي هو في صدره إلى جانب المنبر من جهة الشرق يقال: إنه محراب (داود؟)..

وأما المحراب الصغير الذي إلى جانب المنبر من جهة الغرب بداخل المقصورة الحديد - بجوار الباب المتوصل منه إلى الزاوية الخنثنية، فيقال: إنه محراب معاوية (بن أبي سفيان).

وذرع هذا الجامع في الطول من المحراب الكبير إلى عتبة الباب الكبير المقابل له مائة ذراع محررًا بذراع العمل، غير جوف المحراب وغير الأروقة التي بظاهر الأبواب الشمالية (ذراع العمل 75سم) وعرضه من الباب الشرقي الذي يخرج منه إلى جهة مهد (عيسى) إلى الباب الغربي: ستة وسبعون ذراعًا بذراع العمل. وبداخل هذا الجامع في صدره من جهة الشرق مجمع معقد بالحجر والشيد به محراب، ويقال لهذا المجمع: جامع عمر. وتسميته بجامع عمر، لأن هذا البناء من بقية بناء عمر (؟) الذي كان جعله عند الفتح. ويُقال، إن المحراب الذي بداخل هذا المجمع هو محراب عمر. والأكثرون: على أن محراب عمر، إنما هو المحراب الكبير المجاور للمنبر المقابل للباب الكبير الذي من جهة الشمال (قلتُ: وهو الصحيح).

وإلى جانب هذا المجمع المعروف بجامع عمر من جهة الشمال، إيوان كبير معقود يُسمى مقام (عُزير؟) وبه باب يتوصل منه إلى جامعَ

عُمر. وبجوار هذا الإيوان من جهة الشمال إيوان لطيف به محراب يسمى محراب (زكريا؟) وهو بجوار الباب الشرقي وبداخل الجامع المذكور أيضًا من جهة الغرب مجمع كبير معقود بالأحجار الكبيرة، وهو كوران ممتدان شرقا بغرب، ويسمى هذا المجمع (جامع النساء) وهو عشر قناطر على تسع سواري في غاية الإحكام، وقد أُخبرتُ أنه من عمل الفاطميين. وبصدر الجامع من وراء القبلة الزاوية الخنثنية، وهي بداخل المقصورة الحديد الملاصقة للمنبر.

وبجوار الزاوية الخنثنية من جهة الغرب دار الخطابة والمنبر الموضوع بصدر الجامع من الخشب، وهو مرصّع بالعاج والأبنوس، وهو الذي عمله السلطان الملك العادل نور الدين الشهيد. وكان عمله في شهور سنة 564هـ وقال: هذا برسم القدس، فلما فتح الله البلاد على يد الملك صلاح الدين أحضره من حلب، وهو موجود إلى عصرنا (عصر المؤلف سنة 900هـ / 1494م وقد أحرقه اليهود سنة 1969م).

وعليه مكتوب تاريخ عمله، وهذا لحسن نية نور الدين، فإنه بلغه الله مراده بعد وفاته.

ومقابله دكة المؤذنين على عُمُد من رخام في غاية الحُسْن. ولهذا الجامع عشرة أبواب يُدخل منها إليه من صحن المسجد الأقصى فسبعة أبواب منها في جهة الشمال، وكلّ باب ينتهي إلى كور من الأكوار السبعة التي سبق ذكرها. وبظاهر الأبواب السبعة رواق على سبْع قناطر، كل باب قبال قنطرة، وبها أربعة عشر عمودًا من الرخام مبينة في السواري

وباب من جهة الشرق، وهو الذي ينتهي إلى جهة مهد عيسى وباب من جهة المغرب والباب العاشر وهو الذي يُدخل منه إلى المكان المعروف بجامع النساء وبداخل هذا الجامع بئر عن يسار الداخل من الباب الكبير يسمى بئر الورقة وقد ورد في أمر الورقة حكايات وأخبار مختلفة ..وبجوار هذا الجامع القبلي من جهة الشرق قبو كبير معقود يُسمّى النجارة، توضع فيه آلة المسجد ولعله من بناء الفاطميين والله أعلم. وبه فم ثان لبئر الورقة.

ب) وصف قبة الصخرة سنة 900هـ / 1494م:

قال مجير الدين الحنبلي: وأما الصخرة الشريفة فهي في وسط (المسجد الأقصى) على الصحن الكبير المرتفع عن أرض المسجد الأقصى وعليها بناء في غاية الحسن والإتقان.

وهي قبة مرتفعة علوّها وأحد وخمسون ذراعًا بذراع العمل (85 سم) الذي تذرع به الأبنية. وهذا الارتفاع من فوق الصحن. وأما علوّ الصحن من أرض المسجد الأقصى من جهة القبلة عند قبة النحوية فهو سبعة أذرع، فيكون ارتفاع القبة عن أرض المسجد ثمانية وخمسين ذراعًا.

وهي مرتفعة على عُمُد من رخام وسواري مبنية في غاية الإحكام والإتقان. وعدد العمد الرخام اثنا عشر عمودًا، والسواري أربع. والصخرة الشريفة تحت هذه القبة يحوطها درابزين من خشب ويحوط بالعمد والسواري الحاملة للقبة درابزين من حديد، وخارج القبة سقف مستدير من الخشب المدهون المذهب على عُمُد من رخام وسواري، عدد

العُمُد ستة عشر عمودًا والسواري ثمان. وأرض القبة وحيطانها مبنية بالرخام باطنًا وظاهرًا ومزينة بالفصوص الملونة في العلوّ من الباطن والظاهر. والبناء الذي حول القبة على حكم التثمين.

وذرع دائره في سعته من الباطن مائتا ذراع وأربعة وعشرون ذراعًا. ومن الظاهر مائتا ذراع وأربعون ذراعًا، وموضع القدم الشريف في حجر منفصل عن الصخرة محاذٍ لها آخر جهة الغرب من جهة القبلة، وهي على عُمُد من رخام.

وتحت الصخرة مغارة من جهة القبلة يُتوصل إليها من سُلّم حجر ينزل فيه إلى المغارة. وعند وسط السّلّم صُفّة صغرى متصلة به من جهة الشرق يقف عليها الزوّار لزيارة لسان الصخرة. وهناك عمود من رخام ملقى طرفه الأسفل على طرف الصُّفّة من جهة القبلة مستندًا إلى جدار المغارة القبلي، وطرفه الآخر الأعلى مسند إلى طرف الصخرة كأنه مانع لها من الميل إلى جهة القبلة أو لغير ذلك وهذه المغارة من الأماكن المأنوسة عليها الأُبهة والوقار.

(ثم ذكر قصة تقول إن الصخرة معلقة بين السماء والأرض؟) وللقبة التي على الصخرة وللبناء المستدير حولها سقفان: أحدهما من خشب وهو المدهون المذهب، وفوقه سقف آخر يعلوه الرصاص وبين السقفين خال متسع.

ولقبة الصخرة الشريفة أربعة أبواب من الجهات الأربع. فالباب القبلي: هو المقابل للجامع الذي في صدر المسجد الأقصى المتعارف بين

الناس أنه الأقصى، وعن يمين الداخل منه المحراب، ويقابله دكة المؤذنين على عُمُد من رخام في غاية الحسن.

والباب الشرقي تجاه درج البراق قبال قبة السلسلة ويسمى باب إسرائيل.

والباب الشمالي هو المعروف بباب الجنة.

والباب الغربي هو الذي يقابل باب القطانين - من أبواب المسجد الأقصى - .

جـ) ذكر ما في ساحات المسجد الأقصى (الحرم) غير قبة الصخرة والجامع:

قال مجير الدين الحنبلي في كتاب (الأنس الجليل):

1- (إن المتعارف عند الناس أنَّ الأقصى من جهة القبلة هو الجامع المبنيّ في صدر المسجد الذي به المنبر والمحراب الكبير. وحقيقة الحال: أن الأقصى اسم لجميع المسجد مما دار عليه السور فإن هذا البناء الموجود في صدر المسجد وغيره، من قبة الصخرة والأروقة وغيرها مُحدثة. والمراد بالمسجد الأقصى هو جميع ما دار عليه السور.

2- وأما ذرع المسجد (القياس بالذراع) فقد اجتهدتُ في تحريره وتوليت ذلك بنفسي، وقيس بحضوري بالحبال.

فكان طوله قبلة بشمال من السور القبلي عند المحراب المعروف بمحراب (داود؟) إلى صدر الرواق الشمالي عند باب الأسباط ستمائة

وقبة السلسلة: على صف قبة الصخرة، وهي شرقيها، بين الباب الشرقي ودرج البراق، وعدد ما فيها من العمد الرخام سبعة عشر عمودًا غير عمودي المحراب، وهي من بناء الوليد بن عبدالملك.

والصحن المحيط بقبة الصخرة على حكم التربيع، لكن طوله من القبلة إلى الشمال أكثر من عرضه من الشرق إلى الغرب.

وعلى ظاهر كلّ باب من أبواب قبة الصخرة الأربعة عضائد وعُمُد من رخام وسقف يعلوه. والصحن مفروش بالبلاط الأبيض.

ويتوصل إليه من عدة أماكنٍ من صحن المسجد الأقصى. كل مكان به سُلّم من حجر وعلى رأس السلّم قناطر مرتفعة على عُمُد. فمن ذلك: سُلّمان من جهة القبلة أحدهما مقابل باب الجامع المشهور عند الناس بالأقصى. وعلى رأس هذا السلم منبر من رخام وإلى جانبه محراب يُصلّى في هذا المكان العيد والاستسقاء.

وهذا المنبر، أُخبرت أن الذي عمره قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة، وأنه كان قبل ذلك من خشب يُحمل على العَجَل. والسلم الثاني: يليه من جهة قبة الطومار، وهي على طرف صحن الصخرة من جهة جبل الزيتون. وهذا السلم مقابل لسور المسجد الأقصى القبلي.

ومن ذلك سلّم من جهة الشرق يُعرف بدرج البراق، ينتهي إلى أشجار الزيتون المغروسة شرقي المسجد عند باب الرحمة ومن ذلك سُلّمان من جهة الشمال أحدهما مقابل باب حطة والثاني مقابل باب الدويدارية (الحديد).

وستين ذراعًا بذراع العمل التي تذرع الأبنية به في عصرنا (عصر المؤلف) غير عرض السورين (= 495م) وعرضه شرقا بغرب من السور الشرقي المطل على مقابر الرحمة إلى صدر الرواق الغربي - الذي هو أسفل المدرسة التنكزية - أربعمائة ذراع وستة أذرع (406) بذراع العمل غير عرض السورين (ويساوي 150480م مربع حوالي 18٪ من مساحة القدس القديمة داخل السور،لأن مساحة القدس القديمة 868 دونم).

3- من منشآت ومعالم المسجد الأقصى غير قبة الصخرة والجامع الذي في القبلة: وبظاهر الجامع في صحن المسجد من جهة الشرق، في السور القبلي محراب كبير، وهو بالقرب من مهد عيسى.

وبآخر المسجد من جهة الشرق مكان معقود به محراب، وقد عُرف هذا المكان بسوق المعرفة، ولا أعرف سبب تسميته بذلك، والظاهر أنه من اختراعات الخدام لترغيب مَنْ يرد إليهم من الزوّار.. وكان هذا المكان قد جُعل قديمًا مصلى للحنابلة أفرده لهم الملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق وأذن لهم في الصلاة فيه.

وأسفل هذا المكان المعروف بسوق المعرفة مسجد تحت الأرض يُعرف بمهد عيسى، ويُقال: إنه محراب مريم عليها السلام (وهذا من اختراع الصليبيين).

وبظاهر الجامع من جهة الغرب في صحن المسجد الأقصى، مكان معقود يُعرف بجامع المغاربة.. وفيه صلاة المالكية.. وهو من أَثر البناء الأموي الذي كان في صدر المسجد من جهة الشرق إلى جهة الغرب.

ومن ذلك ثلاثة سلالم من جهة الغرب أحدها مقابل باب الناظر وهو منحرف عنه.

والثاني: مقابل لباب القطانين والمتوضأ.

والثالث: مقابل باب السلسلة. وهذا السلُّم محدث في عصرنا (عصر المؤلف) سنة 877هـ وبجوار هذا السُّلم القبة المعروفة بالنحوية التي أنشأها الملك المعظم عيسى.

وعن يمين الصخرة والصحن من جهة الغرب قبة المعراج. وهي مشهورة مقصودة للزيارة. وهذا البناء عمّره الأمير عز الدين سعيد السعداء متولي القدس سنة 597هـ وكان قبل ذلك قبة قديمة، ودثرت فجُدّدت هذه القبة.

ويقال: إنه كان إلى جانب قبة المعراج في صحن الصخرة قبة لطيفة، فلما بُلّط صحن المسجد أُزيلت تلك القبة وجُعل مكانها محراب لطيف مخطوط في الأرض بالرخام الأحمر في دائرة على سمت بلاط الصخرة وهو موجود إلى يوم المؤلف سنة 900هـ ويقال إن موضع ذلك المحراب موضع صلاة النبي محمد ﷺ بالأنبياء ليلة الإسراء، وهو مقام النبي محمد ﷺ.

وتحت المقام الغربي مما يلي قبة الصخرة، صخرة تسمى (بخ بخ.. وإنها موضع الخضر).

وهذا المكان قد ترك في عصر المؤلف وصار حاصلاً للمسجد وهو أسفل صحن الصخرة باتجاه باب الحديد بلصق السلم المتوصل منه لصحن الصخرة.

وعلى ظهر هذا المكان محراب من رخام مخطوط في صحن الصخرة يعرف بمغارة الأرواح، يقصده الناس للزيارة.

وفي مؤخر المسجد الأقصى من جهة الشمال مما يلي المغرب صخور كثيرة ظاهرة.

وفي تلك الجهة بالقرب من باب الدويدارية قبة محكمة البناء بداخل صخرة ثابتة وتُعرف هذه القبة بقبة سليمان، والصخرة ثابتة فيها، والبناء الذي عليها من عهد بني أُميّة.

وأما القبة التي تجاه باب السلسلة المعروفة بقبة موسى فليس هو موسى النبي ولم يصح خبر في نسبتها بذلك. والذي أمر بعمارتها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة 649هـ وكانت تُعرف قديمًا بقبة الشجرة.

وفي المسجد الأقصى من جهة الغرب أروقة مبنية بالبناء المحكم وهي ممتدة من جهة القبلة إلى جهة الشمال.

أولها عند باب المسجد المعروف بباب المغاربة، وآخرها عند الباب المعروف بباب الناظر. وفوقه إلى قرب باب الغوانمة.

وهذه الأروقة كلها عمرت في سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون فالرواق الممتد من باب المغاربة إلى باب السلسلة عمر سنة 713هـ والرواق الممتد ما يلي منارة باب السلسلة إلى قريب من باب الناظر عُمّر سنة 737هـ.

والرواق الممتد من باب الناظر إلى قرب باب الغوانمة عُمّر سنة 707هـ.

وفي صحن المسجد الأقصى من جهة الغرب بين الأروقة وصحن الصخرة عدة محاريب على مساطب مبنية للصلاة، وأشجار كثيرة تشتمل على ميس وتين وغيرهما.

وأما الأروقة من جهة الشمال. فهي ممتدة شرقًا بغرب من باب الأسباط إلى المدرسة الجاولية، وهي المعروفة يومئذ بدار النيابة. والرواق الممتد من باب الأسباط إلى المدرسة القادرية، تدل قرينة الحال على أنه بُني مع المنارات التي هناك في سلطنة الأشرف شعبان بن حسين سنة 769هـ. والرواق الذي في أسفل القادرية بُني معها وكذلك مجمع المدرسة الكريمية.

وأما الرواق الممتد من باب حطة إلى باب الدويدارية، فالظاهر أن الذي عمره الملك الأوحد مع تربته التي بباب حطة والرواق الممتد من باب الدويدارية إلى أخره من جهة الغرب - وعلى ظهره خمس مدارس - فبعضه وهو الذي أسفل المدرسة الأمينية والمدرسة الفارسية كان قديمًا. ثم جددت عمارته في دولة الملك المعظم عيسى سنة 610هـ.

وباقيه وهو الذي أسفل ثلاث مدارس وهي - الملكية والأسفردية والصبيبية - فكل مدرسة بُني معها ما تحتها من الرواق وأما الرواقان السفليان اللذان أسفل دار النيابة فإنهما عُمّرا مع منارة الغوانمة..

وفي المسجد من جهة الشرق بين صحن الصخرة والسور الشرقي أشجار زيتون كثيرة قديمة من عهد الروم، وآثار أروقة متهدمة عند مهد عيسى لعلها من آثار البناء الأُموي.

وقبة الطومار: وهي قبة على طرف صحن الصخرة من جهة القبلة مما يلي الشرق: قيل رمى أحدهم طومارًا من فوق جبل الزيتون فوقع في مكانها فبنيت.

وحاكورة القاشاني: وهي مكان بجوار قبة الطومار إلى جانب صحن الصخرة من جهة القبلة، وبه خلوة. وكان يجلس فيها الشيخ عبدالملك الموصلي، وكان عمل في حيطانها وزرة من القاشاني فعرفت بذلك.

وزاوية البسطاية أسفل صحن الصخرة من جهة الشرق عند الزيتون وهي مكان مأنوس كان يجتمع فيه الفقراء البسطامية لذكر الله تعالى، وقد سُدّ بابها في عصر المؤلف.

وزاوية الصمادية بجوار زاوية البسطامية من جهة الشمال وهي بلصق درج البراق. وقد سُدَّ بابها أيضًا.

وفي المسجد من الآبار المعدة لجمع ماء الأشتية (جمع شتاء) أربعة وثلاثون بئرا. منها بئر الورقة بداخل الجامع الذي في القبلة. ومنها في صحن الصخرة سبعة. والباقي في أرض المسجد حول صحن الصخرة من الجهات الأربع فمنها ماله فمان، ومنها ماله ثلاثة أفواه. فعدد الأفواه نيف وأربعون فمًا. ومن الآبار ما هو خراب، وبعضها قد سُدَّ.

وأسفل المسجد الأقصى من جهة القبلة مكان كبير معقود وبه سوار حاملة للسقف، وهي تحت المكان الذي فيه المحراب والمنبر ويسمى هذا المكان السفلي (الأقصى القديمة)..

وإلى جانب هذا المكان أيضًا أسفل المسجد تحت الجهة التي بها الأشجار والزيتون مكان عظيم معقود يُقال له (إصطبل سليمان) وهو داخل تحت غالب المسجد.. ويتوصل إلى كُلا المكانين المذكورين من تحت سور المسجد القبلي. قال أبو أحمد (اصطبل سليمان) اسم أطلقه الصليبيون على المكان. وما تحت الأقصى هو ما سُمّي في العصر الحديث: (المصلى المرواني) وقد رُمّم وحُسّن، وأُعدَّ للصلاة.

وأما المنائر (المآذن) ففي المسجد أربع منائر، ثلاث منها صف واحد غربي المسجد، وواحدة على باب الأسباط.

فالمنارة الأولى: على مقدم المسجد من جهة القبلة مما يلي الغرب على المدرسة الفخرية، وهي ألطفها لكونها على غير أساس وإنما هي على ظهر مجمع المدرسة الفخرية ولعلها بناء صاحب الفخرية والثانية: على باب السلسلة على الجانب الغربي من المسجد، وهي المختصة بالأماثل من المؤذنين، وعليها عمل المسجد واعتماد بقية المنائر. وهي من بناء تنكز، نائب الشام حين بنائه لمدرسته والثالثة: على مؤخر المسجد من جهة الشمال، مما يلي الغرب وتسمى مأذنة الغوانمة لكونها عند باب الغوانمة.. وهي بناء القاضي شرف الدين عبدالرحمن ابن الصاحب الوزير فخر الدين الخليلي ناظر أوقاف الحرمين (مكة والمدينة) سنة 677هـ والرابعة: على الجهة الشمالية من المسجد بين باب الأسباط وباب حطة. وهي بناء قطلوبغا ناظر الحرمين سنة 769هـ.

4- وأما أبوابَ المسجد الأقصى:

فأولها بابان متحدان في السور الشرقي، أحدهما: باب الرحمة والثاني: باب التوبة. وهما (الآن) غير مشروعين.

وكان على علوّ هذا المكان الذي على باب الرحمة زاوية تسمى (الناصرية) وكان بها الشيخ نصر المقدسي يقرأ العلم مدة طويلة وتسميتها (الناصرية) نسبة للشيخ نصر. ثم أقام بها الإمام أبو حامد الغزالي فسميت الغزّالية.. وقد خربت ولم يبق (الآن) لها أثر سوى بعض بناء مهدوم.

وبالسور الشرقي أيضًا بقرب البابين المذكورين من جهة القبلة باب مسدود بالبناء، وهو مقابل درج الصخرة المعروف بدرج البراق. ويقال: إن هذا الباب هو باب البراق الذي دخل منه النبي ليلة الإسراء، ويسمّى باب الجنائز لخروجها منه قديمًا.

وباب الأسباط: وهو في مؤخر المسجد في آخر جهة الشمال من جهة الشرق وهو قريب من بابي الرحمة والتوبة.

وباب حِطّة: في جهة الشمال من المسجد.

وباب شرف الأنبياء: في جهة الشمال من المسجد. ويعرف بباب (الدويدارية) نسبة إلى مدرسة بنيت إلى جانبه

باب الغوانمة: في آخر الجهة الغربية من جهة الشمال بالقرب من المنارة المعروفة بمنارة الغوانمة، وسمي بذلك لأنه ينتهي إلى حارة بني غانم، ويعرف قديمًا بباب الخليل.

وباب الناظر: وهو باب قديم، وجدد في حدود سنة 600هـ ويقال إنه الباب الذي ربط به جبريل البراق ليلة الإسراء.

وباب الحديد: استجده أرغون الكاملي نائب الشام، و(أرغون) بمعنى حديد.

وباب القطانين: سمي بذلك لأنه ينتهي إلى سوق القطانين وهو قديم جُددت عمارته سنة 737هـ.

وباب المتوضأ: بالقرب من باب القطانين، يُخرج منه إلى متوضأ المسجد. كان قديمًا وتهدم ثم جدد عمارته علاء الدين البصير لما عمر المتوضأ.

وباب السلسلة، وباب السكينة: وهما متحدان: وهما عمدة أبواب المسجد، وغالب استطراق الناس إلى المسجد منهما. لأنهما ينتهيان إلى معظم أسواق البلد وشوارعها.

وباب المغاربة: سمي بذلك لمجاورته لباب جامع المغاربة الذي تُقام فيه الصلاة الأولى، ولأنه ينتهي إلى حارة المغاربة وهذا الباب في أواخر الجهة الغربية من المسجد مما يلي القبلة. ويسمى باب النبي محمد ﷺ .

فهذه الأبواب الثمانية من باب الغوانمة إلى باب المغاربة في الجهة الغربية من المسجد.

وثلاثة أبواب في الجهة الشمالية. فجملتها أحد عشر بابًا يُتوصل منها إلى المسجد غير بابي الرحمة والتوبة. والباب المسدود في السور الشرقي.

وأما المسجد: فهو من جهتي القبلة والشرق ينتهي إلى البرية فالجهة القبلية مشرفة على عين سلوان وغيرها. والجهة الشرقية مشرفة على طور زيتا ووادي جهنم. والمنازل محيطة بالمسجد من جهة الغرب والشمال فقط.

الإنارة في المسجد الأقصى سنة 900هـ:

كان يوقد وقت العشاء ووقت الصبح: في داخل الجامع وعلى أبوابه: 750 قنديل. وفي قبة الصخرة وما حولها 540 قنديل. وهذا غير ما يسرج في الأروقة وغيرها وفي ليلة النصف من شعبان، وليلة المعراج وليلة المولد وليلة القدر كان يوقد ما يزيد على 20.000 قنديل.

الإسرائيليات في قصة المسجد الأقصى

الإسرائيليات هي الأخبار التي تسربت إلى التراث الإسلامي (التاريخ، والتفسير والحديث) وكان مصدرها كتاب اليهود المسمى (التوراة).. وإعطاؤها اسم (الإسرائيليات) خطأ تاريخي ناتج عن الجهل بتاريخ التوراة، والأصح أن تسمّى (اليهوديات) لأن التوراة مصدر هذه الأخبار، لا تمت إلى الإسرائيليين (الموسويين) بصلة فاليهود هم الذين وضعوا التوراة وضمنوها هذه الأخبار لأنهم ادعوا الانتساب إلى قوم موسى، ومن قبله إلى يعقوب وإبراهيم.. وقد رُوي جزء من حديث (وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) وإذا صحّ هذا الجزء، فإنه لا يعني نقل أخبار هؤلاء الناس من كتاب (التوراة) وإنما يعني التحدث بما حصل لهم كما ورد في القرآن، لأخذ العبرة من أخبارهم. والنص يقول (عن بني إسرائيل ولم يقل عن اليهود) ومن المتفق عليه بين المؤرخين أن(التوراة) من وضْع اليهود، بعد موسى بحوالي ألف سنة ومن المتفق عليه أن اليهود الذين ظهر اسمهم أول مرة في القرنين السابقين للميلاد، لا يمتون بصلة نسب أو دين، ببني إسرائيل المذكورين في قصة موسى، كما أن يهود العصر الحديث، لا يمتون إلى بني إسرائيل بصلة،

وليس لأحد من أجدادهم صلة بأرض فلسطين، فهم يهود تهوّدوا في أوروبا وروسيا من أجناس شتى.

هذه الأخبار التوراتية الكاذبة المخترعة الأسطورية أثرت في تاريخنا كما أثرت في التفسير والحديث، بسبب وحدة الأسماء، أو تشابهها بين ما ورد في التراث الإسلامي، وأخبار اليهود.

فقد ورد في القرآن أسماء الأنبياء: إبراهيم، وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى، وداود وسليمان، ويؤمن المسلمون بهؤلاء الأنبياء بالصفة التي نزلت في القرآن.. وقد ذكر الله في قصصهم ما فيه العبرة والعظة مع أقوامهم، ولم يحدد زمانًا ومكانًا لوجودهم لأن حكمة القصة لا تتعلق بالزمان والمكان، وإنما تتعلق بدعوة هؤلاء إلى التوحيد، وعصيان أقوامهم لهم، وتعرض هؤلاء الأقوام للخسارة والبوار لمخالفة أمر الله..

وقد جاء ذكر أسماء هؤلاء الأنبياء في كتاب اليهود (التوراة) ولكن ليس لهم الصفة الجليلة الرفيعة المذكورة في القرآن.. وفصّل كتاب اليهود فذكر المكان والزمان والأبناء والأحفاد،ووضعوا في أخبارهم قصصًا لا تليق بمقام الأنبياء.

ومع ذلك فقد تسابق المؤرخون والمفسرون في نقل هذه التفصيلات حتى وصل بهم الزلل إلى أن فسروا القرآن بالتوراة، وتركوا ظاهر لفظ القرآن إلى معاني بعيدة، لأنها وردت في التوراة. ومثال ذلك أن الله قال في قصة إبراهيم ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ (الأنعام: 74) فقال

المفسرون إنَّ (آزر) عمه وليس أباه، وإن أباه اسمه (تارح) لأنٍ التوراة ذكرت ذلك. وعللوا هذا التفسير، بأن أبا إبراهيم لم يكن مشركا، لأنهم ينزهون إبراهيم أبا التوحيد، أن يكون من ظهر رجل مشرك.. وأبعدوا في التنزيه، فقالوا: إن إبراهيم جدّ محمد عليه السلام، وهم ينزهون محمداً عن أن يكون والد جدّه إبراهيم من المشركين. ولسنا بسبيل مناقشة هؤلاء وبيان تهافت حججهم.. ولكننا نقول: إنَّ جلّ أخبار هؤلاء الأنبياء التي تهافت المفسرون والمؤرخون على نقلها تتصل بفلسطين والقدس وكان لها أثر سيئ في نفوس المسلمين بعامة، وفي نفوس مسلمي العجم بخاصة، فخذلتهم عن الجهاد لطرد اليهود من فلسطين.. وأذكر من هذه الإسرائيليات المتصلة بالمسجد الأقصى أمثلة:

1- ذكر اليهود في توراتهم الكاذبة، أن سليمان بنى هيكلاً في القدس.. فأدخل المسلمون هذه الخرافة في التفسير والحديث والتاريخ وفسروا الهيكل المزعوم بأنه (المسجد الأقصى) ووضع المسلمون حديثًا على لسان النبي محمدٍ يقول: إن سليمان بنى المسجد الأقصى أو (بيت المقدس).. وهذه خرافة منقولة عن التوراة، ناهيك عن أن (الهيكل) شيء، والمسجد شيء آخر. فالهيكل قصر بناه سليمان - الذي لا ندري مَنْ هو - ليسكن فيه هو وحاشيته ونساؤه. أما (المسجَد) فإنما وضعه الله للعبادة.. فكيف يلتقيان؟

2- في قصة الصخرة التي بنيت عليها القبة: نقلت التوراة أن هذه الصخرة كانت مذبحاً، لتقديم القرابين، وأن إبراهيم همَّ أن يذبح ابنه

إسحاق فوق هذه الصخرة، وزعم بعض المؤرخين أن الهيكل كان مبنيًا فوق هذه الصخرة.. الخ.

وجاء المسلمون، فوضعوا الأحاديث النبوية التي تقدس الصخرة وتجعلها مكانًا للمعراج، وصوروا أثر قدم النبي فيها وهو يركب البراق.. الخ.

والصحيح أن الصخرة جزء من صخور المسجد الأقصى، ومن أرضه، ليس لها ميزة، ولم يصح شيءٌ في تقديسها.. والذبيح الذي همّ إبراهيم بذبحه، هو إسماعيل، وكانت قصته في مكة، وما زال كبش الفداء سُنَّة في مناسك الحج، في المكان الذي همَّ فيه أن يذبح ابنه إسماعيل، وهو (منى).

3- وجدّد المسلمون بناء المسجد الأقصى في عهد الوليد بن عبدالملك وبقي المسلمون يزيدون فيه منشآت على مرّ القرون، فكان له سور، وأبواب ومحاريب، وقباب.. الخ وكان لابُدَّ من إضافة هذه المنشآت إلى أسماء لتمييزها، فاختاروا لبعضها اسم داود، وسليمان: فقالوا: هذا باب داود، وهذا محراب داود وهذه قبة سليمان، وهذا كرسيّه.. الخ.

وهذه الإضافة تحتمل وجهين: الوجه الأول: لتمييز الأمكنة عند تعددها، فاختاروا داود وسليمان للتبرّك بهما بوصفهما نبيين، دون أن يكون لهما علاقة تاريخيّة بالمكان في ذهن الذين اختاروا الاسمين. والوجه الثاني: التأثر بالأخبار التوراتية التي حددت مكان وجود داود وسليمان في القدس.. والحقيقة أنهما لم يكونا في القدس ولا نعلم على

وجه اليقين أين كانا، وإن كنا نرجح أنهما كانا في جهات اليمن، وأخذنا هذا الترجيح من قصة سليمان والهدهد، وملكة سبأ التي ورد ذكرها في القرآن. وخلاصة ما يراه ويعتقده أبو أحمد، ويؤيده التاريخُ في ذلك أن جميع المسميات التي وضعت للأماكن والمشاهد في القدس بخاصة وفلسطين بعامّة، والتي أخذت أسماء الأنبياء الذين ورد اسمهم في كتاب (اليهود) المسمى (التوراة) جميع هذه الأسماء، لا تدلُّ على واقع تاريخيّ، وهي من تأثير الأخبار التوراتية في ثقافة المسلمين. ربما نستثني من ذلك بعض ما يتصل بإبراهيم عليه السلام. والذي نثبتُه من قصة إبراهيم أنه جاء إلى فلسطين، ولكن قصة المغارة التي فيها قبره، فلم يرد فيها أثر تاريخيّ صحيح.. نعترف بأنه مدفون في فلسطين، ولكننا لا نعلم على وجه اليقين أين دُفنَ..

أما الآثار التي تتصل بإسحاق ويعقوب ويوسف، وموسى، وداود، وسليمان فلا يصحُّ منها شيء..

فقبر يوسف في نابلس ليس صحيحًا، لأنه توفي ودفن في مصر، وقبور الأنبياء الموجودة في المقام الخليلي، لا يصحُّ منها شيء، وقبر راحيل في بيت لحم من الخيال، ومقام موسى عند أريحا لا يصحُّ..

الأحداث الرئيسة في تاريخ القدس

البناء الأول لمدينة القدس والمسجد الأقصى كان قبل الميلاد بعشرة آلاف سنة، أو قبل ذلك.

في القرن التاسع عشر قبل الميلاد: كانت مركزًا لعبادة الكنعانيين ورد ذكرها في (نصوص الطهارة).. هذا، وأقدم ذكر لا يدل على بداية الوجود.. ولكن الكتابة التي تنبئ عن الوجود قد تأخر اختراعها إلى حوالي الألف الرابع قبل الميلاد.

1500 ق.م ورد ذكرها في ألواح تلّ العمارنة.

713 ق.م: زحف عليها سنحريب البابلي.

586 ق.م: استولى عليها نبوخذ نصّر البابلي.

351 ق.م: استولى عليها الفرس.

332 ق.م: زارها الإسكندر.

66 ق.م: دخلها القائد الروماني بومباي.

29 ق (بعد الميلاد) اعتدى اليهود على السيد المسيح.

- 70م : دمرها طيطوس الروماني.
- 135م : دمرها هادريانوس، وأعاد بناءَها وسماها (إيليا).
- 326م : بناء كنيسة القيامة زمن حكم قسطنطين.
- 611م : احتل الفرس القدس، وأعانهم اليهود على ذلك، وذبحوا آلافًا من المسيحيين.
- 615م أو 620م أو سنة 622م : وقعت حادثة الإسراء بالنبي محمد ﷺ ، من مكة إلى المسجد الأقصى. وكان ذلك زمن الاحتلال الفارسي، تحديًا للفرس المشركين وتحديًا لليهود الذين أعانوهم على قتْل نصارى القدس.
- 628م : استعاد هرقل القدس من الفرس، وحرّم على اليهود دخولها. وقد أشار القرآن إلى انتصار الروم في سورة الروم.
- 637م : فتح العربُ المسلمون القدس، ودخلها الخليفة عمر بن الخطاب.
- 705م : بنى الوليد بن عبدالملك - أو جدد بناء المسجد الأقصى.
- 1099م : استولى عليها الفرنجةُ الصليبيون، وكانت تتبع الدولة الفاطمية.
- 1187م : فتح صلاح الدين القدس.
- 1517م : بداية الحكم العثماني، وكانت بداية التفريط في أرض فلسطين والإذن لليهود بالإقامة فيها.

- 1831م : دخلها إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا.
- 1917م : دخلها اللورد اللنبي الإنجليزي.
- 1920م : كانت عاصمة الإقليم الفلسطيني الذي احتله الإنجليز.
- 1923م : بدء الانتداب البريطاني بقرار من عصبة الأمم.
- 1929م : ثور البراق.
- 1930م : حكمت اللجنة الدولية بأن حائط البراق، وما حوله من البيوت ملك للمسلمين وحدهم.
- 1948م : استولى اليهود على القدس الغربية الجديدة.
- 1967م : استولى اليهود على القدس القديمة، وكانت في عهدة الجيش الأردني.
- 1967/6/11م : أزال اليهود حارة المغاربة الملاصقة لحائط البراق.
- 1969/8/21م : أحرق اليهود جزءًا كبيرًا من المسجد الأقصى المسقوف وفيه المنبر الذي أمر بصنعه نور الدين زنكي، ووضع عام فتح صلاح الدين القدس.
- سنة 2000م : قامت انتفاضة المسجد الأقصى.
- سنة 2002م : النفق المظلم طويل، وفجر القدس بعيد، وليس في الأفق بارقة أمل، فقد سكت العرب عن القدس.. ولكننا لا نفقد الأمل في نصر الله، إذا نصرناه.

أكناف بيت المقدس

الأكناف: جمع (كَنَف) والكنف، والكنفة: ناحية الشيء وأكناف الجبل والوادي: نواحيه.

وفي الحديث النبوي (لا تزال طائفة من أُمتي ظاهرين على الحق لعدوهم قاهرين، لا يضرّهم مَنْ خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك. قالوا: يا رسول الله! وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس).

وأكناف بيت المقدس لا تحدُّها الحدود الإدارية التي يضعها الحكام لتسهيل مهمات الموظفين وتقسيم الأعمال.. وهذه الحدود تتسع في عصر، وتضيق في عصر آخر ففي العهد الروماني كان لديار بيت المقدس حدود، وجاء الفتح العربي الإسلامي فوضع حدودًا إدارية جديدة، ثم تبدلت في العهد المملوكي وجاء الأتراك فوضعوا تقسيمات جديدة، وجاء الإنجليز فاختاروا ترتيبات إدارية تناسب سياستهم في إدارة البلاد.

ونحن نرى أن (أكناف بيت المقدس) أو (ديار بيت المقدس) أوسع مما ذكرته التراتيب الإدارية كلها. إنها في مفهوم الحديث النبويّ

قد تتسع لتشمل بلاد الشام كلها.. لأن بلاد الشام هي الأرض المباركة، وليست فلسطين فقط. وقول الله تعالى ﴿ بَـٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ ﴾ (الإسراء: 1) أي: حول المسجد الأقصى، هي بلاد الشام. فكلمة (حول) تتّسع أيضًا لتشمل الشام، لأن بركة الله أكبر وأكرم من أن تكون محدودة في مساحات صغيرة، بالمفهوم البشري الضيق. ولستُ بسبيل الحديث عن (أكناف بيت المقدس) بالمفهوم الواسع ولكنني عقدت هذا الباب للحديث عن بعض النواحي القريبة التي تدخل في هذه الأكناف كما حددتها آخر التراتيب الإدارية التي يتطلّع القارئ العربيُّ اليوم سنة 2004 إلى معرفة شيء عنها..

وأقدم تحديد لديار بيت المقدس في العهد العربي الإسلامي، جاء في كتاب (أحسن التقاسيم) للمقدسي المتوفى 375هـ / 985م قال: (وحدُّ القدس ما حول (إيلياء) إلى أربعين ميلاً (والميل القديم حوالي 2600م) يدخل في ذلك القصبة (العاصمة) ومدنها واثنا عشر في البحر (الميت) وصُغر أو (زُغر) (غور الصافي في شرقي الأردن) ومآب (الكرك) وخمسة أميال من البادية.

ومن قِبل القبلة إلى ما وراء الكسيفة (شرقي بئر السبع) وما يحاذيها ومن قبل الشمال تخوم نابلس).

وفي أوائل القرن السادس عشر الميلادي - أواخر عهد ملوك مصر (المماليك) قال صاحب (الأُنس الجليل): (وأما الحدود المنسوبة لبيت

المقدس عرفاً: مما يلي القبلة: يطلق عليه عمل القدس الشريف، ويسوغ لقضاة القدس الحكم فيه: فمن القبلة: عملٌ بلد سيدنا الخليل، يفصل قرية سعير وما حاذاها وهي من عمل القدس.

ومن الشرق نهر الأردن، وهو المسمى بالشريعة.

ومن الشمال عمل مدينة نابلس، يفصل بينهما قريتا سنجل وعرزن وهما من أعمال القدس.

وتتمة الحدّ رأس وادي بني زيد، وهو من أعمال الرملة.

ومن الغرب ما يلي رملة فلسطين قرية بيت نوبة وهي من أعمال القدس ومما يلي مدينة غزة قرية عجّور، وهي من أعمال غزة.

وفي العصر الحديث تشمل ديار بيت المقدس: أقضية (جمع قضاء) القدس، ورام الله، وبيت لحم وأريحا، وهي الأقرب إلى القدس وكان الواجب جعل (الخليل) من ديار بيت المقدس، فهي تبعد عن القدس 36 كم فقط. وكل بلدة من البلدان المذكورة كانت عاصمة قضاء يتبعها عدد من القرى. (في زمن السلطة الفلسطينية قسمت البلاد إلى محافظات)

رام الله: تبعد عن القدس 16 كم.

بيت لحم تبعد عن القدس 10 كم.

أريحا: تبعد عن القدس 35 كم.

الخليل: تبعد عن القدس 36 كم.

وسوف نقف عند أقرب أكناف القدس إليه، وهي الكائنة فيما يسمى (قضاء القدس). أو كان يُسمّى. وغيرها من الأعلام القريبة: وهذه أقرب الأعلام إليه؛ مرتبة حسب أول حرف فيها:

- أبو ديس: تقع في ظاهر القدس الشرقي، وهي اليوم ملتصقة بالقدس.
- أبو غوش: في الغرب من القدس بميل إلى الشمال على بُعْد 13 كم وهي من فلسطين المحتلة سنة 1948.
- أريحا: تبعد عن القدس 35 كم إلى الشرق، قريبة من البحر الميت في الغور.. وهي اليوم عاصمة محافظة، وهي الثغر إلى الأردن عن طريق جسر الملك حسين (اللنبي): في نواحيها مزار النبي موسى وهو مقام دون حقيقة تاريخية.
- أشوع: على بُعْد 21 كم للغرب من القدس. دمّرها اليهود وشرّدوا أهلها.
- أم طوبى: في ظاهر القدس الجنوبي، على بُعْد نحو خمسة كيلومتر.
- بتير: في الجنوب الغربي على بُعْد ثمانية كيلومترات.
- بدّو: في الشمال الغربي من القدس.
- البريج: في الغرب من القدس. دمرها اليهود، على مسافة 28 كم.
- بيت أجزا: في الشمال الغربي من القدس.

- بيت أكسا: في الشمال الغربي.
- بيت أم الميس: في الغرب من القدس دمرها اليهود تقع على مسافة 14 كم.
- بيت ثول: في الغرب من القدس، دمرها اليهود، تقع على مسافة 15 كم.
- بيت جالا: معدودة ضمن قضاء بيت لحم، وهي ملاصقة لبيت لحم. بنى اليهود بعد سنة 1967 مستعمرة باسمها (بيت جيلو) وعدّوها أحد أحياء القدس بعد توسيع نفوذ بلدية القدس.
- بيت جمال: في الجنوب الغربي من القدس.
- بيت حنينا: شمال القدس على بُعْد ثمانية كيلومترات.
- بيت دقو: في الشمال الغربي من القدس.
- بيت سوريك: في الشمال الغربي من القدس.
- بيت صفافا: في ظاهر القدس الجنوبي.
- بيت عطاب: في الجنوب الغربي من القدس، دمرها اليهود على مسافة 17 كم.
- بيت عنان: في الشمال الغربي من القدس.
- بيت لحم: مركز محافظة، تبعد عن القدس عشرة كيلومترات، وفيها (كنيسة المهد) يعني: كنيسة ميلاد المسيح. وبجوارها قبر كاذب

يقال له (قبر راحيل) بناه المسلمون، واستولى عليه اليهود سنة 1967 وجعلوه محجًا، وأبقوه بأيديهم أيام السلطة الوطنية. وراحيل أم يوسف، كما تزعم التوراة.. وإن كانت أم يوسف، فهي مدفونة في مصر. لأن القرآن ذكر أنها رافقت يعقوب في رحلته إلى مصر أيام كان يوسف وزيرًا للمالية فقال الله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ (يوسف: 100) يعني أنه إلتقاهما في مصر، ورفع مكانهما. ولكن التوراة تقول: إنها ماتت وهي تلد بنيامين أخا يوسف ودفنت في بيت لحم، فأخذ المسلمون برأي التوراة الكاذبة وتركوا ظاهر خبر القرآن..

- بيت محسير: تقع غرب القدس. دمرها اليهود على مسافة 26 كم.
- بيت نقوبا: في غرب القدس بانحراف إلى الشمال على بعد ثمانية كيلومترات، وهي مدمرة.
- بير زيت: تقع شمال رام الله على مسافة 11 كم.
- بير نبالا: في شمال القدس.
- جبع: في الشمال الشرقي من القدس على مسافة عشرة كيلومترات.
- الجُديرة: في الجهة الشمالية الغربية على مسافة ستة أميال.
- الجورة: في الجنوب الغربي من القدس تقع على مسافة 8 كم، دمرها اليهود.
- جرش: تقع غرب بيت لحم. دمرها اليهود، تقع على مسافة 21 كم.

- حزمة: في الشمال الشرقي من القدس.
- الخان الأحمر: في برية القدس على طريق القدس أريحا.
- خربة اسم الله: في غرب القدس على مسافة 26 كم. دمرها اليهود.
- خربة العمور: غربي القدس. دمرها اليهود وتقع على مسافة 12 كم.
- خربة اللوز: غربي القدس، دمرها اليهود.
- الخليل: على مسافة 36 كم، جنوب القدس: وفيها المسجد المضاف إلى إبراهيم الخليل عليه السلام لما قيل إنه مدفون في مغارة تحت المسجد وقد لا ننكر أن يكون إبراهيم الخليل مدفونًا في بقعة من ديار الخليل، ولكن الذي ننكره أن يكون مدفونًا في المغارة، لأن المصدر الوحيد لهذا الخبر هو كتاب التوراة، وأخبارها لا تصح تاريخيًا.. فالمسجد أصله من بناء الرومان قبل الإسلام، وبعض النصارى يصدقون أخبار التوراة ومهما كان الأمر، فالمكان صار مسجدًا منذ الفتح العربيّ الإسلامي وقد استولى عليه اليهود بعد سنة 1967 وصار لا يسمح للمسلمين بالصلاة فيه إلا أوقاتًا معدودة وقد يمنعون من ذلك.. والمسلمون هم الذين جَنَوْا على أنفسهم، عندما صدقوا أكاذيب التوراة وأقروا بوجود قبر إبراهيم وإسحاق وسارة.. الخ وادعى اليهود النسبة إلى إبراهيم وإسحاق، فاستولوا عليه بسبب ذلك..
- خربة التنور: (علار السفلى) تقع على مسافة 18 كم، دمرها اليهود.

- دير أبان: تقع في الغرب من القدس، على مسافة 21 كم، دمرها اليهود.
- دير رافات: في غرب القدس على مسافة 26 كم، دمرها اليهود.
- دير الشيخ: في غرب القدس بانحراف إلى الجنوب على مسافة 16 كم، دمرها اليهود.
- دير عمرو: في غرب القدس، على مسافة 12 كم، دمرها اليهود.
- دير الهوا: في الجهة الغربية من القدس، على مسافة 18 كم، دمرها اليهود.
- دير ياسين: غربي القدس على مسافة خمسة كيلومترات.. كانت مسرحًا لأشهر مجازر الحرب وأشدها دموية. كان يسكنها حوالي 620 شخصًا قتل اليهود منهم سنة 1948: 245 شخصًا، نصفهم من النساء والأطفال وكان من أهداف المذبحة أن يدبّ الرعب في قلوب العرب فيتركوا ديارهم خوفا، وقد حصل الهدف..
- رأس أبو عمار: في الجنوب الغربي من القدس، على مسافة 14 كم، مدمرة.
- رافات: في الشمال الغربي من القدس على مسافة عشرة كيلومترات.
- الرام: في شمال القدس على مسافة ستة أميال.
- رام الله: تبعد عن القدس 16 كم، وهي اليوم عاصمة محافظة.

- ساريس: تبعد عن القدس 15 كم، غرب القدس، دمرها اليهود.
- سفلة، أو سُفْلى: على مسافة 18 كم غربي القدس. دمرها اليهود.
- سلوان: مجاورة لسور القدس من ناحية الجنوب.
- شرفات: في الجنوب الغربي من القدس.
- شعفاط: في ظاهر القدس الشمالي على مسافة خمسة كيلومترات.
- صَرْعة: غرب القدس على مسافة 25 كم، دمرها اليهود.
- صطاف: تقع غرب القدس على مسافة عشرة كيلومترات. دمرها اليهود.
- صوبا: تقع على مسافة عشرة كيلومترات من القدس. دمرها اليهود.
- صور باهر: في ظاهر القدس الجنوبي.
- الطور: في ظاهر القدس الشرقي على جبل الطور.
- عجور، أو عقّور: في الجهة الغربية من القدس على مسافة 15 كم، دمرها اليهود.
- عرتوف: تقع غربي القدس على بعد 21 كم.. دمرها اليهود.
- عسلين: في الغرب من القدس على مسافة 21 كيلاً. دمرها اليهود.
- عناتا: في الشمال الشرقي من القدس، على بُعْد أربعة كيلومتر، خلف جبل الزيتون.

- علاّر الفوقا: تبعد عن القدس مسافة 17 كم. دمرها اليهود.
- العيسوية: تقع في ظاهر القدس الشمالي الشرقي.
- العيزرية: تقع على نحو كيلومترين من القدس في الجنوب الشرقي من جبل الزيتون.
- عين كارم: على مسافة سبعة كيلومترات جنوب غرب القدس، طُرد أهلها منها وسكنها اليهود.
- قالونيا: في الشمال الغربي من القدس على مسافة ستة كيلومترات، دمرها اليهود.
- القبو: في الجنوب الغربي من القدس، على مسافة 12 كم، دمرها اليهود.
- القُبيبة: في الشمال الغربي من القدس على مسافة سبعة أميال.
- القسطل: تقع على مسافة ثمانية كيلومترات من القدس: على طريق يافا، القدس دمرها اليهود.. ويقترن اسمها بالشهيد عبدالقادر الحسيني حيث استشهد وهو يدافع عن القرية سنة 1948.
- قطنة: في الشمال الغربي من القدس.
- قلنديا: تقع شمال القدس على مسافة أحد عشر كم، وكان بها مطار القدس.
- كَسْلا: تقع غرب القدس على مسافة 17 كيلاً. دمرها اليهود.

- كفْر عَقَب: في شمال القدس على مسافة 13 كيلاً.
- لفتا: في الشمال الغربي من القدس على مسافة خمسة كيلومترات. دمرها اليهود.
- المالحة: في الجنوب الغربي من القدس. تبعد نحو ستة كيلومترات، دمرها اليهود.
- مخماس، شمال القدس على مسافة خمسة أميال.
- النبي صمويل: في الشمال الغربي من القدس على مسافة ثمانية كيلومترات.
- نطاف: في الشمال الغربي من القدس على مسافة 17 كم. دمرها اليهود.
- الولجة: في الجنوب الغربي من القدس على مسافة ثمانية كيلومترات، دمرها اليهود.

عائلات أولها حرف الباء:

بجالي، بخاري، بدران، البدري، بدرية، بدور، البديري، برداعية، برامكي، بربار، برزخيان، برناوي، البشاشتة، البشيتي، بطاطو، بطحيش، بكري، بلاطة، بلبيسي، بله، بليان، بنيان، بولس، بيضة.

عائلات أولها حرف التاء والثاء:

الترجمان، الترهي، تفاحة، التميمي، التوتنجي، التيجاني، تيّم، الثبتة، ثيودوري.

عائلات أولها حرف الجيم:

جابر، جار الله، الجاعوني، الجعبة، جلاجل، جلدة، جماعة، جمجوم، الجنيدي، جودة، الجوزي، الجولاني، جوهرية، جويحان، الجيلاني.

حرف الحاء:

الحايك، حبيبة، حجاب، حجار، حجج، حداد، حرامي، حرب، الحرباوي، الحريري، حسنا، الحسيني، حشيمة، حقي، حلاق، حلبي، حلو، الحلواني، حلوق، حليس، حمارنة، حمدون، حمودة، الحموري، حنا، حنانيا، الحنو، حواش، حيو.

حرف الخاء:

خانو، الخاروف، الخالدي، خبيص، الخربطلي، خروبي، خشرم، خضر، الخطيب، خلاوي، خلف، الخلفاوي، خليلو، خماش، خميس، خوام، خوري، خويص، الخياط.

عائلات القدس سنة 1948

(العائلات) جمع، مفردها (العائلة). وهي في الأصل تدل على من يعولهم الرجل ويقوم بأمرهم من أهله. من (عاله) إذا كفاه معاشه، فاعل، بمعنى مفعول.

وفي أكثر البلاد العربية تدل على أسرة الرجل التي تجتمع في بيت واحد. ولكنها تدل في بعض مناطق فلسطين على (العشيرة) أو (القبيلة) أو (الحامولة). ففي خان يونس - المحروسة - يقولون: فلان من عائلة (الآغا) أو عائلة (شرّاب)، أو عائلة (الفرا) .. الخ، وفي رأيي أن (عائلة) وهي كلمة مولدة في مفهومها، هي أشمل في الدلالة من مسميات العشيرة والقبيلة.. لأن القبيلة والعشيرة تدلان على التجمع الكبير، ثم يطول الزمن فتنقسم إلى أقسام أصغر، ينسى معها الأصل، ويذكر الفرع.. يقولون فلان أموي .. من قريش، وفلان مرواني، من بني أمية، من قريش.. الخ. أما العائلة فإن المنتمين إليها يحافظون على اسم العائلة مهما تشعبت الفروع، والتمسك باسم (العائلة) مهما تعددت الفروع، وتباعدت الأنساب، يُبقي لصلة الرحم مكانه بين الناس. ومن محاسن اسم العائلة أنه يشمل التجمع الكبير، والتجمع الصغير..

وحددت الزمن سنة 1948 لأنه يدل على نهاية ويدل على بداية: هو نهاية زمن التجمعات القروية والمدنية المستقرة، الموحدة الانتماء إلى القرية أو المدينة، وبعد سنة 1948 جاءت الهجرة الداخلية في فلسطين، فجاء إلى المدن والقرى التي لم تقع في قبضة اليهود، من ليس من أهلها أصلاً. وصار يقال هذا (مهاجر) وهذا (مواطن) أو هذا مهاجر، وهذا أنصاري، ومع أن المهاجرين سكنوا، أو سكن أكثرهم المخيمات، إلا أن المدينة والقرية لم تكن محرمة على (المهاجر) أو (اللاجئ).

عائلات أولها حرف الألف:

بإثبات (أبو) وحذف (الـ) من الاسم:

أباظة، إبراهيميان، أبو إرميلة، أبو حديد، أبو حليمة، أبو الحمص، أبو خلف، أبو ديات، أبو دبوان، أبو الذهب، أبو زهرة، أبو زياد، أبو سارة، أبو سرية،أبو السعود، أبو سلعوم (زلعوم)، أبو سنينة، أبو شريف، أبو شنب، أبو شوشة، أبو صبيح، أبو صلب، أبو ظاهر، أبو عصب، أبو عيد، أبو غربية، أبو غزالة، أبو غوش، أبو قطيش، أبو ليلى، أبو مدين، أبو ميالة، أبو ميزر، أبو ناب، أبو ناعمة، أبو هدوان، أبيلة، الأجرب، ادكيك (كدكيك)، أرناؤوط، ازحيمان (زحيمان)، ارشيد (رشيد)، اسبيتان (سبيتان)، اسبيتاني، استانبولي، اسعيد (سعيد)، اسكافي، الأسود، اشتيه، الأشهب، اصغير، أصلان، أغابي، اغزريان، الأفغاني، الإمام، امسيس، الأنصاري، أوشكان، الأيوبي.

حرف الدال:

الداودي، الدجاني، الدلو، الدزدار (لقب تركي، أهله من العرب)، دعنا، دغش، الدقاق، دكيك، الدميري، الديسي.

حرف الراء:

الربضي، رجبي، الرشق، الرصاصي، الرفاعي، الرفيدي، رملاوي، رومي.

حرف الزين:

الزاغة، الزحيمان، الزرو، الزعاترة، زعتر، الزعتري، زعرب، الزعمط، الزعيم، زكارنة، زكريان، زلاطيمو، زماميري، زنانيري، زواوي، الزيات.

حرف السين:

سابا، سابيلا، ساعاتي، السائح، سجدي، سعد، السخل، سدر، سرندح، السروري، سعادة، سكر، سكسك، سلامة، السلايمة، سلهب، سمار، سمان، سميرة، سنداحة، سنيورة، سهواني، سوداح، سور، سياج، السيفي.

حرف الشين:

شاغورية، شامية، شاهين، الشاويش، شبانة، شبر،الشيتي، الشخادمة، الشخشير، الشرفا، الشعباني، شقير، الشلبي، شلودي، شماس، شماع، الشناوي، شنطورة، الشهابي، شهلا، الشويكي، الشيخ.

حرف الصاد:

الصالح، الصالحي، صالحية، الصايغ، صب لبن، صدقي، صراف، الصفدي، صندوقة، الصياد، صيام.

حرف الطاء:

الطبجي، الطحان، طرزي، طزيز، طقطق، طليل، طنوس، طوطح، الطويل.

حرف العين:

عابدين، العارف، عبداللطيف، عبدو، عبود، عبيد، العجلوني، عديلة، عربيد، عرفة، عريان، عسكر، العسكري، العسلي، عسيلة، العفيفي، عكاوي، عكة، علامة، علاوي، العلمي، علوش، علون، علوي، العمد، العمري، عنبتاوي، عنصرة، عواد، عوري، عوض، عوضي، عون، عويضة، عياش، عيد، العيسى.

حرف الغين:

غراب، غندور، غنيم، الغوري، غوشة، غيث.

حرف الفاء:

فاخوري، الفتياني، فراح، فرحات، فرعون، الفسفوس، الفطايرجي.

حرف القاف:

قاقيش، قباني، قبعين، قدورة، قدومي، القدوة، قرش، القرعة، قزاز، قسيسة، قصوار، قضماني، القطب، قطينة، قليبو، قمر، قنبر، القواسمي.

حرف الكاف:

الكارمي، كاشور، الكاظمي، الكالوتي، كاملة، كبوتشي، كتاب، كتخدا، كتن، الكراعين، كرام، الكرد، كردي، الكسواني، كشكول، كمال، الكناني، كنعان، كوخ، كورو، كوساية، كوكيان، كيالي.

حرف اللام:

لورنس، لحام.

حرف الميم:

الماجد، مارتو، ماضي، مالكي، ماني، متى، المتولي، المحتسب، مداح، مدروس، مرار، مرمش، مرة، مريان، مزعور، مشربش، المشعشع، المصري، المظفر، معتوق، معلم، المعيدي، المغربي، المفتي، مقبل، مقدح، مقمار، ملكيان، المملوك، مهتدي، المعتدي، المهلوس، موسى، الموسوس.

حرف النون:

النابلسي، ناصر، ناعوري، النتشة، نجم، نزال، نسيبة، النشاشبي، نصار، نصورة، نمر، النمري، نور الدين، نورسي.

حرف الهاء:

هادية، هداوي، هداية، هدمي، هشلمون، هندية، هيموني.

حرف الواو والياء:

وزوز، وعري، وهبة، يغمور، ينو، يورغاس.

ملاحظة: قد يتكرر اسم العائلة في القدس، وفي مدينة أخرى أو قرية.. فيكون ذلك لأحد سببين: الأول أن العائلة قد سكنت في القدس، وفي مدينة أخرى، قبل الهجرة، وقد يكون من تشابه الأسماء.

جيران بيت المقدس

في أكناف بيت المقدس أو في ديار بيت المقدس، أو ما يسمى (قضاء القدس) عدد من المدن والقرى، نذكرها وننسب العائلات إلى قراهم

1- قرية أبو ديس:

تبعد عن القدس حوالي ثلاثة كيلومترات، وهؤلاء أهلها:

أبو بسيسية، أبو دعموس، أبو راس، أبو قلبين، أبو هلال، آل البحر، بدر، بدرية، البو، بيضون، تميمي، آل جابر، جاموس، جفال، آل حسن، الحلبية، الخطيب، آل خلف، الخنافسة، دندن، ربيع، الزنتون، الطويل، عريقات، عطا الله، عليان، عيد، قريع، اللبدي، محسن، مفرح، النوافلة، وراد.

2- قرية أبو غوش:

تبعد 14 كم عن القدس، وهي بلدة تقوم أصلاً على عشيرة (أبو غوش) ومن فروعها:

اقطيش، سعادات، عثمان، علون، جبر، إبراهيم.

3- أرطاس:

على مسافة ثلاثة كيلومترات من بيت لحم، وهؤلاء أهلها:

آل خلاوي، الخليل، ربايعة، رشيد، سليمان، سند، شاهين، الشيخ، آل صويً، طشمان، آل عايش، العلي، غريب، غيث، مسك.

4- أريحا:

تبعد عن القدس 37 كم في الغور، وهؤلاء سكانها:

أبو دلو، أبو زينة، أبو زلعوم، أبو غزالة، أبو نار، اشتية، اكتيفة، الكتيفي، بالو، برهم، الجاعوني، جلايطة، الفوج، الجيلاني، الحضرمي، رامو، رجوب، السراديح، سكر، شكوكاني، شلباية، شناعه، الصاوي، صرمة، صفران، الطبراني، عبد ربه، عرقوب،عليان، عواجنة، عوض الله،الفاروقي، القريشي، الكالوتي، الكلياني، المدني، مراد، العيد، المغير، آل مكي، آل موسى، البراهمة، الرثوم، الغروف.

5- اشوع:

مدمرة، كانت تبعد عن القدس 21 كم، وهؤلاء أهلها في مهجرهم:

الضراغمة، أبو حليب، أبو عيسى، أبو وردة، اغريب، حسن، عطا الله، عرار، كنعان، عواد، شاهين، المناصرة: عدوان، الشيخ أحمد، آل صالح، المصري.

6- ام طوبة:

وتقوم القرية على عائلة (أبو طير).

7- بتير:

تبعد عن القدس ثمانية كيلومترات، وهؤلاء أهل بتير:

أبو بدر، أبو الحاج، أبو حارثية، أبو حسن، أبو حسين، أبو مر، أبو نعمة، الأعرج، البربوك، البطمة، الزغير، الشامي، الشريخ، آل الشيخ، عدوان، عليان، عوينة، عياش، فنون، قصقص، قطوش، القيق، محاجرة، المثنى، مشيني، معمر، النجار، الوحش.

8- بـدّو:

تبعد عن القدس ثمانية كيلومترات، وهذه عائلات قرية بدّو:

أبو زر، أبو عبيد، أبو عيد، أبو كبير، البداوي، بدوان، الخضور، الدالي، سليم، سليمان، سمارة، عدوان، عياش، القباني، مرار، منصور، الهندي.

9- البريج:

تبعد عن القدس 28 كم، وهي قرية مدمرة سنة 1948 وهؤلاء أهلها الحاملون حجج امتلاكها:

أبو خديجة، أبو زينة، الصعوب، النجار، نصر الله، وشاح، مناع، عطية.

10- بيت إجزا:

تبعد عن القدس 10 كم، من عائلاتها: غريب وكفير.

11- بيت إكسا:

تبعد عن القدس أربعة كيلومترات، وإليك بيوت القرية:

أبو صافية، أبو قطى، الجربوعة، حبابة، حسان، الخطيب، زايد، سيف، الشاعر، شعلان، صباح، صبري، صبيح، ظاهر، عجاج، عبدالهادي، عبدالوهاب، العرموطي، غيث الكسواني، محسن، المثني.

12- بيت أم الميس:

تبعد عن القدس 12 كم، دمرها اليهود عام 1948 وهؤلاء أهلها:

الشريف، حمدان، غنية، جعفر.

13- بيت ثول:

تبعد عن القدس 12 كم، دمرها الأعداء عام 1948 من أشهر عائلاتها آل بياع.

14- بيت جالا:

تبعد عن القدس 10 كم وهذه العائلات من سكانها:

أبو حجر، أبو رمان، أبو سعد، أبوعمشا، أبو عبد، أبو غطاس، أبو غوش، أبو فضة، أبو هدية، الأزرق، الياس، البجالي، بشارة، بندي،

بيزنطي، ثلجة، جعنينة، الجوابرة، حدادين، الحذوة، الحصين، الحلتة، خمشتا، حميدة، خاروفة، خليلية، الخوري، دريش، دعمس، ربيع، زرينة، زعموت، الزمر، زيدان، السرياني، الشاعر، شحادة، أبو سند، شعلب، أبو شلعب، الشنايز، صراصرة، الصوص، الطوال، عباسي، العرجة، العلام، العلم، عمرو، عمور، عواد، عويس، القحاط، قعبر، قنفر، قنيص، كلدانة، كنعان، محاليس، مساعدة، مطر، المعلم، مكركر، الهودلي[1].

15- بيت جمال:

تبعد عن القدس 24 كم، ومن أشهر عائلات القرية: آل السروجي.

16- بيت حنينا:

تبعد عن القدس 8 كم، وهذه عائلاتها:

أبداح، أبو حمدة، أبو زاهرية، أبو صبيح، أبو طاعة، بدرية، بزلميط، حجازي، حنانية، خوري، دبابنة، دولة، الربضي، سلمي، السويطي، شومان، عابدين،غانم، غرابلة، القيمري، لبدي، مسعود، النجار، الهنيني، الودي، السعو، الطراميخ، الطمس، ناصر.

---

(1) دأب كثير من المؤرخين على تعيين الدين، أو الطائفة التي تنتمي إليها العائلات الفلسطينية، فيقولون: هذه العائلة (مسيحية أو درزية، أو مسلمة).. وأنا لا أميل إلى هذا المنهاج، فأذكر اسم العائلة، لأنها تنتمي إلى هذا الوطن، أما (الدين) فالله هو الذي يحصي أهله، وهو الذي يهب الجنة، أو يعذب بالنار.. واليهود أعداء الناس جميعًا ويحرصون على إزالة العروبة من أرض فلسطين، ولا يفرقون بين نصراني ومسلم، ويتعدون على الكنائس والمساجد، قلت هذا، لأن (بيت جالا) من مواطن المسيحيين في فلسين، فلم أعين دين هذه العائلة أو تلك.

17- بيت دقو:

تبعد عن القدس حوالي 12 كم، ومن عائلاتها:

آل داود، وريان، آل زين، علي حسين، محمد، مرار.

18- بيت ساحور:

ملاصقة لمدينة بيت لحم من الشرق، ومن عائلاتها:

أبو الزلف، أبو سرور، أبو سعدة، أبو عطية، أبو عفية، أبو عمرية، أبو عيطة، أبو فرح، أبو فرحة، الأخرس، دعيس، الأطرش، الأعرج، انضوني، البردويل، بندلي، بنورة، البهو، القيم، جماليه، الجرايسة، أبو عيطة، آل سلامة، الحايك، حجازي، حلاوة، حماد، حمدان، حميضة، جنونة، الحوراني، خاير، خندس، خوري، خير، دقه، الدخيلان، دنون، ربايعة، رشماوي، رمشاوي، رنبو، الزحلان، سلسع، سلع، سهران، الشايب، شريم، شعيبات، شوملي، صبابة، الصرعاوي، الصوان، طنوس، عجاج، عواد، عياد، غانم، غر، غطاس، فرح، فلسع، قاحوش، قسطة، قسيس، قشطة، قمصية، قيس، كوكلي، مرقص، المشني، المشيني، مصلح، النهواشي، هرماس، هلال، هندي، الهواش، الوحوش، اليتيم.

19- بيت سوريك:

في الشمال الغربي من مدينة القدس، وهذه عائلاتها:

أبو إسماعيل، عطا الله، قراجة، أبو شرفة، أبو صبح، الترك، تيم، الجمل، حميد، الحيحي، خطاطبة، رداد، سلطي، شقير، الشيخ، الشيوخ، عبدالقادر،عرابي، عفالقة، عفانة، قنديل، تعامرة.

20- بيت صفافا:

تبعد عن القدس حوالي أربعة كيلومترات، وهذه بيوتها:

أبو حطب، أبو شنب، جاد الله، درويش، دولة، سرحان، سلمان، عبد ربه، عليان، شعبان، صبحي، عابد، عثمان، اعمري، غيث، الفجاري، لافي.

21- بيت عطاب:

في الجنوب الغربي من الدس، دمرها اليهود، وهؤلاء أهلها:

اللحام، أبو تايه، الحوباني، السقا، الشيش، عبيد الله، عليان، عيسى، هماش، يوسف.

22- بيت عنان:

تبعد عن القدس 13 كم في الشمال الغربي، وعائلاتها:

أبو الذهب، أبو زيد، ابو وزنة، الجبارين، الجزرة، حمرور، جمهور، حميد، حميدة، الحناوي، خبيزة، الدويك، ربيع، زعتر، السلفيتي، شحادة، الشيخ، غيث، فحماوي، المصري، المطري، ناصر، هصيص، الهوارين، الياموني، يوسف.

23- بيت فجار:

تبعد عن القدس 23 كم، في الجنوب الغربي، وفيها العائلات التالية:

الثوابتة، بلو، خليل، إبراهيم، الكار، الديرية، أبو غيث، حسين، حسين الجبر، صوصة، غزال، محمد عودة، الطقاطقة، سلمان، الشيخ، مسلم، أبو جامع، أبو حيان، قواسمي.

24- بيت لحم:

تبعد عن القدس عشرة كيلومترات، وهؤلاء أهلها من المسلمين والنصارى دون تعيين:

أبداح، اجحا (جحا)، أبو حمامة، أبو خليل، أبو زعرور، أبو زغيبرة، أبو زقم، أبو سرحان، أبو شايبة، أبو شمسية، أبو طي، أبو العراج، أبو عطية، أبو غريبة، أبو غلوس، أبو كف، أبو نجمة، أبو هليل، الأعمى، الفرد، نعيمي، باسوس، البح، بربارة، برهوم، بطارسة، بطو، بغرة، بلحة، البم، البندك، البوطي، بيكي، تويمة، جاسر، جبرا، الجبران، جدان، جرايسة، جزراوي، جقمان، جواهرة، الجولاني، جيرية، جيلاني، حانوتي، حداد، حذوة، حرب، حزبون، الحزين، الحسان، حشوة، الحلتة، الحلمان، الحلو، حمد الله، حميدة، حنانيا، حنضل، حوش، خروفة، الخطيب، خليف، خوري، دحبورة، الدحدول، دعامة، الدعبوب، دعيق، دنديس، الرفاتي، الزيلقي، زبيدي، زرزور، زريقان، زغبي، الزواهرة، السائح، السعدي، السقا، السقعان، سلامة، سلهب، سمعان، السن، سند، الشاعر، شامية، شاهين، شحادة، شختور، الشريف، شلش، شليكو، شوكة، الشوملي، صابات، الصفدي، الصلاحات، صومال، الصويص، طبش، طبنجة، عبودي، عازر، عايش، العدم، عزبة،

عصفور، عصفورة، عطوان، عطون،عكاوي، علم، عمري، عناني، عنكي، عواد، عياضة، عيسى، فراج، فرارجة، فريج، فسيسي، فليفل، الفواغرة، قراعة، قرنفل، قطان، قعوار، قنواتي، قوار، قواصي، الكامل، كبوتشي، كرمش، كنعان، كواجبة، اللوح، اللوصي، ماريا، المالحي، مبصلة، مخلوف، مدلينا، مراد، مرقص، مرة، مسالمة، مشبك، مصو، مطر، المغربي، المكركر، مكيل، ناصر، نعمة، نعواش، النعيمي، نوارة، نواورة، هريمي، هنديلة، الوصايا.

25- بيت محسير:

تبعد عن القدس 26 كم نحو الغرب، وهي قرية مدمرة كانت عامرة بالعائلات:

أبو جندية، أبو حشيش، أبو شحادة، أبو شريخ، أبو فطيمة، الخطيب، داود، سعادة، الأقرع، حمد الله، علان، علقم، عيسى، نمورة، العبابدة، حماد،عباد، عواد، غنايم، معالي، نوفل، أبو حلاوة، شباب، الشوملي، عفانة.

26- بيت نقوبا:

تبعد عن القدس 12 كم، قرية مدمرة سنة 1948 وكان يسكنها عائلات:

شحادة، عبدالله، عثمان.

27- بيرنبالا:

في الشمال الغربي من القدس، ويسكنها عائلات:

أبو سنينة، الأشقر، الحجة، رمضان، زيدان، العملة، عيسى.

28- التعامرة (عرب):

أخذوا اسمهم من قرية تعمر على بعد تسعة كيلومترات من بيت لحم نحو الجنوب الشرقي. و(عرب التعامرة) أو (التعامرة) عشيرة عربية أخذت اسمها من مكان وجودها، وأصبح علمًا على المكان، بوصفه قرية أو تجمعًا سكانيًا ثابتًا، ثم سكن في منطقة هذه العشيرة، من ليس منها، فيقال: العائلة الفلانية من عرب التعامرة، ويراد به المكان، أو يراد به النسب. و(التعامرة) يستقرون في قضاء القدس، وفي ضواحي بيت لحم، في نواح متعددة ومتفرقة. وتقسم التعامرة إلى ثلاثة عشائر كبيرة هي:

الحجاحجة: ويسكون بيت لحم، والتقوع، والجواف، ونقب حرمله ويقسمون إلى العائلات التالية:

الزير، الشاعر، صبّاح، الصلاحات، العساكرة، العمور، سالم السوالمة.

والشرايعة: ويسكنون بيت تعمر، وزعترة، والفريديس، ويقسمون إلى العائلات التالية:

الزواتين، والشرايعة، والشواورة، ومنهم الدرعاوي، وآل صلاح، والمساعدة، أو (السعدة).

العشيرة الثالثة: العبيات، ويقسمون إلى عائلات: أبو جلغيف، وأبو دية، وجبران، وحمدان، والخطيب، والمحاربة: ويقسمون إلى آل حميدة، وآل حسن، وصومان، والوحش، آل محسن ويتفرع منهم: آل سمرين، والنواورة.

وقد أبلى (العبيات) في انتفاضة الأقصى بلاءً حسنًا، واستشهد منهم شباب كثيرون.

29- جبع:

في الشمال الشرقي من القدس، تبعد عنها عشرة كيلومترات. وفيها العائلات:

أبو عدوي، عليان، الجبعي، توام، القوام، القيسي، المطري، مطلق، مغامس.

30- الجديرة:

في الشمال من القدس. ومن عائلاتها: شحادة، قاسم، قلالوة.

31- جرش:

في الجنوب الغربي على مسافة 28 كم، وهي قرية دمرها اليهود، وكان فيها العائلات: جراشي، الزعاري، عطية.

32- الجورة:

في الجنوب الغربي من القدس على مسافة ثمانية كيلومتر، دمرها اليهود لعنهم الله أينما حلّوا، وكان فيها العائلات:

أبو عابد، جعفر، حمدان، خطار، الصويص، غنام، غنية، فرحات.

33- الجيب:

في الشمال الغربي، وتبعد عشرة أكيال، وفيها العائلات:

أبو حمود، أبو دية، عودة الله، حلايقة، حمود، الخلايفة، سعادة،شعبانة، عبد ربه، علان، غريب، القيسي، نجاب، تمر، وشاح.

34- حزمة:

في الشمال الشرقي على مسافة ثمانية كيلومتر، وفيها العائلات:

أبو رميلة، أبو الحلو، أبو وندي،أبو خليل، ارحيم، ارشيد، اسعيد، بركات، الخطيب، سعادة، الشوعاني، صبيح، صلاح الدين، العمري، علان، عواد، فزاع، قاسم، كنعان.

35- حوسان:

في الجنوب الغربي، على مسافة 12 كم من القدس، وهذه عائلاتها:

أبو حرب، أبو القدير، أبو يابس، جعول، الحمامرة، دبلاوي، رباح، الزغول، زغلول، السباتين، السقا، الشاعر، الشوشة، صبح، الصلاحات، العربيدي، عميري، الفحل، فرعون، مشعل، ملالطة، ياسين.

36- الخان الأحمر:

في الشرق، يبعد 16 كم، وفيه عشائر: عرب الجهالين، والدواهيك، والسلامات.

37- خربة اسم الله:

في غرب القدس على مسافة 26 كم، قرية مدمرة سنة 1948، كانت مسكونة من عائلة(أبوعرقوب).

38- خربة العمور:

في غربي القدس، على مسافة 16 كم، دمرها اليهود سنة 1948، كان سكانها من (العمور) أو العموري.

39- خربة اللوز:

في غربي القدس على مسافة 14 كم، دمرها الأعداء سنة 1948 وكانت فيها العائلات:

أبو طبيخ، والجلب، والحسني، خلف، ودعبور، وزعتر، وسمّور، وعباد،وعبده، واللوزي، والهديري.

40- الخضر:

في الجنوب الغربي تبعد عن القدس 12 كم وهذه عائلات قرية الخضر:

أبو تركية، أبو شمة، أبو العورة، بعرة، البلبول، حداد، حسين، حماد، الدعدور، صبيح، صلاح، عطوان، عليان، عيسى، فنشة، المصري، مصطفى، موسى.

41- دير أبان:

في الجنوب الغربي، وتبعد عشرين كيلومتر، دمر اليهود القرية سنة 1948 وهذه عائلاتها في المهجر:

الدعامسة: ويقسمون إلى: هدبة، داهود، سعادة، الصدوق، الصليبي، الكراعين، الكسابرة، المساعيد.

والكراملة: وفيهم: جعارة، ودعسان، والدياربة، والرباع، وصرار.

وابن هذيل: وفروعهم: أبو سخن، الحجوج، سرحان، سويد.

والوعرة: وفيهم: أبو شقرة، وبيوض، وخليفة، ورشيد وشريم، وعبيدات، وعميرة.

وفيها أيضًا: آل إبراهيم وأبو تينة، وزيتون، وعدوان.

42- دير الشيخ:

في غربي القدس على مسافة 15 كم، وهي قرية مدمرة، ومن عائلاتها: الشرفا (الشريف).

43- دير عمرو:

في غربي القدس، تبعد أفقيًا 12 كم، وسكانها آل عمرو. دمرها اليهود سنة 1948.

44- دير الهوا:

في الجنوب الغربي من مدينة القدس، وتبعد أفقيًا 17 كم، دمر اليهود القرية سنة 1948. وعائلاتها في المهجر: أبداح، وداغر، وصالح، وعثمان.

45- دير ياسين:

التي حصلت فيها المذبحة التي كانت سببًا في هجرة عشرات الألوف، خوفا على حياتهم وكان فيها العائلات:

أسعد، جابر، الجندي، جودة، حسن، حمدان، حميدة، خليل، رضوان، زهران، زيدان، سمور، شحادة، صلاح، عطية، عقل، عليان،عيد، فرحان، القاسم، الكويري، مصطفى، مصلح، موسى، يوسف.

وهذا تاريخ المذبحة أو (الشهادة) 1948/4/9 وعدد الشهداء 250 نسمة. وكان عدد سكان القرية حوالي ستمائة إنسان.

46- الديوك:

تبعد عن القدس 25 كم أفقيًا، وثمانية كيلومتر عن أريحا وأخذت القرية اسمها من (عين اديوك) ويقال لأهلها عرب الديوك، وهذه عائلاتهم ومن تفرع منها:

أبو سرور، أبو محلوس، البريدات، جدوع، ومنها الشايب، وطنوس.

الربايعة (أبو اربيع) السمرات (أسمر خلف)، الفضلات، جبران، جوهر، سعيد، الشيخ يوسف، فالح، الفهيدات (أبو فهيد)، المطاونة، كيوان، النويرات، الوخيان.

47- راس أبو عمار:

في الجنوب الغربي وتبعد 19 كم، دمرها اليهود سنة 1948 وهذه عائلاتها:

العمارنة: حرز الله، خليل، عمران. كركور: أبو حميدة، راضي، عياد، يونس. مروة: أبو عكر، أبو عليا، أبو فرج، سعيفان، شاويش، بداونة، علان.

48- رافات:

في شمال غربي القدس، وتبعد 16 كم، وهذه عائلاتها:

حمدان، خليل، الدسوقي، الرفاتي، عرابي.

49- الرام:

في شمال القدس على مسافة 10 كم، وهذه عائلات القرية:

أبو جودة، أبو سنينة، أبو شلبك، أبو شوشة، بركات، الجاعوني، الجعبة، آل حسن، الحرباوي، حمودة، الخطيب، الرشق، الزعتري، زعل، الزغير، السلايمة، السميني، السويطي، طهبوب، العواودة، الغزاونة، القيسي، الكناني، كنعان، المسلماني.

50- ساريس:

في الغرب من القدس على مسافة 15 كم، دمرها اليهود سنة 1948، وهي ملك للعائلات التالية:

أبو حبسة، أبو حجوج، أبو زيادة، أبو فطيمة، برهم، جابر، آلحسين، آل حماد، آل حمد، آل السالم، آل سعادة، سمور، صافي، طه، آل عودة الله، متخ، محمود، مصطفى، مطر، نجيب، ودار يوسف.

51- سطاف:

تقع في غربي القدس على مسافة 12 كم، احتلها اليهود سنة 1948. وكانت تسكنها العائلات التالية:

أبو حسين، آل حسن، آل خليل، شعلان، الفتياني، كنعان، وقاد.

52- سفلى:

في جنوب غرب القدس، على مسافة 24 كم، دمرها اليهود سنة 1948، وكانت مسكونة من عائلة آل مصطفى، وتفرع عنها (دار عودة).

53- سلوان:

ملاصقة لسور المسجد الأقصى الجنوبي، وصارت من أحياء مدينة القدس، وهؤلاء أهلها:

أبو خاطر، أبو الخموم، أبو ذياب، أبو صوي، أبو عليان، أبو ناب، الأعور، افتيحة، بدر، البهلوان، بيضون، جلاجل، الحليسي، حمد، حمدان، دعنا، الرازم، رمضان، الرويضات، الزغل، زويفي، سديحة، شاهين (صيام)، شعبان، الشويكي، الشيخ، صبيح، صيام، طوقان، الطويل، طميني، عاصي، عباسي، عثمان، عديلة، عليوات، عودة، عويس،

عيسى، الغوراني، الغول، الفطافطة، القاق، قراعي، قشعم، القنبر، مراغي، ناصر، نجادا، النجار، نجدي، نعمان، هادية، الوادي، وزوز، ياسين.

54- عرب السواحرة:

تمتد أراضي عرب السواحرة من الجهة الجنوبية الشرقية لمدينة القدس، حتى ضفاف البحر الميت، مسافة 20 كم. وقيل عرب السواحرة، لمجاورتهم مدينة (بيت ساحور).

ويقسمون إلى سواحرة شرقية، وسواحرة غربية: وهذه عائلات السواحرة الغربية في جبل المكبر:

أبو إبراهيم، أبو دويح، أبو زعيتر، أبو سكران، أبو العمل، أبو ننه، الأعرج، الحساسنة، الحلو، حمودة، الزحايكة، السراوخة، سرور، سعيفان، السلحوت، شقير، الشقيرات، صبيح، صري، عبده، علان، العويسات، عيدة،غزلان، القنبر، مشعل، مطر، هلسة، وفي جبل المكبر حي الشياح والشيخ سعد.

وهذه عائلات السواحرة الشرقية:

أبو حسين، أطرش، جعفر، الخطيب، ذهبية، الزعاترة، السرخي، شاهين، شقير، صوان، علان، مشهور، مهرا.

وتقسم عرب السواحرة إلى ثلاثة بطون:

1- الجعافرة: وفيها العائلات: الجعابيص، جعفر، سراوخة، وعويسات، والمشاهرة.
2- الخلايلة: وفيها العائلات: العرجان، عبد ربه، أبو دويح.
3- الشقيرات: وفيها العائلات: الزحايكة، الزعاترة، شقير، عبيدات، مطر، هلسة.

55- شرفات:

في الجنوب الغربي من القدس، وفيها العائلات:

الحسيني، عبدالنبي، العلمي، فرج، مشعل... وتعد القرية من أحياء القدس بعد توسيع دائرتها البلدية.

56- شعفاط:

في الشمال من مدينة القدس على مسافة خمسة كيلومترات، وهؤلاء أهلها المقيمون على أرضها وأرضهم:

أبو جبنة، أبو خضر، أبو خضير، أبو زر، أبو سير، أبو شحادة، أبو نيع، ادعيس، تفاحة، بدارين، جابر، جبر، جرادات، جويلس، خانو، الخطيب، الدبس، الرازن، الصالحي، عبد الجواد، العدوي، عقل، العموري، عوض الله، المالحي، مصطفى.

57- صرعة:

تقع في غربي مدينة القدس على مسافة 25 كم، دمرها اليهود سنة 1948، وكانت عامرة بالعائلات:

أبو جمعة، أبو سبيتان، ابوغنام، أبو لبة، ابو الهدى، أبو الهوى، الحنيطي، خويص، شلالدة، صندوقة، الصياد، عشاير،عكاري، علقم، الكاظمي، الملاعبي، الهدرة.

61- عرتوف:

في الغرب من القدس على مسافة 29 كم، دمرها اليهود سنة 1948 وهذه عائلات من عرتوف:

أبو حليمة، الجمال، الرحال، شاهين، الصمد، عثمان.

62- العرينات (عرب):

يسكنون منطقة الغوار، في قضاء القدس، وهذه عائلاتهم:

الدبوس (أبو الدبس) الشهبان: ابن صبح، الكلابية: فريج، المطاحين.

63- عسلين:

تقع غربي القدس على مسافة 21 كم، دمرها اليهود الأعداء، وهذه عائلات عسلين سنة 1948: ذيب، رضوان، الشوملي، علي، مطاوع.

64- علار:

في الجنوب الغربي من القدس، وتبعد مسافة 18 كم، هدمها اليهود سنة 1948، وإليك عائلاتها:

أبداح، أبو دية، البراقعة، البرق، جبر، الزبون، الصراصرة، عساف، عمور، عميرة، القراقعة.

65- عناتا:

في الشمال الشرقي من القدس على مسافة 4 كم، وهذه عائلات قرية عناتة:

أبو هنية، حداد، حسن، حسين، حلوة، عليان، درويش، الرفاعي، عبداللطيف، علوي: آل جبر، آل حمدان، الكيواني، آل سلامة، آل شيحة، عليان، عياد.

66- العيزرية:

شرقي مدينة القدس على مسافة كيلومترين فقط، فهي إذن من القدس، وهذه عائلاتها:

أبو دعموس، أبو الريش، أبو زناد، أبو زياد، أبو سرية، أبو غيث، بدوان، بسيس، البصة، البو، جرجاوي، جندي، الخطيب، خلف، دحدول، دمدوم، رابية، الرومي، زعرور، سلهب، السناوي، الشوبكي، الصبار، عابدين، عثمان، عدوان، العروم، علوش، عنتر، عودة، عوض، عياد، الغزالي، فرعون، القاضي، قطميرة، المزارعة،مغير، الولجي، الياسيني.

67- العيسوية:

في الشمال الشرقي، وهي اليوم من ضواحي المدينة، وهذه عائلاتها:

أبو رميلة، أبو الحمص، حمدان، درباس، درويش، سليمان، شاويش، شحادة،العبادبة (آل عبيد)، العريقات، عليان، العيساوي، الفاهوم، غريب، محمود، مصطفى، نصرة، الهبيلة.

أبو لطيفة، زهران، سهيل، عبدالله، علي.

58- صوبا:

تقع إلى الغرب من القدس مسافة عشرة كيلومترات، هدمها اليهود سنة 1948، وكان بها العائلات:

إسماعيل، جبران، رمان، صالح، عبدالرحمن، عمرو، الفقيه، قدري، المصري، نصر الله.

59- صور باهر:

في الجنوب الشرقي على مسافة خمسة كيلومترات، وهذه عائلات البلدة:

البكيرات: حامد،حماد، حمادة، مدان، عفانة.

الدويات: الأعمص، حماد، دبش، عليان، نمر.

العمرة: إبراهيم العلي، أبو كف، خميس، عطا الله، عميرة، محمد الحاج.

الغوافة: أبو حامد، الأطرش (الطرشان)، جاد الله، داود، الشحادات، عطون، عوض الله.

60- الطور:

تقع في ظاهر القدس الشرقي على جبل الطور، وهذه عائلات الطور:

68- عين كارم:

غربي مدينة القدس وتبعد 8 كم، شرد اليهود أهلها سنة 1948، وهذه عائلاتها:

أبو روزة، أبو سراج، أبو شقرة، سليم، آل حمدة، الديسي، رحال، سراج، سلامة،السمعة، شقرة، الشيخ، صبحا، صوباني، طنوس، عاقلة،عرب، عرباش، علي، عمر، عيسى، عيوش، غباري، فرحان، قاسم، قنيص، مرار، المشني، منون، موسى، ناصر، نعواش، نوارة، الهيبة، يعقوب، يونس.

69- قالونيا:

في الشمال الغربي من القدس على مسافة 7 كم، دمرها اليهود سنة 1948، وشردوا أهلها، وهذه عائلاتها:

أبو غنيم، بركات، جبران، جودة، حسين، حماد، حمدان، خضر، خطاب، الخطيب، درباس، سالم، سلامة، سمرين، صالح، وصبح، الصوص، طليب، عبد ربه، العسكر، عطية، عويدات، عياش.

70- القبو:

في الجنوب الغربي من القدس على مسافة ثمانية عشر كم، دمرها اليهود سنة 1948، وهؤلاء أهلها: أبو نصار، عبيد الله، المناصرة.

71 القبيبة:

في الشمال الغربي مسافة 12 كم، وهذه عائلاتها:

أبو حميد، اسعيد، حمدان، خطيب، زهران، سمارة، غطاس، عمرو، قصاص، مخطوب، مصلح، معالي.

72- القسطل:

غربي القدس مسافة 8 كم، دمرها اليهود وكان عدد سكانها 90 نسمة، لم نعرف منهم إلا (مطير) و(مطر).

73- قطنة:

في الشمال الغربي على مسافة 17 كم بالسيارة، وهذه عائلات قرية قطنة:

إبراهيم، أبو زايدة، زيادة، اشتية، البواية، جميل، الحايك، الحسني، حمد، حمدان، حوشية، الخطيب، خليل، ذياب، الزغاري، سعد، الشاويش، شباب، شماسنة، طه، عبدالعزيز، الفقيه.

74- قلندية:

في شمالي مدينة القدس على مسافة 11 كم، وهذه عائلاتها:

أبو حبيس، أبو الرُّب، أبو شلبك، أبو صالح، أبو عصبة، أبو لطيفة، أبو هيل، اشحام، الأعرج، بداوي، برقان، حسين، حماد، الخطيب، الزواوي، زيادة، السلايمة، الشوامرة، عابدة، عباه، غانم، كليب، المالحي.

75- كسلا:

في غربي القدس على مسافة 16 كم، شرد اليهود أهلها، سنة 1948، وهدموا العمران البشري، ومن عائلاتها في المهجر:

أبو زهيرة، أبو علي، أبو قمل، أبو كامل، الأخرس، الأعرج، أيوب، الباش، برهم، الجواريش، الحراذين، الحلو، حمود، الحميدان، الحواري، الخطيب، درويش، رمضان، زرينة، زهرة، الزير، السرحان، سعادة، سلامة، شرار، الشوك، الشيخة، شريم، طشطة، عثمان، علقم، عمار، عواد، عودة، فرحان، الغواسقة، قطامش، كرايم، لطفي، المراجمة.

79- مخماس:

في الشمال الشرقي من القدس، تبعد عشرة كيلومتر، وهذه بعض عائلاتها:

أبو خليل، الحاج، سالم، صيام، مهنا.

80- النبي صمويل:

في الشمال الغربي على مسافة ثمانية كيلومترات، دمرها اليهود سنة 1971 وشرّدوا أهلها، ومن عائلاتها: بركات، زعيتر.

81- نحالين:

في الجنوب الغربي من القدس تبعد 18 كم، وهذه عائلاتها:

أبو مصطفى، أحمد، حسن، حنون، سليمان، الشكارنة، صافي، صلاح، العابد، عيسى، غياضة، فنون، مسلم، مصطفى، موسى، نجاجرة، ياسين، يوسف.

82- الولجة:

في الجنوب الغربي على مسافة سبعة كيلومترات، دمرها اليهود سنة 1948 وهذه عائلاتها:

حزين، عواد،عياد، النجار، وقاد.

76- كفر عقب:

في الشمال من القدس على مسافة 12 كم، وإليك عائلات كفر عقب:

أبو شريف، أبو عيشة، بركات، جميل، حباس، زغير، سرحان، عوض.

77- لفتا:

في الشمال الغربي من القدس على مسافة 5 كم، دمرها اليهود سنة 1948 وشردوا أهلها، وهذه عائلات القرية في المهجر:

أبو سعد، أبو شلبك، أبو طاعة، أبو علي، أبو ليل، أحمد، ازمقنا، اسبيتان، اسعد، الأعرج، بكر، جبر، جبران، جودة، الحاج، الحلو، حمد، حمودة، حميدة، الخروبي، خليل، الدحين، رشيد، ريان، زينة، سلامة، شحادة، شنك، الشيخ أحمد، صيام، العاصي، عاقلة، عبدالله، العبيدي، عدوية، العسعس، عقل، عودة، عيسى، مشعل، معلا، ناصر، النجار، نصار، نصير، يامين.

78- المالحة:

في الجنوب الغربي على مسافة أربعة كيلومتر، دمرها اليهود سنة 1948 وشردوا أهلها، وهذه عائلاتهم:

أبو التين، أبو خيارة، أبو دية، أبو رزق، أبو سبيت، أبو شيخة، أبو عثمان، أبو عويس، أبو عيشة، الأطرش، الأعرج، برغوث، التويمي، الجندي، الجوزي، الحجاجلة، الحجاجوة، خليفة، داود، دراس، درويش، رباح، ساري، نانير، الصيفي، العائدي، علاونة، عيسى، غنام، للوه، معالي، ناصر، الوهادنة.(1)

(1) إذا لم يجد أحد القُراء عائلةً ما، لها وجود في سجلات النفوس، فيكون ذلك لسببين، الأول: أننا لم نجد مَنْ يرويها لنا. والسبب الثاني: أنها تكون فرعًا عن أصل، أحب أهل الفرع أن ينفردوا به عن العائلة الكبرى.
وإذا وُجد تحريف في صورة اسم العائلة، ذلك أننا لم نأخذ هذه الأسماء كلها شفويًا، وإنما نقلنا عن صُحُف، والصحف قابلة للتصحيف والتحريف.

مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في قضاء القدس

المخيمات، جمع، مفرده، مخيم. اسم المكان من الفعل (خيّم) أي: نصب خيمة ليقيم فيها. والخيمة: كل بيت ليس من حجر، أو ما يحل محله.. والمخيم: المكان الذي نصبت فيه الخيمات.. وأصل وجود هذه المخيمات سنة 1948، عندما طرد اليهود مئات الألوف من فلسطين المحتلة سنة 1948، فأقاموا في خيام أعدتها لهم هيئة الأمم المتحدة، قبل أن يهاجروا وهيأت لهم الأمكنة التي يخيمون فيها، لأن الأمر كان مدبرًا قبل حلول الهجرة، بأن تكون هناك هجرة.. وقد توجه اللاجئون أوالمهاجرون، إلى بقية فلسطين (الضفة الغربية وقطاع غزة، وإلى شرقي الأردن، وسوريا، ولبنان..).

وقيل لهذه المخيمات (المعسكرات) مفردها (معسكر) وأكثر ما استعمل هذا المصطلح في قطاع غزة، لأن اللاجئين حلوا في معسكرات للجيش البريطاني (المغازي، والنصيرات، والبريج) وقيل لهذه المعسكرات الوسطى، لأنها في وسط قطاع غزة. وأكثر ما يستعمل (المعسكر) لمكان تجميع الجنود.

ويقال لها: مخيمات العائدين، تفاؤلاً بعودتهم لديارهم.

واستعمال اسم (مخيم) للدلالة على تجمع اللاجئين، أصبح اليوم استعمالاً مجازيًا، باعتبار ما كان، أما اليوم، فالمخيمات مدن لم يبق فيها خيمة.

وفي قضاء القدس مخيمات يرد اسمها كثيرًا في الأخبار، وخصوصًا أيام الانتفاضات والثورات، لأن اللاجئين هم محركو الانتفاضات وهم مشعلو جذوة الجهاد، فحنينهم إلى بيوتهم وقراهم لم ينقطع بل حنين الأبناء والأحفاد الذين لم يروا بيوتهم إلا بقلوبهم. وإنّا لذاكرون في هذا الباب مخيمات قضاء القدس، وبعض ما فيها من العائلات.. فإذا قيل: العائلة الفلانية من مخيم كذا، لا يعني ذلك النسبة إلى المكان، وإنما يكون الإعراب بتقدير محذوف تقديره: العائلة التي هاجرت من القرية كذا، وخيمت في مكان كذا،إلى أن يحين الوقت لعودتها إلى قريتها.

1- مخيم الدهيشة:

أنشئ سنة 1948 في الجنوب الغربي من مدينة بيت لحم، بالقرب من برك سليمان، ومن عائلاته:

أبو جودة، أبو زقبان، أبو عكر، أبو عليا، أبو فضة، أبو هنية، أبو يابس، البنا، تايه، جابر، جعايصة، الجعفري، الحروب، حلش، الزغاري، صبيح، صدوق، عرفة، علقم، عودة، غريب، الفراحين، الفرارجة،

القبري، قراقع، القصاص، قنبر، الكرنز، محبوب، ملحم، المنازعة، مناع، نسر.

2- مخيم شعفاط:

بالقرب من قرية شعفاط، في الشمال من مدينة القدس. أنشئ عام 1948، وهذه بعض عائلاته:

أبو دحيلة، أبو زنيد، أبو زر، أبو سارة، أبو شمس، عامر، أبو عفيفة، أبو عنتر، بصيلة، البكري، البياع، جبارين، جرادات، جودة، الجولاني، جويلس، الحلبي، خشان، الدبس، الدبعي، الدويك، ديبة الحمزاوي، الربعي، الرشق، الروبي، الزلياني، زلوم، صندوقة، الضابط، الطباخ، الطويل، عدوين، علقم، العناني، الغزاوي، غنايم، فسفوس، القواسمي، محمد علي، المنسي، وهدان، أبو التين، أبو الخليفة، حمادة، داود، شحادة، العملة، فرح، مزعرة، مسالمة.

3- مخيم عايدة:

يقع في منطقة بيت الحم، أنشئ عام 1948 ومن عائلاته:

أبو حسن، أبو حماد، أبو سالم، أبو سرور، أبو عاقلة، الأزرق، الأمير، بدير، البرميل، الخواجا، السمعاني، شرحة، شريم، صراصرة، العتيق، عزبة، العزة، عزية، عمارنة، آل عميرة، عويس، فرحان، قراقع، القصص، قعوار، قوار، الكردي، كعوش، مسالمة، مشايخ، معالي، ملاش.

4- مخيم العزة:

صار من أحياء مدينة بيت لحم، وهو مضاف لآل العزة من الخليل. أنشئ عام 1948، ومن عائلاته:

أبو سنبل، أبو طربوش، البراقعة، البربري، دعاجنة، دعدرة، زبون، العداوين، عرار، العزة، العيشة، القيسي.

5- مخيم عقبة جبر:

أنشئ عام 1948، ويقع في ظاهر مدينةأريحا في الجنوب الغربي منها، ومن عائلات المخيم:

أبو فرحة، البس، بلهان، جراد، حميدات، حنيفة، الخطيب، خليفة، دامو، شركس، شلون، المصري، مطر، هنيدي، وفي نواحي أريحا أيضًا مخيم عين السلطان، ومخيم النويعمة.

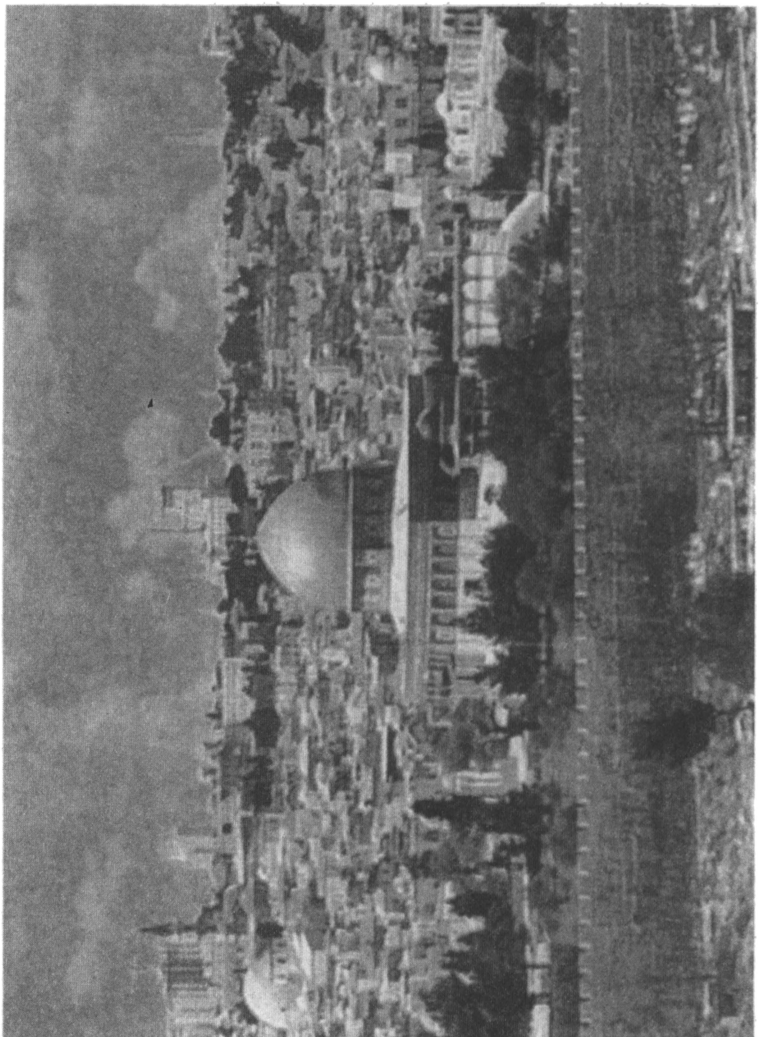
6- مخيم قلندية:

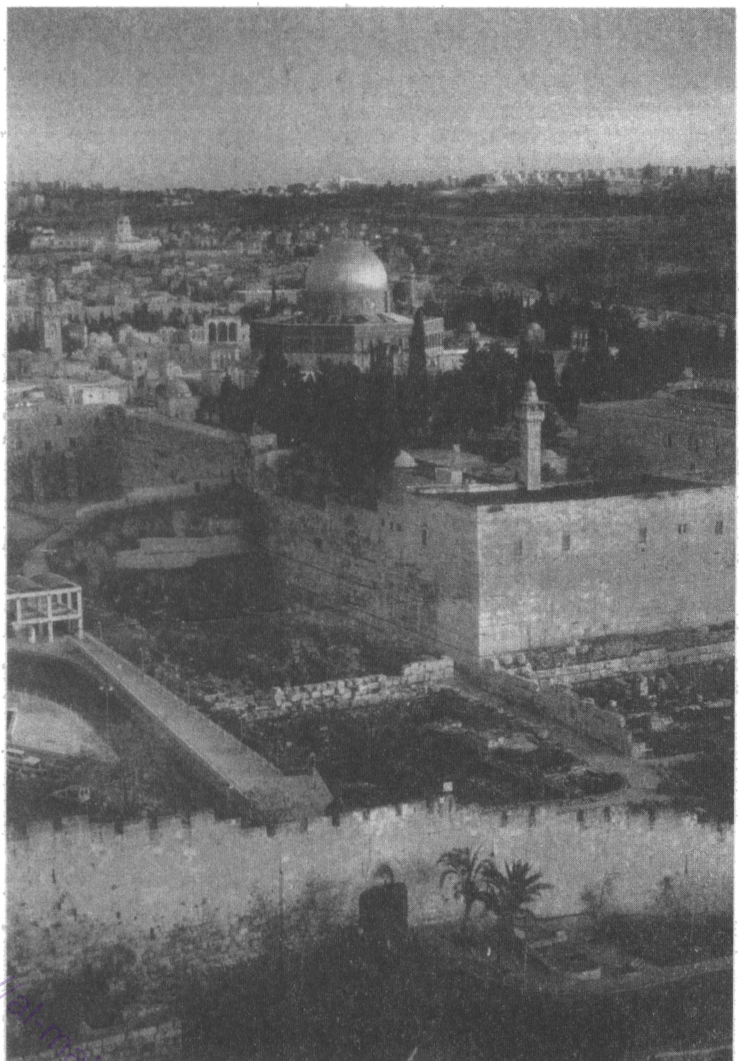
في الشمال من القدس، ملاصق لقرية قلندية، ومن عائلاته:

أبو خروب، أبو الرب، أبو لطيفة، الأعرج، براعمة، بريقع، توفيق، الحافي، خيالة، سطري، شحادة، شقير، شنعم، شيلم، عبدالهادي، عليان، عياد، فياله، كسبة، الميمي، نمر، يعقوب.

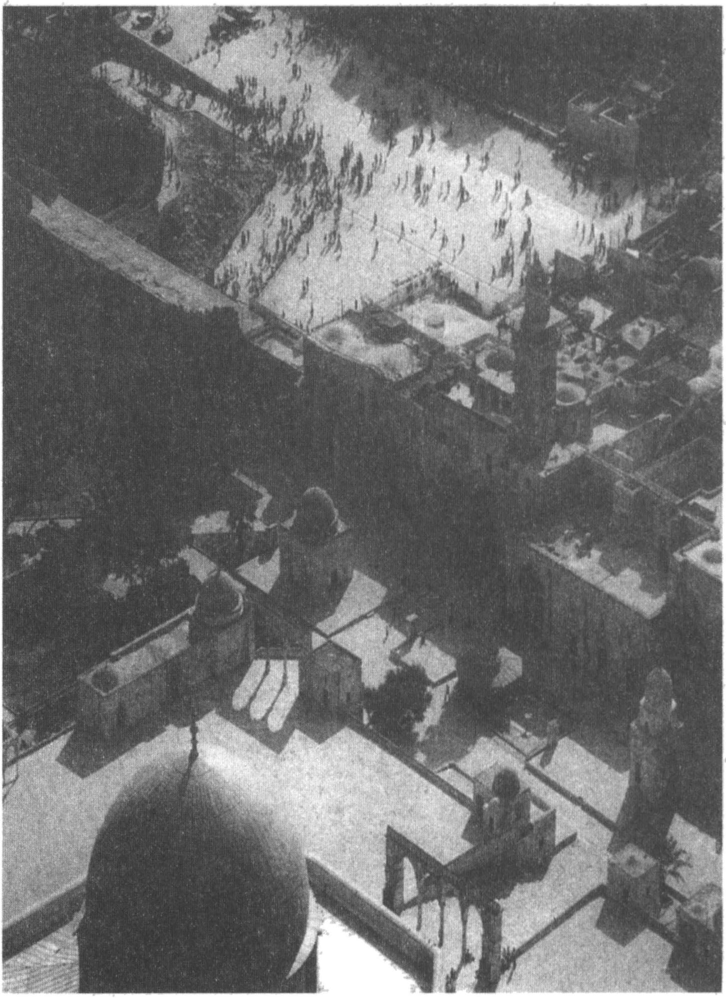
.. هذا آخر كتاب (مدينة القدس: أسسها العرب، ورفع قواعدها المسلمون)

وكتبه
محمد محمد حسن شُرَّاب
داريا الشام / 2004

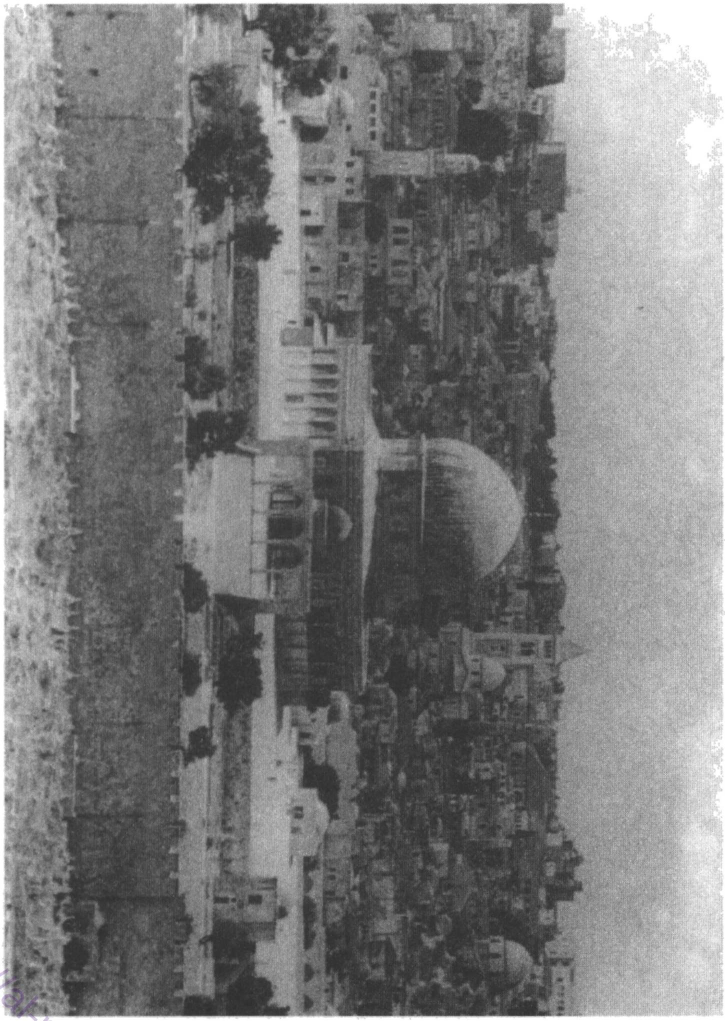




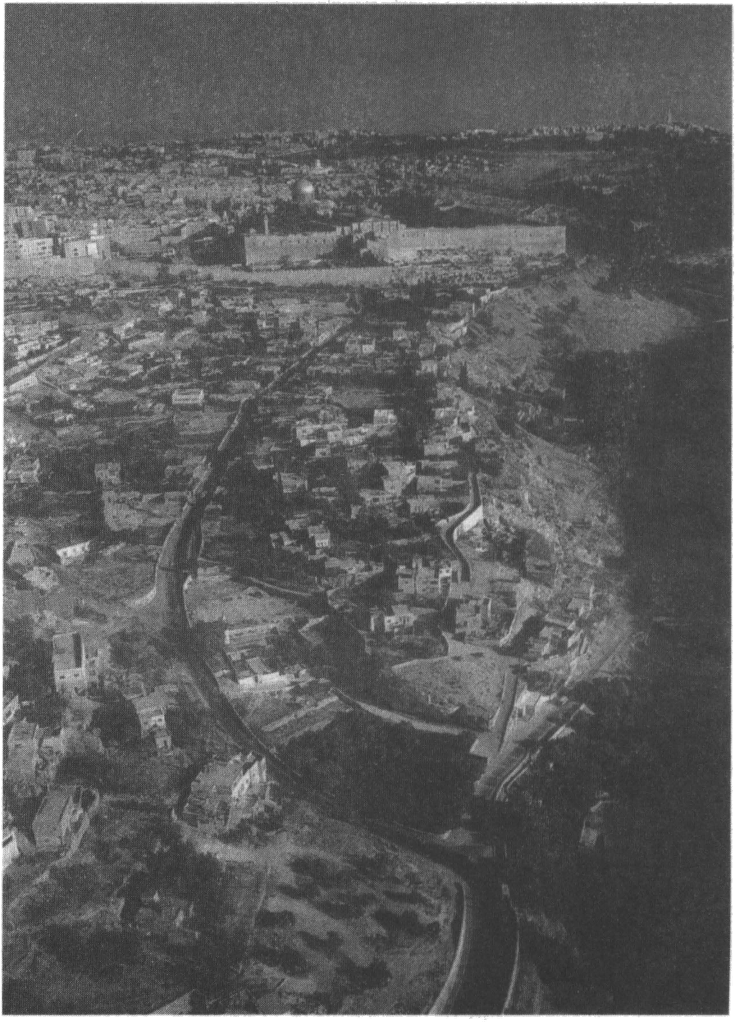
الزاوية الجنوبية الغربية حيث يوجد النفق



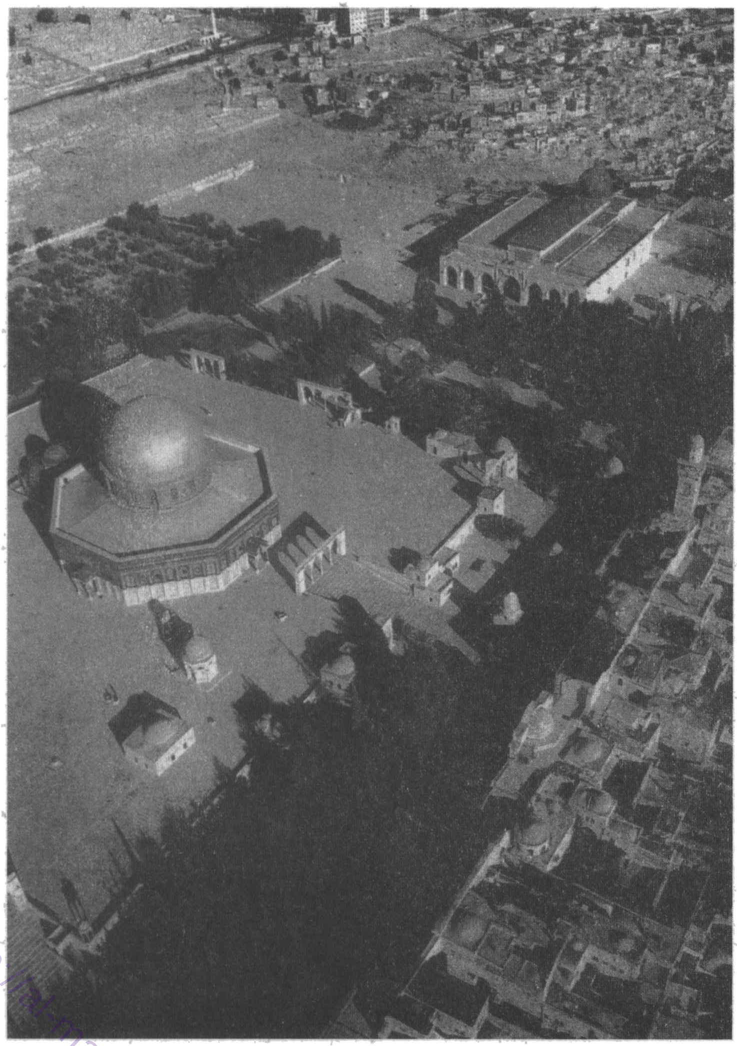
صورة يظهر بها المقطع العلوي لمنطقة الصخرة والمقطع السفلي والذي يوجد به المقطع الغربي والذي بني وفق خط النفق. تظهر بالصورة السبل والأقنية والآبار مع المتغيرات التي أجرتها إسرائيل في منطقة المغاربة



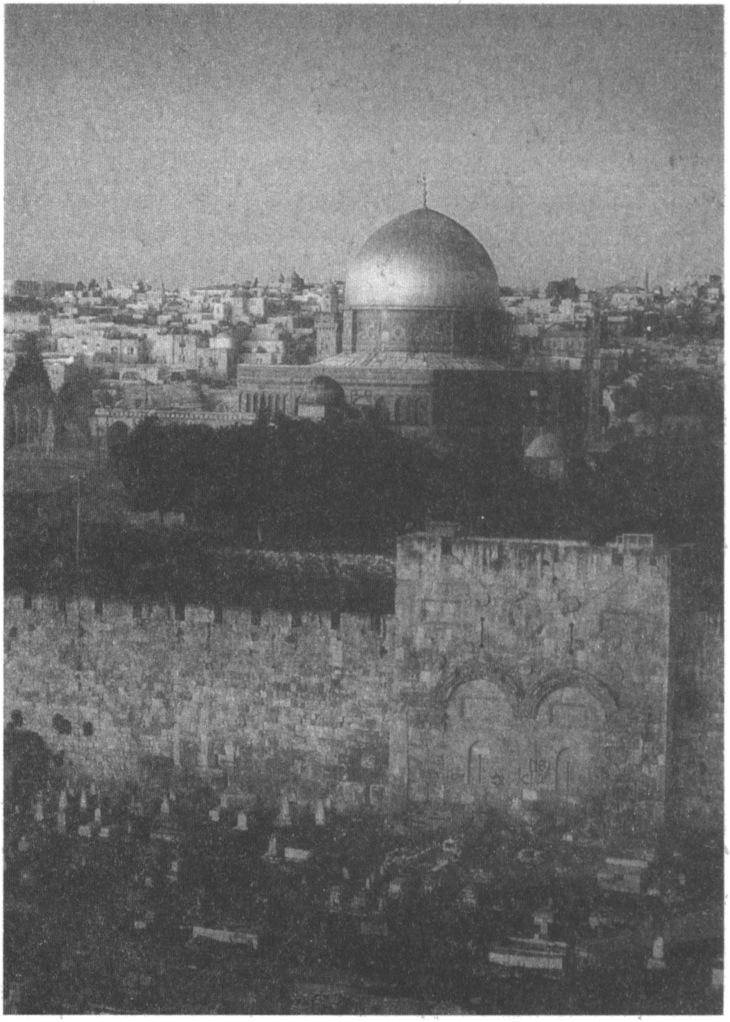
منظر عام للقدس ومنطقة المسجد الأقصى حيث تظهر هذه اللوحة الخالدة التي خاطبت التاريخ وقالت له أنا شاهدت الذي تبحث عنه



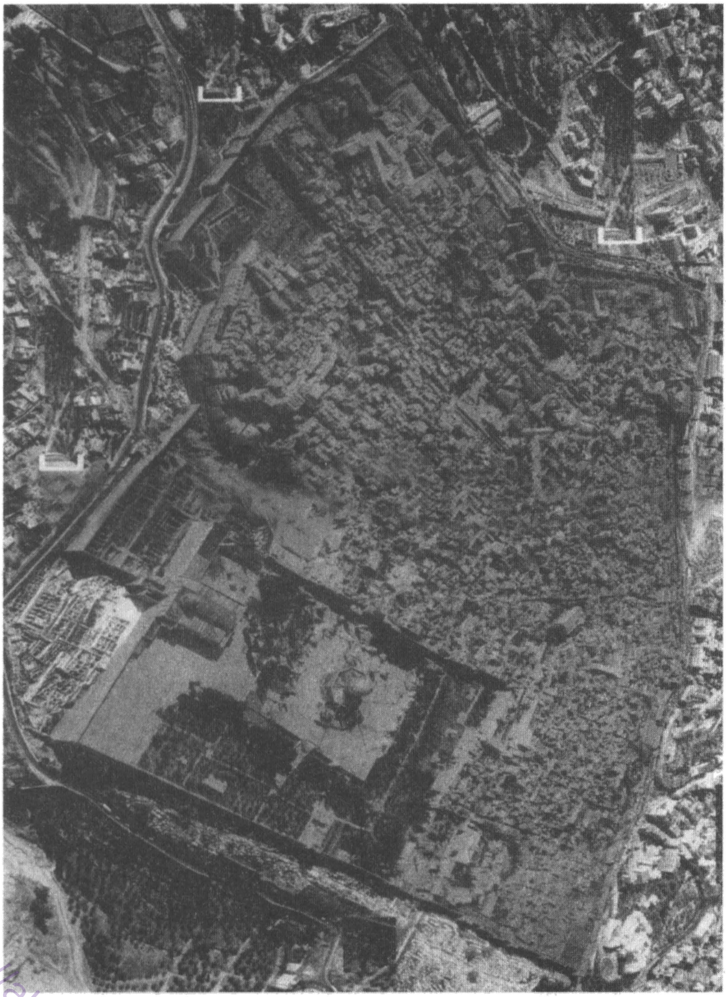
صورة تجمع بين المقطع العلوي والمقطع الذي يوجد به أوفل وادي القدرون عين سلوان ومدينة العصر البرونزي المتوسط



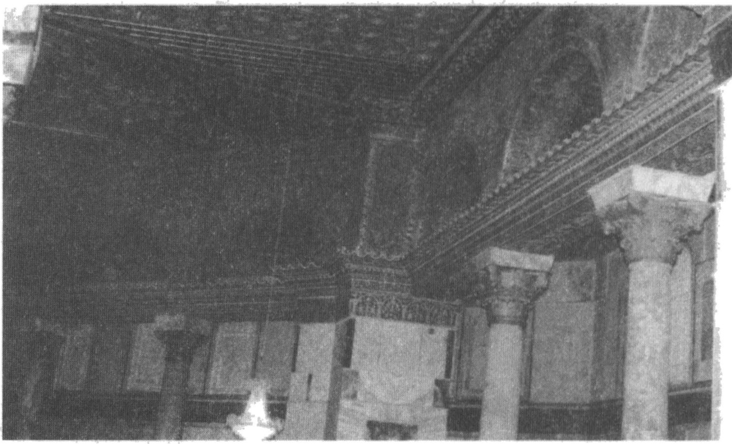
صورة يظهر بها المسجد الأقصى والصخرة والواجهة الغربية الأبنية الإسلامية التي أقيمت في العصر المملوكي



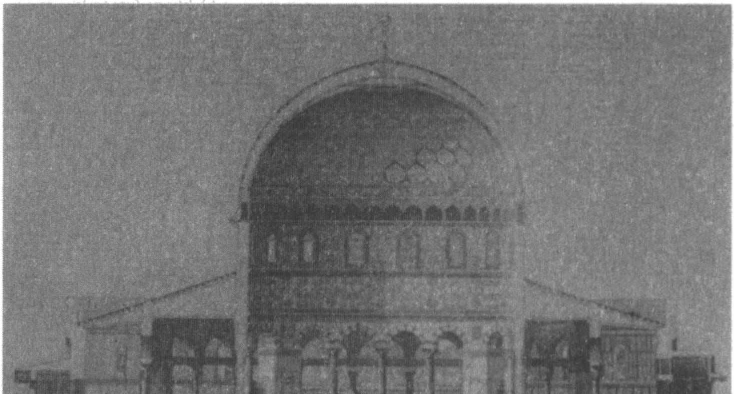
صورة يظهر بها الباب الذهبي أو باب التوبة الذي يوجد في السور الشرقي لمنطقة المسجد الأقصى



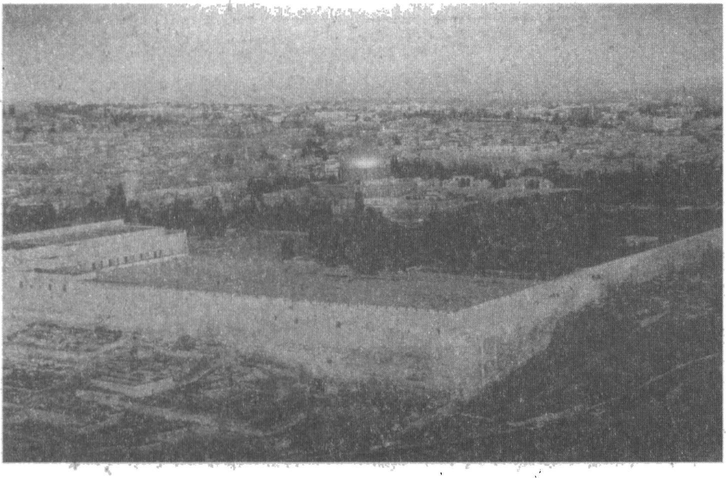
القدس القديمة كما يحلو للباحثين أن يتحدثوا عنها تظهر هذه الصورة القدس داخل الأسوار والبوابات الموجودة في هذه الأسوار قدّر من خلال مقدساتها أم من خلال تاريخها ومجدها قدّر فيها ظرف الزمان وظرف المكان



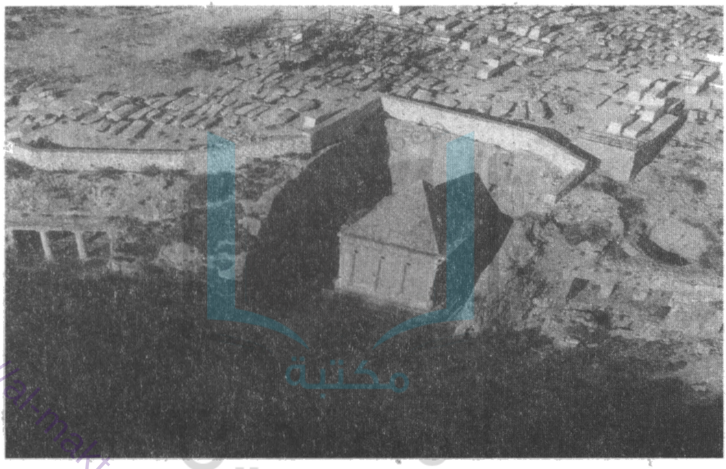
الأقواس العليا التي هي مزخرفة بالفسيفساء والنقوش الإسلامية والتي تعتبر من أجمل أنواع الفسيفساء في العالم



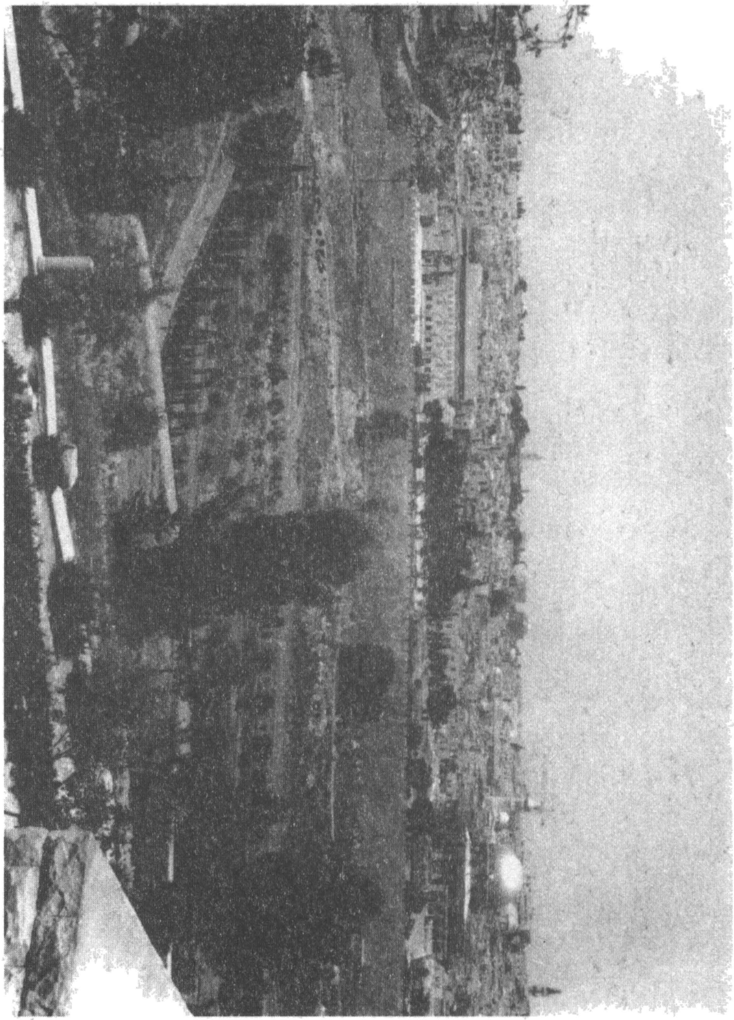
مقطع داخلي لقبة الصخرة تظهر به الزخارف والنقوش الموجودة في صحن قبة الصخرة



صورة للقدس تظهر بها الزاوية الجنوبية الشرقية وسطح المصلى المرواني الذي يعتبر التسوية الشرقية للمسجد الأقصى



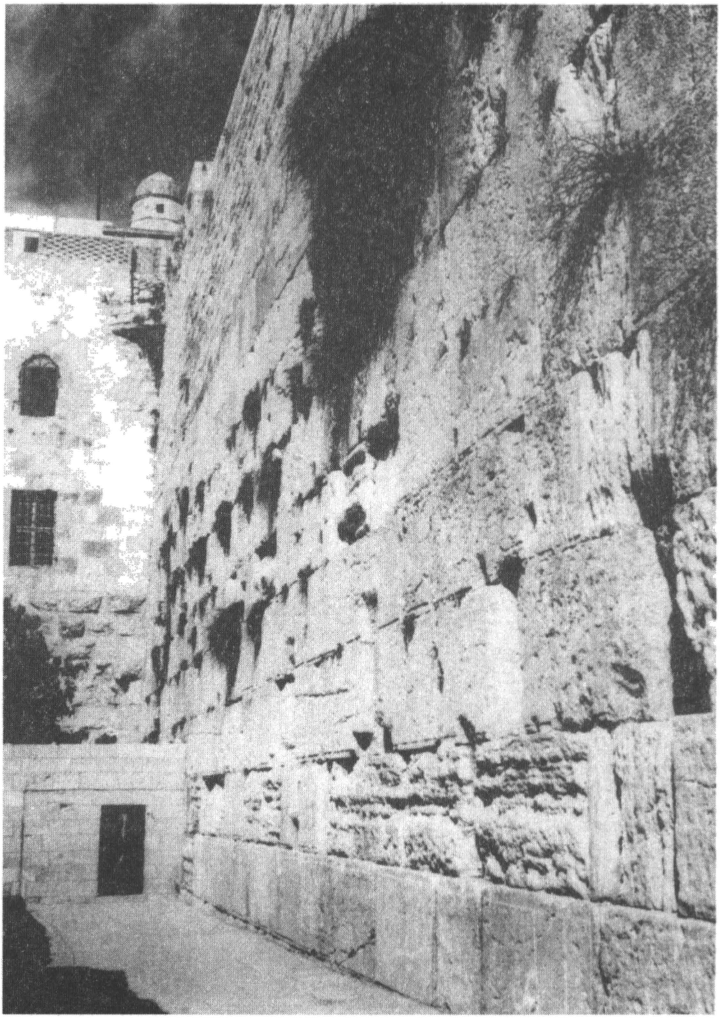
المقابر الأثرية والهامة والتي تم اكتشافها عبر نزلات وادي القدرون



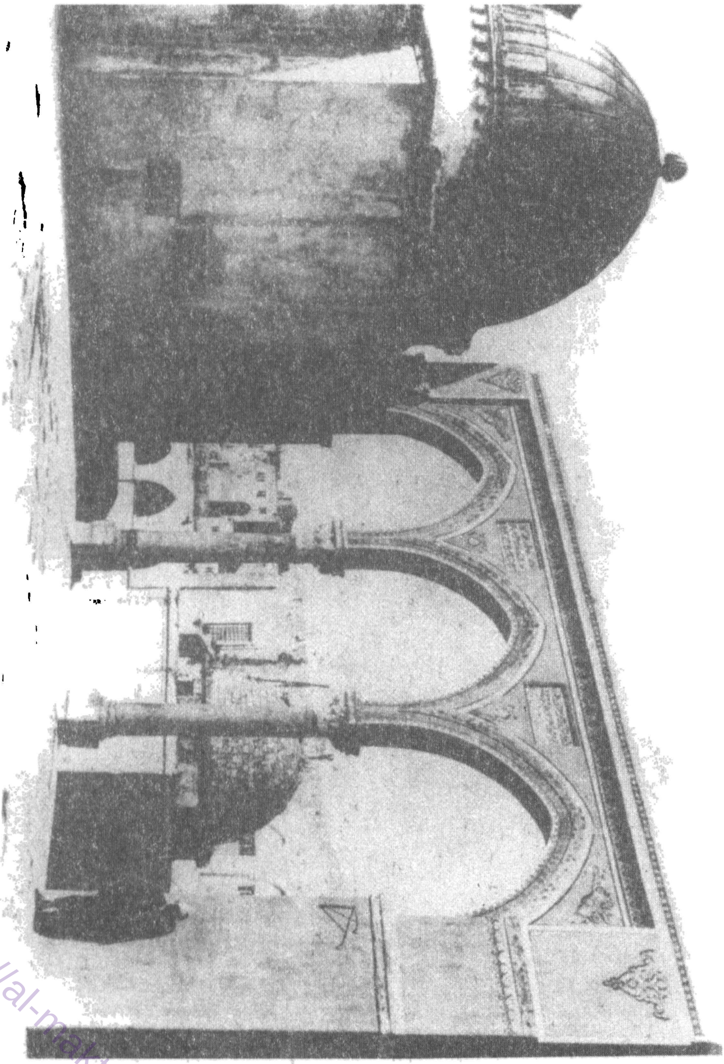
صورة يظهر بها المقطع العلوي لوادي القدرون والسور الشرقي لمنطقة المسجد الأقصى
حيث توجد مقبرة باب الرحمة



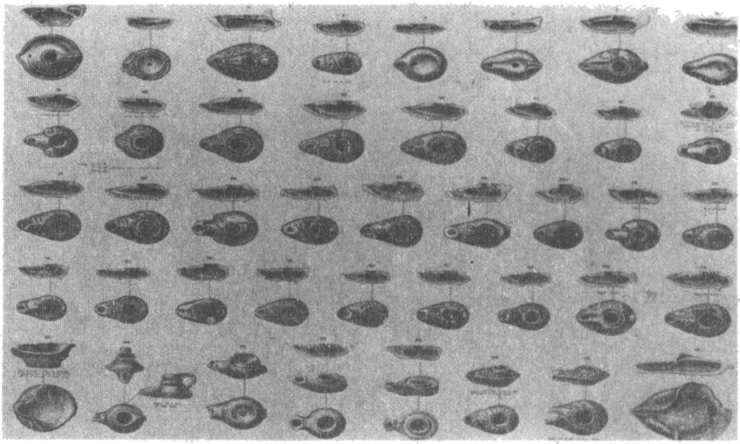
صورة التقطت من مواقع راس العامود حيث يظهر موقع الباب الذهبي-باب الرحمة والذي يعتبر الباب الوحيد المغلق في الجهة الشرقية من منطقة المسجد الأقصى



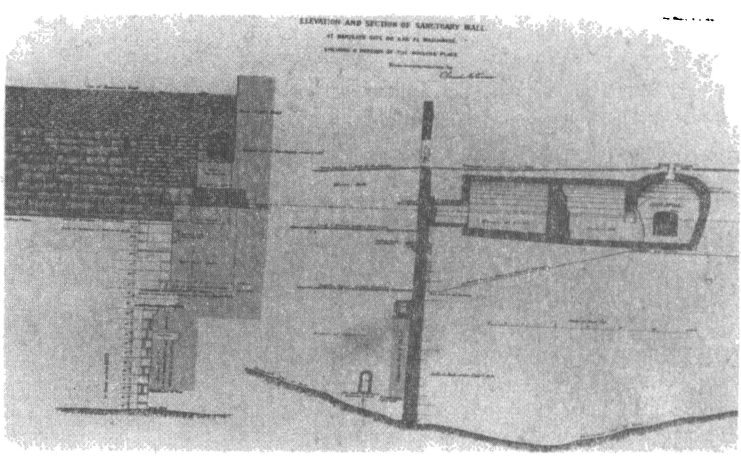
الجدار الغربي والذي تطلق عليه إسرائيل حائط المبكى. ولا نعرف مبكى على من.
والمسلمون يطلقون عليه حائط البراق



أحد مداخل الصخرة ويظهر سطح أحد القبب الموجودة بالقرب من هذه المداخل



الدلائل الأثرية التي عُثر عليها في منطقة المسجد الأقصى تنفي تلك القصص الأسطورية التي سوّقها المشناه



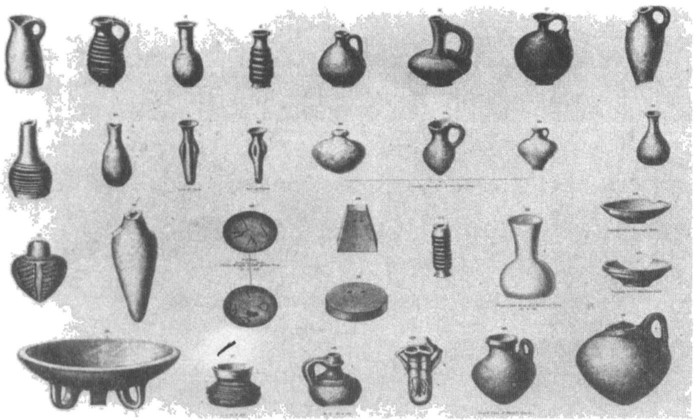
مقطع رسوم قام به ورن لسور المسجد الأقصى في الجهة الغربية حيث تظهر المرافق التي تم الكشف عنها عبر الطبقات الأرضية



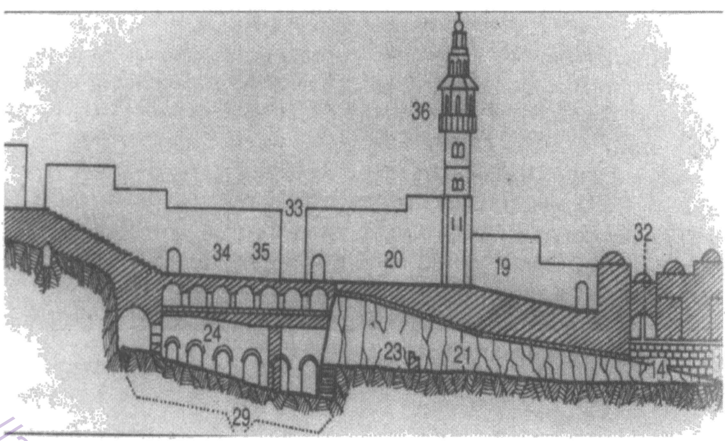
منظر عام للقدس والحفريات التي أجرتها إسرائيل في المنطقة الجنوبية والجنوبية الغربية — في القدس — حيث تم الكشف عن العصور الأموية والتي تم تغطيتها الآن وبناء مظلة فوقها



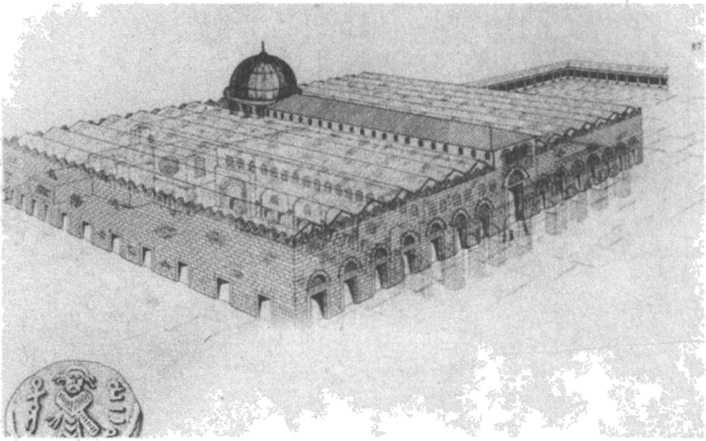
منظر عام لبدء الحفريات في نزلات وادي القدرون بحثًا عن القدس وتاريخها بداية الحفريات كانت عام 1960



القطع الأثرية التي تم العثور عليها في آبار المسجد الأقصى عبر الحفرية التي أجراها شارلز ورن



مقطع لخط النفق والقنطرة في الجهة الشمالية حيث توجد مأذنة عبدالملك ابن مروان وتظهر عبر هذا المقطع تلك الواجهة الشمالية التي بناها الأمويون ورسمها كل من الأيوبيين والمماليك



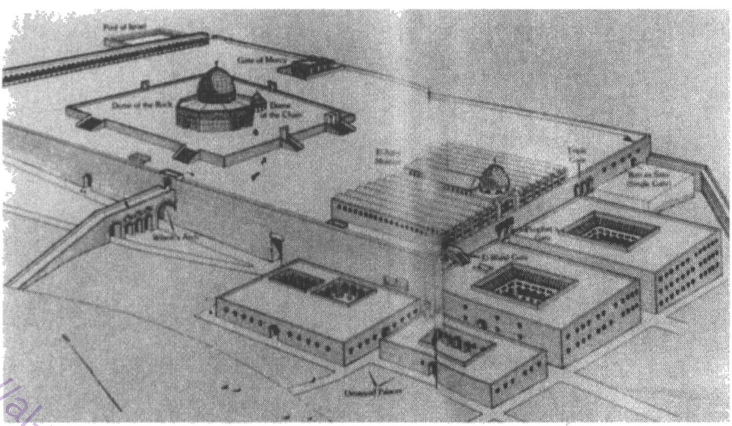
مجسم للمسجد الأقصى حيث يظهر عبر هذا المجسم خمسة عشر رواقاً كما كان الأقصى في فترة العصر الأموي والعباسي



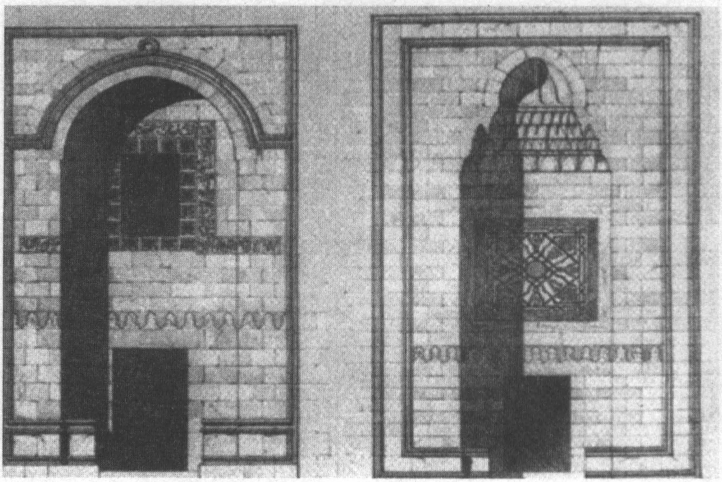
منظر للساحة الداخلية لصحن قبة الصخرة وتظهر به مداخل الآبار التي يعتقد الإسرائيليين أنها جزء من بقايا الهيكل. ولكنهم لم يجدوا أي شيء يعود لتلك الفترة



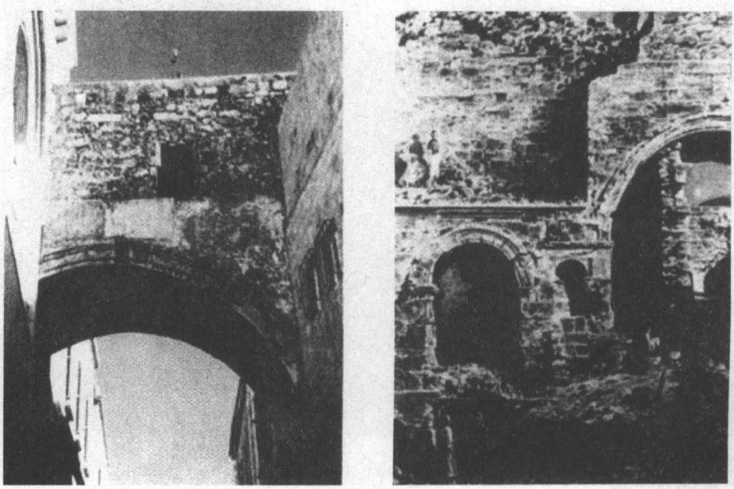
الشارع الأموي الذي تم الكشف عنه في الجهة الجنوبية من المسجد الأقصى



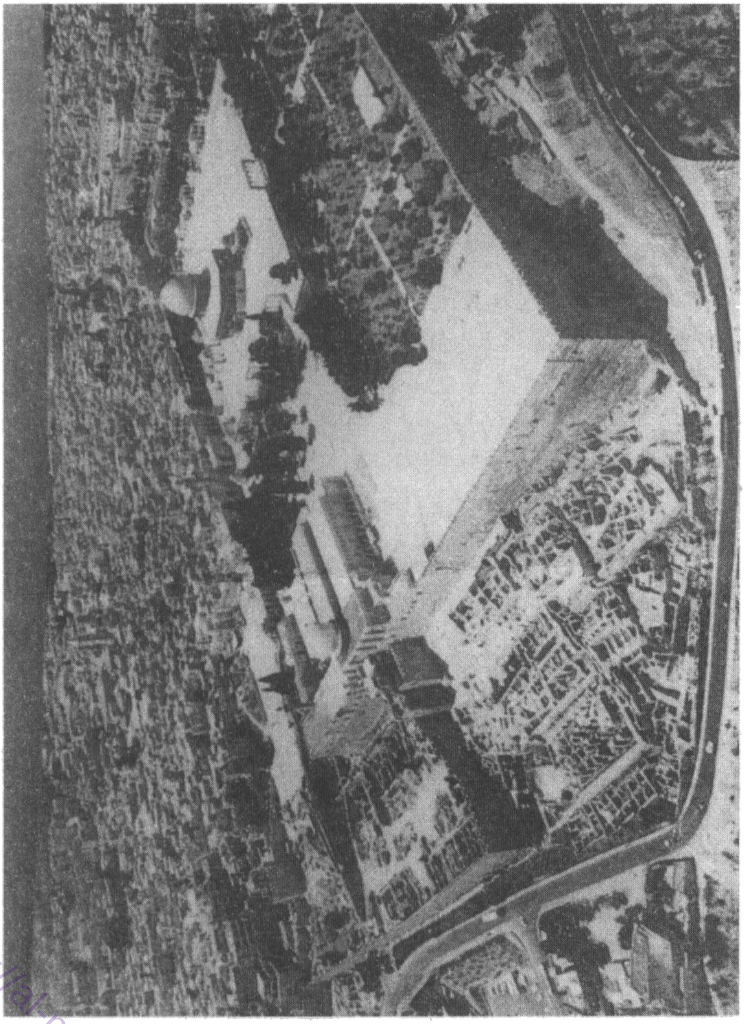
مجسم تظهر منطقة المسجد الأقصى والقصور الأموية التي كانت تحيط بالمسجد في كل من الجهة الجنوبية والزاوية الجنوبية الغربية. ولا يظهر ما سمي بحائط المبكي



مقاطع مرسومة لتلك الأنماط المملوكية الموجودة في القدس



الأنماط المعمارية المملوكية والتي توجد في مباني كثيرة في القدس



صورة طبوغرافية تظهر بها منطقة المسجد الأقصى والصخرة والزاوية الجنوبية الشرقية
وسور المسجد الأقصى في الجهة الجنوبية والسور الأول للقدس والزاوية الجنوبية الغربية

فهرس المحتويات

الباب الثالث: المسجد الأقصى